



جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم تاريخ

**رسالة لنيل درجة الماجستير تاريخ عرب وإسلام بعنوان**

**الحياة الفكرية في الحجاز في القرنين السادس والسابع  
للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد**

**( ٥٠٠هـ - ٧٠٠هـ / ١١٠٧م - ١٣٠١م )**

**بإشراف  
أ . الدكتور فائزة كلاس**

**إعداد الطالب  
فهد حميد**

العام الدراسي

٢٠١٥/٢٠١٦ م

## إهداء :

إلى روح والدي رحمه الله : لقد سرت على طريق العلم الذي أردت

إلى والدتي الغالية حفظها الله : إنّي أسعى لتحقيق ما تمنّيته لي

إلى زوجتي العزيزة وطفلي الصغيرتين

إلى إخوتي وأخواتي

إلى الأستاذة الدكتورة فائزة كلاس

جميعكم أحبائي لذا أهدي إليكم هذا العمل المتواضع

## المحتويات

|                                                                               |    |
|-------------------------------------------------------------------------------|----|
| المقدمة                                                                       | ٦  |
| دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع                                           | ١١ |
| التمهيد                                                                       | ١٦ |
| الموقع الجغرافي للحجاز وأهميته                                                | ١٦ |
| أولاً : تحديد الحجاز                                                          | ١٦ |
| ثانياً : أهم المدن الحجازية                                                   | ١٨ |
| أ - مكة المكرمة                                                               | ١٨ |
| ب - المدينة المنورة                                                           | ٢٠ |
| ج - جدة                                                                       | ٢٠ |
| د - الطائف                                                                    | ٢٠ |
| الفصل الأول : الحياة العامة في الحجاز في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني |    |
| عشر والثالث عشر للميلاد                                                       |    |
| أولاً : الأوضاع السياسية في الحجاز                                            | ٢٤ |
| ١ - حكم الأشراف للحجاز                                                        | ٢٦ |
| ٢ - الأوضاع الداخلية في الحجاز                                                | ٣٥ |
| أ - صراع أمراء مكة على السلطة                                                 | ٣٥ |
| ب - النفوذ الخارجي وآثاره السياسية على الحجاز                                 | ٣٧ |
| ثانياً : الأوضاع الاقتصادية في الحجاز                                         | ٤٥ |

|                                                                                       |    |
|---------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ١ - عوامل ازدهار النشاط الاقتصادي .....                                               | ٤٥ |
| أ - التجارة الداخلية والخارجية .....                                                  | ٤٦ |
| ب - ما ينفقه الحجاج في موسم الحج .....                                                | ٤٧ |
| ج - الأوقاف وصدقات السلاطين والأمراء وغيرهم من المحسنين ..                            | ٤٨ |
| ء - المكوس .....                                                                      | ٥٠ |
| ٢ - مظاهر النشاط الاقتصادي .....                                                      | ٥١ |
| أ - مكة المكرمة .....                                                                 | ٥٣ |
| ب - المدينة المنورة .....                                                             | ٥٧ |
| ج - جدة .....                                                                         | ٦١ |
| ء - الطائف .....                                                                      | ٦١ |
| ثالثاً : الأوضاع الاجتماعية في الحجاز .....                                           | ٦٤ |
| ١ - فئات المجتمع الحجازي .....                                                        | ٦٤ |
| أ - فئة الأشراف .....                                                                 | ٦٤ |
| ب - سكان الحجاز الأصليون .....                                                        | ٦٥ |
| ج - المجاورون .....                                                                   | ٦٥ |
| ء - أغوات الحرمين .....                                                               | ٦٦ |
| ٢ - مظاهر الحياة الاجتماعية في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر |    |
| الميلاديين .....                                                                      | ٦٦ |
| أ - العادات الاجتماعية والدينية .....                                                 | ٦٧ |

ب - المنشآت الخيرية والمبرات ..... ٦٨

ء - المجاورون وأثرهم في تنشيط الحياة الاجتماعية ..... ٧٨

الفصل الثاني :مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين

الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

أولاً : اهتمام بعض سلاطين وأمراء العالم الإسلامي بالحركة العلمية

في الحجاز ..... ٨٣

ثانياً : أثر العلماء والمجاورون في تنشيط الحركة العلمية ... ٩٠

١ - المجاورون ..... ٩٠

٢ - الأسر العلمية وأثرها في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز .. ١٠٥

٣ - أثر المرأة ومكانتها في الحركة العلمية في الحجاز ..... ١١٩

ثالثاً : الرحلات وأثرها في تنشيط الحركة العلمية ..... ١٢٣

رابعاً : أثر المكتبات في تنشيط الحركة العلمية ..... ١٣١

الفصل الثالث : مراكز التعليم

أولاً : المساجد ..... ١٤١

ثانياً : المدارس ..... ١٥٧

ثالثاً : الكتاتيب ..... ١٦٩

رابعاً : الربط ..... ١٧١

الفصل الرابع : العلماء والإنتاج العلمي

أولاً : العلوم الشرعية ..... ١٨٦

|     |                                                                             |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------|
| ١٨٧ | ١ - علم القراءات .....                                                      |
| ١٩٢ | ٢ - علم التفسير .....                                                       |
| ١٩٤ | ٣ - علم الحديث .....                                                        |
| ١٩٩ | ٤ - علم الفقه وأصوله .....                                                  |
| ٢٠٩ | ٥ - التصوف .....                                                            |
| ٢١٠ | ثانياً : العلوم اللغوية والأدبية .....                                      |
| ٢١١ | ١ - النحو واللغة .....                                                      |
| ٢١٤ | ٢ - الأدب .....                                                             |
| ٢١٥ | أ - الشعر .....                                                             |
| ٢٢٢ | ثالثاً : الدراسات الاجتماعية .....                                          |
| ٢٢٢ | ١ - علم التاريخ .....                                                       |
| ٢٢٧ | ٢ - الجغرافيا .....                                                         |
| ٢٢٩ | رابعاً : الدراسات العقلية والعلمية .....                                    |
| ٢٢٩ | ١ - الطب والصيدلة .....                                                     |
| ٢٣١ | ٢ - الرياضيات والفلك .....                                                  |
|     | خامساً : مميزات الحركة العلمية في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين |
| ٢٣٥ | الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين .....                                     |
| ٢٣٨ | الخاتمة .....                                                               |

|                  |     |
|------------------|-----|
| الملاحق          | ٢٤٢ |
| المصادر والمراجع | ٢٤٩ |

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . أما بعد :

فالمعروف أن منطقة الحرمين الشريفين كانت منذ فجر الإسلام - ولا تزال - منطقة جذب للمسلمين ، تحوي إليها قلوبهم للحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول الكريم ﷺ .

تلك القدسية الدينية كانت سبباً مباشراً في ازدهار الحركة العلمية ، فهذا موسم الحج مكان للقاء العلماء من كافة أقطار العالم الإسلامي يتدارسون فيه جوانب المعرفة ، يأخذ بعضهم عن بعض الحديث والتفسير والفقه وشتى أنواع المعرفة ، وأهم من ذلك كله هجرة الكثير من المسلمين من شتى بقاع الأرض إلى المدينتين المقدستين نتيجة ظروف اقتصادية أو دينية أو سياسية ، فهؤلاء المهاجرون كانوا أصحاب ثقافات وعلوم في بلدانهم ، وأصبحوا بعد ذلك جزءاً من مجتمع الحجاز ، فكان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية فيه ، ونتيجة لذلك نشأت المدارس ، وكثر طلاب العلم والمعرفة .

وقد قدّم الكثير من السلاطين وأمراء العالم الإسلامي المساعدات والصدقات لهؤلاء العلماء والمجاورين ، ورواد الأربطة والمدرسين ، وكان ذلك سبباً مهماً من أسباب ازدهار الحركة العلمية .

واستتبع وجود العلماء وجود المدارس وتطورها ، وكان كثير من تلاميذ تلك المدارس شباناً قادمين في موسم الحج ، وقلما خلا عام من أعوام القرنين السادس والسابع الهجريين من عالم شهير في الحرمين الشريفين يأخذ عنه كل راغب في العلم والمعرفة ، ويجذون حذوه في الدراسة والاطلاع .

أما أسباب اختيار هذا الموضوع :

لأن الحياة الفكرية مازالت بحاجة للبحث ، فضلاً عن أن الحياة السياسية قد أُشيعت بحثاً ، وبما أن الحجاز لم ينل نصيبه من الدراسة عموماً والفكر خصوصاً ، مما شكل لدى الباحث عدة عوامل دافعة إلى الكتابة في هذا الموضوع منها :

١ - مكانة الحجاز الدينية ، فهي تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين جميعاً ، لما تضم أرضه الطيبة من مقدسات إسلامية .

٢ - لا يجد الباحث بحثاً تاريخياً مفصلاً عن الحياة العلمية في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين وكل ما يجد مؤلفات تتعلق بالحياة السياسية والإدارية والاقتصادية .

٣ - توفر المصادر الأصلية لهذا البحث ، ولعلماء أتوا في القرن الثامن والتاسع الهجري ، مما أعطى البحث معلومات قيمة عن الحجاز في تلك الحقبة .

٤ - نشأة الحركة العلمية في هذا العصر ، والقصد من هذا ازدهار علوم ومعارف متنوعة ، كالحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ إلى جانب الكثير من العلوم ، وهذا ما ستكشف عنه الدراسة إن شاء الله .

٥ - الرغبة في إثبات أن القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين لم يكونا عصر ظلام أو ضالة علمية ، هما قرنان زاخران بالكتب .

٦ - درس الباحثون الحديثون أحوال العالم الإسلامي في حقبة هذه الدراسة ، وما قام فيه من أحداث تاريخية وحضارية هامة ، أما بالنسبة إلى بلاد الحجاز عامة ومكة والمدينة على وجه الخصوص ، فقد ندرت الدراسات حولها في هذا العصر ، رغم مكانتها التي لا تساميتها مكانة في قلوب المسلمين جميعاً ، وبقيت هذه المنطقة مجهولة من كافة نواحيها لدى الكثير من المثقفين ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على الباحثين وطلاب العلم أن يوجهوا عنايتهم لمعرفة النشاط العلمي وغير العلمي الذي مرت به أحب البلدان إلى قلوبهم .

**ومن بين الصعوبات التي واجهت هذا البحث :** فقدان كثير من مصنفات أهل مكة والمدينة وضياعها ، فهناك كتب تاريخية فقدت منذ زمن طويل ، لو وجدت لزللت الكثير من الصعاب ، مثل مؤلفات ابن فهد في الأسر المكية .

كما أن الكثرة الهائلة لأسماء العلماء والمفكرين في هذا العصر ، والمثبتة في كثير من مصادر التراجم ، ومشاركتهم في كثير من العلوم ، جعلت من الصعوبة بمكان تبيان منشط كل واحد منهم في الفنون المعرفية التي شارك فيها ، وذلك استنفذ من الباحث جهداً كبيراً .

بالإضافة إلى تبعض المعلومات ضمن المصادر ، فأحياناً يضطر الباحث لقراءة كتاب كامل دون أن يجد معلومة تفيد هذا البحث .

علماً أنه تمَّ السفر لمدة شهر كامل إلى مكة والمدينة للحصول على بعض المصادر والكتب .  
وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ودراسة تحليلية لأهم مصادر البحث وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .  
أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع ، والأسباب الباعثة على اختياره ، ثم دراسة تحليلية لأهم المصادر  
المخطوطة والمطبوعة التي اعتمد عليها البحث .

ثم التمهيد ويشتمل على :

الموقع الجغرافي للحجاز وأهميته :

تمَّ تناول موقع الحجاز وحدوده ، وأهميته مع تقديم دراسة لجميع المدن المهمة في الحجاز وما لها من أهمية.  
وفي الفصل الأول تمَّ الحديث عن الحياة العامة في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر  
والثالث عشر الميلاديين ويشمل على :

أولاً : الأوضاع السياسية في الحجاز :

تعرض هذا المبحث للحالة السياسية السائدة في الحجاز من تعاقب أمراء مكة والمدينة على السلطة ،  
والصراع القائم بين الأشراف بالإضافة إلى الصراع الخارجي للسيطرة ومدّ النفوذ ، وأثر ذلك الصراع على  
الحرمين الشريفين .

ثانياً : الأوضاع الاقتصادية في الحجاز :

تناول هذا الفصل عوامل ازدهار النشاط الاقتصادي ، اختصر الحديث فيه على التجارة دون الزراعة  
والصناعة ، وذلك لأن التجارة يتم فيها نقل البضائع ، بالإضافة إلى المكوس والصدقات ، وإلى ما ينفقه  
الحجاج في موسم الحج ، وتمَّ الحديث عن مظاهر النشاط الاقتصادي في كل مدينة حجازية على حدا ،  
مع التعرف على أنواع العملة المتداولة والأسواق وحالات الشدة التي أصابت الحرمين في حقبة هذه  
الدراسة .

ثالثاً : الأوضاع الاجتماعية في الحجاز :

تمَّ الحديث عن فئات المجتمع الحجازي ، ووصف عام لملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز ، وأهم المنشآت  
الاجتماعية التي قام ببنائها الأمراء والمحسون وغيرهم من أربطة وسبل وعيون وآبار .

أما الفصل الثاني فقد تعلق بمظاهر الاهتمام بالحركة العلمية خلال القرنين السادس والسابع

الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين :

أولاً : اهتمام بعض سلاطين وأمراء العالم الإسلامي بالحركة العلمية :

تناول دور كل من الأيوبيين والمماليك وبنو رسول في دعمهم للعلماء بإنشائهم المراكز التعليمية ومشاركتهم في تنشيط الحركة العلمية .

ثانياً : أثر العلماء والمجاورين في تنشيط الحركة العلمية :

ويشمل على :

١ - المجاورون : ومشاركتهم في فنون المعرفة كافة ، وتصنيفهم الكثير من الكتب ، وتقدير العلماء بعضهم لبعض في حلّ بعض المسائل الفقهية .

٢ - الأسر العلمية وأثرها في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز : أولاً الأسر المكية ثم الأسر المدنية ، وأصول هذه الأسر وأنسابها وأثرها في الحركة العلمية .

٣ - أثر المرأة ومكانتها في الحركة العلمية في الحجاز : تضمن نماذج من نساء الحرمين ومشاركتهم في العلم ، وبعض من شارك منهن في التأليف ، والإجازات التي حصلن عليها من كبار العلماء في العالم الإسلامي .

ثالثاً : الرحلات وأثرها في تنشيط الحركة العلمية :

وفيها الحديث عن أهمية الرحلة في طلب العلم والرحلات التي قام بها أهم الرّحالة المشهورين إلى الحجاز وما لرحلاتهم من أهمية تاريخية وعلمية .

رابعاً : أثر المكتبات في تنشيط الحركة العلمية :

تمّ الحديث عن أهمية الكتاب وعن أهم مكتبتين موجودتين في الحرمين الشريفين ، بالإضافة إلى خزائن الكتب الموجودة في المدارس والأربطة .

أما الفصل الثالث فكان موضوعه مراكز التعليم ويشمل على :

أولاً : المساجد :

باعتبار أنّ الحرمين الشريفين أهم مركزين تعليميين وجدا في الحجاز فقد تمّ الحديث عنهما ، بالإضافة إلى نوع الدروس التي قررت بهما ، وأهم الكتب التي دُرّست في تلك الحقبة .

#### ثانياً : المدارس :

تعرض هذا المبحث للحديث عن الكثير من مدارس مكة والمدينة ، وأثرها في تنشيط الحركة العلمية ، مع تبيان بعض المسائل الإدارية والوقفية لتلك المدارس ، والمناهج التي اعتمدت الدراسة فيها ، بالإضافة إلى بعض المدرسين في تلك المدارس .

#### ثالثاً : الكتابات :

وأهميتها في النشاط الفكري .

#### رابعاً : الربط :

ذكر هذا المبحث الكثير من الأربطة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما تقدمه من خدمات جليلة لسكانها ، والعمل الذي قامت به في تنشيط الحركة العلمية .

### و الفصل الرابع حمل عنوان العلماء والنتاج العلمي ويشمل على :

أولاً : الدراسات الشرعية :

ثانياً : الدراسات الأدبية واللغوية :

ثالثاً : الدراسات الاجتماعية :

رابعاً : الدراسات العقلية والتطبيقية :

وهذا الفصل يعدّ من أهم فصول هذا البحث ، إذ أنه يمثل المحصلة النهائية والصورة الواقعية لنشاط الحركة العلمية في الحجاز ، فقد تم فيه استعراض ثمرة الإنتاج العلمي المتمثل في بروز الكثير من علماء هذه الحقبة في العالم الإسلامي ، لما قدموه من فكر جليل ودراسات رائعة ، لا سيما في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية والأدب ، والتاريخ والتراجم ، مع ذكر مصنفاتهم ورسائلهم العلمية ، وما كان لها من أثر بالغ في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز خاصة والعالم الإسلامي عامة ، بالإضافة إلى أهم ما تميزت به الحركة العلمية في حقبة هذه الدراسة .

## دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث

تعدُّ الحقبة التي تناولها هذا البحث بداية الازدهار العلمي للحجاز ، الذي تَوَجَّح بازدهار حقيقي خلال العصر المملوكي ، وقد حوت هذه المصادر معلومات هامة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على تنوعها ، وبعض تلك المصادر اختصت ببلاد الشام أو مصر وأخرى بمنطقة معينة لتتناول بين ثناياها أخبار الحجاز ، حتى أتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي شهد ولادة مؤرخين تخصصوا بتاريخ الحجاز ، وتعدُّ معظم تلك المصادر مصادر حولية تبدأ بسنة معينة وتنتهي بوفاة مؤلفها ، وقد تمَّ تقسيم هذه المصادر إلى قسمين المصادر المخطوطة والمصادر المطبوعة .

### أولاً : المخطوطات :

كتاب « نصيحة المشاور وتسليية المجاور » لعبد الله بن أبي عبد الله بن فرحون ( ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) قدَّم مادة علمية عن العلماء في الحرمين الشريفين خاصة المدينة المنورة ، ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ مؤلفه من أبناء أسرة ابن فرحون الشهيرة بالمدينة المنورة .

كتاب « الزهو المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة » - لا يزال مخطوطاً - لتقي الدين الفاسي ( ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م ) الذي أفاد البحث في توثيق الكثير من المعلومات الخاصة بإنشاء المدارس والربط في الحرمين الشريفين .

وهناك أيضاً كتاب « بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى » لعز الدين بن عمر بن فهد ( ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ) وهو كتاب مخطوط ذيله على كتاب والده النجم عمر بن فهد ، ورتب الكتاب على حوادث السنين .

وكتاب « تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام » لمحمد بن سالم الصباغ ( ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ) على الرغم من تأخر هذا المخطوط من الناحية الزمنية ، إلا أنَّ البحث استقى منه معلومات تخص المدارس والربط والبرك والعيون والآبار في مكة وحرمها ، وإن كان معظمها منقولاً عن الفاسي المكي .

### ثانياً : المصادر المطبوعة :

كتاب « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تأريخ المستبصر » لجمال الدين أبي الفتح يوسف

ابن يعقوب بن الجاور الشيباني الدمشقي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) استفاد البحث منه في المعلومات التي ذكرها عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمكة ، وبكافة المدن الحجازية .

وهناك أيضاً كتاب « التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة » لمحمد بن أحمد المطري ( ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ) ، وكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » لزين الدين أبي بكر بن حسين المراغي ( ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م ) وكلاهما أشار إلى المدارس التي أنشئت في المدينة المنورة ، والتي لم يتعرض لها مؤرخو ذلك العصر .

وكتاب « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » لشمس الدين الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ) الذي أفاد البحث في تراجم الأمراء والسلاطين والعلماء والجاورين ، كما قدم وصفاً عن الحياة السياسية السائدة في الحرمين في حقبة هذه الدراسة .

وله أيضاً كتاب « تذكرة الحفاظ » الذي تضمن بعض علماء الحجاز ومؤلفاتهم في فنون المعرفة ، خاصة علم الحديث .

وكتاب « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي ( ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ) أُرِّخ فيه للأحداث والأعيان ، وقد بدأه بالسنة الأولى للهجرة وختمه بنهاية سنة خمسين وسبعمائة من الهجرة ، وفيه معلومات عن علماء الحجاز وإنتاجهم العلمي .

ويعد كتاب « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » تصنيف علي بن حسين الخزرجي ( ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ) من المصادر المهمة التي استقى منها الباحث بعض المعلومات التي تخص سلاطين بني رسول ، وما كانوا يتمتعون به من ثقافة وعلم وما كان لهم من أيادٍ على المنشآت التعليمية في مكة ، وكذلك العلاقات العلمية الوثيقة التي كانت بين علماء الحجاز وهؤلاء السلاطين .

وكتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمؤلفه تقي الدين الفاسي ( ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ) ويقع في ثمانية أجزاء ، سار فيه المؤلف على الترتيب الهجائي للأسماء ، عدا محمد وأحمد فإنهما تصدرتا أجزاءه ، ويعدُّ هذا الكتاب موسوعة كبرى لتاريخ مكة وعلمائها ومن سكنها أو جاور بها ، وهذا الكتاب يعدُّ المصدر الرئيسي للبحث ، لا سيما فيما يتعلق بالنواحي السياسية والحياة العلمية والاجتماعية ،

وأحوال المجاورين بمكة ، كما أنه أفرد جزءاً خاصاً لنساء مكة ، أفاد البحث في معرفة أثر المرأة العلمي في الحرمين الشريفين ، كما أنه أورد كثيراً من التراجم في بحوث قصيرة جرت الاستفادة منها ، خاصة أثناء ذكره لأمرء مكة وسلاطين بني رسول وإنشاءاتهم في الحرمين الشريفين ، لذا فإن هذا الكتاب يعدُّ من أهم المصادر التي أفادت البحث ، فالفاسي أورد كثيراً من أسماء طبقات المجتمع في عصور مختلفة انتهت بعصره الذي عاش فيه .

وكتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » وهو لتقي الدين الفاسي أيضاً ، ويقع في جزأين ، أورد فيه معلومات لم يذكرها في كتابه « العقد الثمين » ، خاصة المؤسسات التعليمية من مدارس وأربطة وغيرها ، إضافة إلى ذكره للكوارث الطبيعية والأحداث المختلفة التي تعرضت لها مكة ، كالأمطار والسيول والأوبئة ، والإنشاءات والعمائر التي قام بها السلاطين والأمراء وغيرهم في مكة المكرمة، وجرت الإفادة منه في الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

وللفاسي أيضاً « ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد » ، ويتضمن أسماء المحدثين من رواة السنن والأسانيد والمعاجم وبعض المشيخات ، والكتب الشرعية التي ألفها العلماء في ذلك العصر .

وكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ( ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ) الذي وصف به الحياة السياسية ، والأعمال والإنشاءات التي قام بها السلاطين في الحجاز .

أما كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ( ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) رتبته حسب السنين ابتداءً من فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م وحتى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م ، تحدث فيه المؤلف عمن ولي مصر من الملوك والسلاطين والنواب ، مع ذكر ملوك الأطراف والأمراء ، ومنهم أمرء الحجاز ، وقد أفاد البحث في الحديث عما وقع من الحوادث المهمة ومن توفي من علماء الحجاز والمجاورين .

وله كذلك كتاب « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » وفيه معلومات مهمة عن بعض علماء الأسر الملكية والمدنية ومؤلفاتهم ، إضافة إلى إنشاءات بعض أمراء المماليك .

ويعدُّ كتاب « إتحاف الوري بأخبار أم القرى » للنجم عمر بن فهد ( ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م ) ويقع في أربعة أجزاء ، موسوعة تاريخية للأحداث التي مرّت بمكة منذ عهد الرسول ﷺ حتى عصر المؤلف ، مرتبة ترتيباً زمنياً ، وقد أورد الكثير من المعلومات مع التركيز على أخبار الحج ، ومن قدم مكة حاجاً من الأعيان والعلماء ، وأخبار أمراء الحج ، والنفقات التي أنفقت في مكة ، أفاد البحث في استيفاء أخبار أهل مكة وأحوالهم الاجتماعية ، والكوارث الطبيعية ، وأخبار الأسعار ، وعن إنشاء المدارس والأربطة بمكة ، وعن خزائن الكتب بالمسجد الحرام .

وله أيضاً كتاب « معجم الشيوخ » الذي رتبته على حروف المعجم ، وقد أفاد هذا الكتاب فيما يتعلق بالعلوم التي راجت في مكة ، وحركة التأليف فيها ، وتكمن أهميته في التراجم الوافية لبعض علماء المدن الإسلامية ، وأورد الكثير من المؤلفات والكتب التي ألفها علماء الحجاز ، وقاموا بتدريسها في الحرمين الشريفين .

أما كتاب « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » تصنيف محمد بن عبد الرحمن السخاوي ( ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ) يعدُّ من أهم المصادر لتاريخ المدينة المنورة ، وقد اقتصر السخاوي في تراجمه بهذا الكتاب على أهل المدينة المنورة فقط ، ومن سكنها من الغرباء ولو لسنة واحدة ، بشرط أن يكون درّس فيها أو حدّث أو أفتى ، سالكاً في ذلك طريقة سابقه الفاسي المكّي في كتابه « العقد الثمين » والهدف من وراء ذلك سد الفراغ الموجود في تاريخ المدينة النبوية إذ أنّه - كما يقول - لم يجد مؤلفاً يشفي الغليل في تاريخ المدينة ، وقد جرت الاستفادة منه بشكل رئيسي في جميع فصول البحث ، حيث تعرض لإنشاءات السلاطين والأمراء في المدينة المنورة ، كما تعرض للأسر المشهورة فيها ، وأثر العلماء في المسجد النبوي ، بالإضافة إلى تراجم العلماء ونتاجهم العلمي .

وللسخاوي أيضاً كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » الذي أمدَّ البحث بدراسات قيمة للعلماء الذين شاركوا في التأليف في حقل العلوم الاجتماعية في ذلك العصر ، كما بين بعض الكتب الموجودة في المكتبات في الحجاز في حقبة هذه الدراسة .

وكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » لمؤلفه علي بن عبد الله السمهودي ( ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) مؤرخ المدينة المنورة المشهور ، وقد أفاد هذا الكتاب في الحديث عن المدارس وخزائن الكتب في المسجد النبوي .

و لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » الذي ترجم فيه لعلماء اللغة والأدب بكافة فنونها ، الأمر الذي أفاد البحث بالقسم المتعلق بالدراسات الأدبية واللغوية .

وللسيوطي أيضاً كتاب « نظم العقيان في أعيان الأعيان » ، وكذلك كتاب « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » لعبد الملك بن حسين العصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م ) ، وقد أورد كل منهما معلومات قيمة عن الحركة العلمية في الحجاز من خلال التراجم التي وردت في كتابيهما .

وهناك أيضاً كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » تصنيف عبد الحي بن العماد الحنبلي ( ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م ) ويقع في ثمانية أجزاء ، وقد رتبته على السنين من هجرة الرسول ﷺ حتى سنة ألف هجرية ، وذكر فيها ما وقع من الحوادث ، وتضمن تراجم الملوك والعلماء والأعيان والشخصيات البارزة من أهل الدين والسياسة والعلم والأدب ، فكانت المعلومات المتعلقة بالعلماء والسلطين وغيرهم مجال فائدة كبيرة للبحث .

كما استفاد البحث من كتب « المقدمة » لابن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ) ، « مفتاح السعادة » لطاش كبري زاده ( ت ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م ) ، و « كشف الظنون » لحاجي خليفة ( ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م ) ، و « هدية العارفين » للبغدادي ( ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م ) وهذه الكتب جميعها أفادت البحث في دراسة الإنتاج العلمي بوجه عام .

وهناك كتب الرحلات وأهمها رحلة محمد بن أحمد بن جبير ( ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) المسماة « تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار » ، ورحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » لمؤلفها أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ( ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ) ، وهذان الكتابان يعدان من المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

في مكة المكرمة ، إضافة إلى استقاء المعلومات عن المجاورين وخزائن الكتب بالمسجد الحرام ، والأرطقة الموجودة في حقبة هذه الدراسة .

كما تعد رحلة أبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ( ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ) المسماة « مستفاد الرحلة والاغتراب » من المصادر المهمة لدراسة الحياة العلمية والعادات الاجتماعية بمكة المكرمة ، حيث أورد ذكر الكثير من الشخصيات العلمية التي قابلها أثناء رحلته ، مع إعطائه معلومات عن الكتب التي كانت تدرس في الحرم المكي الشريف .

وهناك أيضاً كتب الطبقات ، خاصة « طبقات الشافعية » التي ألفها كل من السبكي ( ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ) ، والإسنوي ( ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م ) ، حيث سردت هذه الكتب تراجم أتباع المذهب الشافعي ومؤلفاتهم وأثرهم في الحرمين الشريفين .

هذا بالإضافة إلى « معجم البلدان » لياقوت الحموي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) الذي أفاد البحث في توضيح بعض الأماكن والمواقع الحجازية ، وغيرها من البلدان الأخرى التي ينتسب إليها العلماء والمجاورون في الحرمين الشريفين ، والكتب الجغرافية الحديثة التي ألفها عاتق بن غيث البلادي الذي أعطانا معلومات معاصرة لتعريفات هذه الأماكن والآثار الحجازية .

وأضف إلى ذلك المعجم اللغوي « لسان العرب » لابن منظور ( ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م ) الذي استفاد منه البحث بتعريفات عامة للمدارس والأرطقة خلال البحث .

إضافة إلى فهارس المخطوطات ، سواء المطبوعة والمتداولة في المكتبات ، أو الفهارس التي تضمها مكتبة الأسد ، أو مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، والتي بينت الكثير من مصير كتب علماء تلك الفترة في كافة فنون المعرفة .

وبجانب ذلك كله اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع التي أسهمت مجتمعة في بناء البحث بالشكل الذي ظهر فيه ، وجميع هذه المصادر جرى حصرها في الملحق الخاص بالمصادر والمراجع في آخر هذه الرسالة .

والله ولي التوفيق .....

## التمهيد :

### الموقع الجغرافي للحجاز وأهميته :

#### ١ - تحديد الحجاز:

الحجاز لغة: هو الحجز أي الفصل بين شيئين ، أما اصطلاحاً : فلأنه فصل بين الغور والشام والبادية ، أو بين نجد والسرّة، أو بين تهامة ونجد ، أو بين نجد والغور<sup>(١)</sup> .

وقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديد حدود هذا الإقليم، حيث أُطلق على البقعة الممتدة من اليمن جنوباً إلى أطراف الشام شمالاً الحجاز لحجزه بين نجد وتهامة<sup>(٢)</sup> .

فذكر المسعودي : أنه سمي حجازاً لحجزه بين الشام واليمن<sup>(٣)</sup> .

وذكر ياقوت الحموي : أن الحجاز هو جبل ممتد يحول بين غور تهامة ونجد ، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) ابن الجاور ، ( جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي ) : صفة بلاد اليمن والحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ٥١ .
- ابن منظور ، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م ، ج ٥ / ص ٣٣١ .
- البكري ، ( عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م ، ج ٢ / ص ١٢ .
- العنّاقرة، (محمد خلف) : الحياة الاقتصادية في عصر دولة المماليك ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٧ هـ / ١٩٩٦ م ص ٢٧ .
- نواب ، (عواطف محمد يوسف ) : الرحلات المغربية الأندلسية ، الرياض ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٢٧ .
- (٢) الهمداني ، ( الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوّع ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ، دار اليمامة . الرياض ١٩٧٤ م ، ص ٥٧ . ٥٨ .
- نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧ .
- (٣) المسعودي ، ( أبو الحسن علي بن الحسين ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٨ م ، ج ٢ / ص ٩٦ .
- (٤) ياقوت الحموي ، ( أبو عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت =

ومما تقدم من هذا الوصف الجغرافي للحجاز يتبين أن الجغرافيين العرب عرفوا موقع الحجاز ولكنهم اختلفوا في تحديد حدوده ، فحدوده الشمالية تصل إلى أطراف أرض الشام أي ما وراء تبوك<sup>(١)</sup> ، أما حدوده الشرقية فهي تبدأ من معدن النقرة<sup>(٢)</sup> إلى المدينة ، فنصف المدينة حجازي ونصفها تهامي ، وتتواصل الحدود مع سفوح جبال السراة التي تفصل ما بين الحجاز ونجد واليمن<sup>(٣)</sup> ، أما حدوده الغربية فإنها تسير بمحاذاة البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب على امتداد السهل الساحلي وحدوده الجنوبية فقد حددت عند الخط الحدودي ما بين الحجاز واليمن<sup>(٤)</sup> ، وقد اتضح أن الحجاز منفتحة جغرافياً مما تقدم من الوصف الجغرافي لها وهذا ما يتبين لاحقاً من خلال بحث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في حقبة هذه الدراسة .

## ٢ - أهم المدن الحجازية

بعد الحديث عن هذا الإقليم لا بد من التعرف على أهم مدنه وهي :

### أ - مكة المكرمة :

تقع مكة المكرمة في وادٍ تحيط به الجبال من كل جانب ، وهي بلدة مستطيلة كبيرة تقع في بطن واد

---

= ( د . ت ) ج ٢ / ص ٢١٨ .

(١) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ / ص ١٤ .

(٢) معدن النقرة : كل أرض متصوّبة في وهدة فهي نقرة ، وبها سميت النقرة في طريق مكة التي يقال لها معدن النقرة ،

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ / ص ٢٩٨ .

(٣) البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج ١ / ص ١٠ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في عصر دولة المماليك ، ص ٢٠ . ٢١ .

(٤) العلي ، ( صالح أحمد ) : الحجاز في صدر الإسلام ( دراسات في أحواله العمرانية والإدارية ) مؤسسة الرسالة . بيروت

الطبعة الأولى ١٩٩٠م ص ٧٢ .

الحسيني ، ( عبد المحسن ) : الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ . ١٩٥٣ م ،

مج ٧ . ٦ ، ص ١١٦ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في عصر دولة المماليك ، ص ٢٢ .

مقدّس أنبئتها من الحجارة ، والمسجد من نحو وسطها والكعبة في وسط المسجد<sup>(١)</sup> .  
 وملكة أسماء عديدة منها : مكة وقد ورد اسمها في القرآن الكريم مرة واحدة بقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ  
 أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup>  
 وبكة كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى  
 لِلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقيل مكة الحرم كله ، وبكة اسم البلد خاصة ، وأم القرى حيث جاءت من قوله تعالى  
 ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ  
 فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾<sup>(٤)</sup> والقرية ، والبلد الأمين ، والحرم ، ومعاد ، وأم رحم ، والبيت العتيق ،  
 وصلاح ، والمقدسة ، والقادسية ، والناسة ، والنساسة ، والحاطمة ، والرأس<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن جبير ، ( أبو الحسن بن أحمد ابن جبير الكتاني ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) : رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار  
 عن اتفاقات الأسفار ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ . ١٩٥٩ م ، ص ٨٧ .

العنقرة : : الحياة الاقتصادية في عصر دولة المماليك ، ص ٧٥ .

(٢) سورة الفتح ، رقم الآية ٢٤ .

(٣) آل عمران ، رقم الآية ٩٦ .

(٤) سورة الشورى ، رقم الآية ٧ .

(٥) الفاسي ، ( تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي ) : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد حامد  
 القفي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ١ / ص ٣٥ .

الهمداني ( أبي عبد الله أحمد بن إسحاق ) : كتاب البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان ،  
 الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٧٤ . ٧٥ .

ابن الجاور : تأريخ المستبصر ، ص ١٢ ، ١٣ .

الخليلي ( جعفر ) : موسوعة العتبات المقدسة ، قسم مكة المكرمة ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان ،  
 ص ٩ . ١٠ . ١١ . ١٣ .

أبو حجر ، ( آمنة إبراهيم ) : موسوعة المدن العربية ، دار أسامة ، الأردن . عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م ، ص ١٧٠ .  
 ١٧١ .

## ب - المدينة المنورة :

تعدُّ المدينة المنورة أهم مدينة تاريخية بعد مكة المكرمة لأنها مهجر الرسول الكريم وبها مسجده وفيها قبره حيث أصبحت عاصمة الإسلام الأولى بعد قيام دولته فيها ، وتقع في شمال الحجاز ، في وسط منطقة خصبة الأرض وفيرة المياه ، شديدة الحرارة والبرودة ، ويقع بالقرب منها ميناء ينبع<sup>(١)</sup> . وأهم أسمائها : يثرب ، وطيبة ، والباقية ، والموقية ، والمسكينة ، والمباركة ، والمحفوفة ، والمحرمة والعذراء ، والمسلمة ، والمقدسة ، وحرم رسول الله<sup>(٢)</sup> .

## ء - جدة

تقع جدة على ساحل البحر الأحمر ، وهي أقرب ميناء إلى مكة المكرمة ، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين ، وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف ، وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها مدينة قديمة<sup>(٣)</sup> ، فهي متنفس أهل الحجاز للتجارة والرحلة إلى العالم لموقعها الاستراتيجي الهام<sup>(٤)</sup> ، وأول من

---

(١) ميناء ينبع : يقع على ساحل البحر الأحمر بين مكة والمدينة .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ / ص ٤٥٠ .

الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، قسم المدينة المنورة ، ص ٧ .

المدني ، ( عبد العزيز ) : التأريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين ، ( د.ت ) ، ص ٢١ .

(٢) الهمذني : كتاب البلدان ، ص ٨٠ .

حافظ ، ( عبد السلام هاشم ) : المدينة المنورة في التاريخ ، دراسة شاملة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م المدينة

— من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ص ٣٣ .

أبو حجر : موسوعة المدن العربية ، ص ١٦٩ .

المدني : التأريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين ، ص ٢١ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٣ .

الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، قسم مكة المكرمة ، ص ١٠٧ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ / ص ١١٤ .

القلقشندي ( أبو العباس أحمد ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩٧٣ م ، ج ٤ / ص ٢٦٣ .

اهتم بها في الإسلام هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٦هـ / ٦٤٦ م بعد أن شاور الناس في ذلك ، إذ كانت الشعبية <sup>(١)</sup> ساحل مكة التجاري قبل الإسلام <sup>(٢)</sup> ومنذ ذلك التاريخ وجدة ميناء أم القرى تنتهي إليها المراكب من مصر واليمن وغيرهما <sup>(٣)</sup> ، واستمرت جدة في النمو شيئاً فشيئاً تبعاً لزيادة دخلها بزيادة عدد الحجاج وقوة الحركة التجارية التي تقوم فيها في مواسم الحج فيمرون بها في طريقهم إلى مكة ويقيمون فيها ويتاجرون في أسواقها ، ويتهيئون منها لدخول البيت الحرام ، وسرعان ما أصبحت جدة ميناء الحجاز بأسره <sup>(٤)</sup> .

#### و - الطائف :

الطائف مدينة عربية قديمة ، سميت بالطائف من الطواف ، وهو الحائط الذي كان يحيط بها ، وكانت تدعى بالوج من بلاد ثقيف على اسم وج بن عبد الحي من العمالق الذين استقروا في الجزيرة العربية ، والطائف التي بالغور من القرى وبينها وبين مكة اثنا عشر <sup>(٥)</sup> فرسخاً <sup>(٦)</sup> ، وهي من أقدم مدن الحجاز

---

(١) الشعبية : تصغير شعبة ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهي قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٥١ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٥١ .

إبراهيم ( رفعت ) : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ / ١٩٤٥م ، ج ١ / ص ٢٣ . ٢٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ / ص ٢٦٣ .

(٤) ابن شاهين ، ( غرس الدين خليل الظاهري ) : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح : بولس راويس باريس ، المطبعة الجمهورية ١٨٩٤م ، ص ١٣ .

ربيع ، ( حسنين محمد ) : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٢ / ص ١٣٥ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٩ . ١٠ .

آمنة إبراهيم أبو حجر : موسوعة المدن العربية ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٦) الفرسخ : قال اللغويون أنه اسم عربي يراد به سير ساعة أو ساعات ، وقيل أن طول الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع . =

وأقربها إلى مكة ، وتقع في جبال السرات فوق جبل غزوان<sup>(١)</sup> وقد اشتهرت بطيب هوائها وبرد مائها<sup>(٢)</sup> ، لذلك اتخذها أهل مكة ملجأً ومصيفاً لهم يستمتعون به<sup>(٣)</sup> ، كما امتازت الطائف بتنوع محاصيلها الزراعية ووفرة إنتاجها الذي يفيض عن حاجة السكان المحليين ونتيجة لذلك فقد أصبحت الطائف المورد الرئيسي لأسواق مكة بكل ما تحتاجه من فواكه وخضراوات<sup>(٤)</sup> .

وهكذا تتضح أهمية الحجاز وموقعها الاستراتيجي المهم من خلال هذه المدن وبالتالي أهميتها لدى الملوك والسلاطين الذين تعاقبوا على الاهتمام بهذه المنطقة والسيطرة عليها .

---

= ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ / ص ٣٠ . ٣١ .

(١) غزوان : بالفتح ثم السكون ، هو الجبل الذي على ظهره مدينة الطائف .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٢٠٢ .

(٢) ابن الجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٢٥ .

الفاسي ( تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي ) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : محمد حامد الفقي ،

القاهرة ١٩٥٦ م ، ج ١ / ص ٨٩ .

(٣) ابن خرداذبة ( أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ) : المسالك والممالك ، بغداد ، مكتبة المثنى ( د.ت ) ص ١٣٤ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٢ .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١١ .

## الفصل الأول :

الحياة العامة في الحجاز في القرنين السادس والسابع للهجرة

الثاني عشر والثالث عشر للميلاد

## أولاً - الأوضاع السياسية في الحجاز:

بعد قيام الدولتين الأموية والعباسية لم يعد الحجاز بالأهمية السياسية التي كان يتمتع بها في أثناء الخلافة الراشدية على الرغم من حفاظه على مكانته الدينية بل أصبح ولاية تابعة للدول الحاكمة في دمشق وبغداد بعيداً عن الأحداث السياسية إلا أنه لم يسلم من تلك الحركات المناوئة لهاتين الخلافتين ، حيث رافقت ثورة عبد الله بن الزبير عدة ثورات ، ولم تهدأ تلك الثورات حتى في أيام الدولة العباسية<sup>(١)</sup> ، وفي سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قدم القرامطة مكة بزعامة أبي طاهر القرمطي<sup>(٢)</sup> ونهب الحجيج إضافة إلى نزعه للحجر الأسود ، فما لبثت الخلافة العباسية بعد عقدين من الزمن أن أعادت هيبته بإعادة الحجاز إلى حكمها ، حيث أعيدت الخطبة للعباسيين سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م على يد محمد بن طعج الإخشيد<sup>(٣)</sup> والي مصر فأصبح بعد ذلك يخطب على منابر مكة والمدينة باسمه إلى جانب الخليفة العباسي ، حتى تمكن الشريف

---

(١) ابن طباطبا ، (محمد بن علي) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ١٩٦٦ م ، ص ١١٥ .

١٣٢ . ١٢٠ .

مالكي ( سليمان عبد الغني ) : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، الرياض ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٣ .

السباعي ( أحمد ) : تاريخ مكة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ج ١ / ص ٧٣ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٤٣ .

(٢) أبو طاهر القرمطي : أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م .

الذهبي ( شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عبد السلام

التدمري ، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٢٥ / ص ١٣ .

(٣) محمد بن طعج ابن جف ابن ملكس ، أبو بكر الإخشيد أمير الحرمين والديار المصرية والشامية المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

٩٤٧ م .

السخاوي ( محمد بن عبد الرحمن شمس الدين ت ٩٠٢ ) : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار الكتب

العلمية ، بيروت . لبنان ( د . ت ) ، ج ٣ / ص ٥٨٩ .

جعفر بن محمد بن الحسين من سلالة علي بن أبي طالب من انتزاع الحكم بمكة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م<sup>(١)</sup> وبذلك بدأ حكم مكة للأشراف الموسويين من آل الحسن بن علي بن أبي طالب وهم أشراف الطبقة الأولى المعروفة بطبقة السليمانيون فاهواشم ثم آل قتادة<sup>(٢)</sup> ، حيث كانت تلك الحقبة مليئة بصراعات على السلطة بين الأشراف أنفسهم وبين الدولتين العباسية والفاطمية ، فقد أصبحت مكة تابعة للفاطميين بعد دخولهم مصر والشام وقضائهم على حكم الإخشيد حيث أصبحت الحجاز ولاية تابعة اسمياً للخلافة الفاطمية وذلك في عهد أول أشرافها من السليمانيون ، وبعد ضعف الفاطميين أخذ الولاء يتذبذب بينهم وبين العباسيين وذلك من يأتي بالأموال إلى الأمراء تصبح الخطبة له ، فما لبثت أن استقرت للعباسيين في حكم قاسم بن محمد بن جعفر<sup>(٣)</sup> ومضى أكثر من قرنين والولاة الأشراف يتعاقبون على إمارة مكة والمدينة

(١) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢/ص ١٨٤ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت . ١٩٧١م ، ج ٤/ص ٦٨ .

السباعي : تاريخ مكة ، ج ١/ص ١٢١ .

إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١/ص ٩٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) الفاسي ( تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي ) : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : أديب محمد

الغزالي ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٨ .

دحلان ( أحمد بن زيني ) : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الأولى مصر سنة ١٣٠٥هـ ، ص ١٦ .

عبد الله ( عبد الرحمن بن صالح ) : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ

/ ٢٠٠١م ، ص ١٦ .

راوه المكي ( عبد الفتاح بن حسين ) : جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، الحجون - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ،

١٤٤٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ١١٤ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٤٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ / ص ٢٦٤ .

المقريزي : إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا ، تحقيق : محمد حلمي أحمد ، القاهرة ١٩٧٣م ، ج ٢/ص ١٢٥ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣٦ - ٣٧ .

وما حولها وهم في حروب ومنازعات لا تكاد تنتهي سواء فيما بينهم أو مما يؤثر عليهم من الحكام في مصر واليمن فكل جانب يناصر فئة على الأخرى ، وهكذا لم يكن هنالك شيء من الاستقرار إزاء ذلك التنافس على حكم بلاد الحرمين بالقوة والعنف<sup>(١)</sup> .

أما المدينة المنورة فقد كانت تعيش في ظروف غلب عليها الاستقرار في معظم الأحيان ، فقد قامت بها إمارة علوية من ذرية الحسين بن علي ، بدأت بطاهر بن مسلم<sup>(٢)</sup> الذي قدمه بنو الحسين بالمدينة المنورة على أنفسهم واستقل بإمرتها سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، منذ إمارة طاهر بن مسلم استطاع بنو الحسين تكوين إمارة خاصة بهم في المدينة المنورة ، وكلا الإماراتين تتأرجحان في الولاء للدولة العباسية حيناً والدولة الفاطمية حيناً آخر على أساس الأموال المدفوعة لها وبانتظام<sup>(٣)</sup> .

#### ١ - حكم الأشراف للحجاز :

لابد للباحث خلال دراسة الأوضاع السياسية للحجاز من معرفة أمراء ذلك الإقليم الذين شغلوا دورهم السياسي في تحريك تلك المنطقة ، وأمراء مكة ينقسمون إلى ثلاث طبقات ، وتعدُّ الطبقة الأولى من الأشراف الذين حكموا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من حكمها من الأشراف الحسينيين وتداولوها وأولهم جعفر بن محمد بن الحسن سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م واستمر حكم هذه الأسرة إلى سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م وكان آخرهم شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م)<sup>(٤)</sup> ، وكان الولاء فيها خالصاً للفاطميين وبعد وفاة شكر الذي لم يكن له ولد يرثه في الحكم آل الحكم إلى أسرة أبي

---

(١) العصامي ( عبد الملك بن حسين بن عبد الله الشافعي ) : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق :

عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٤ / ص ١٩٩ .

حافظ : المدينة المنورة في التاريخ ، ص ١٤٣ .

(٢) أمير المدينة المنورة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، ولم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته .

السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج ٢ / ص ٢٥٧ .

(٣) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٤٤ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ١٤ .

الطيب ووليها محمد ابن أبي الفاتك بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن جعفر فانتزعها علي بن محمد الصليحي<sup>(٢)</sup> صاحب اليمن منهم وجعل على مكة محمد بن جعفر<sup>(٣)</sup> ، وبذلك زال حكم الطبقة الأولى من الأشراف ليحل محلها أفراد الطبقة الثانية طبقة الهواشم حيث بدأت معها ملامح سياسية جديدة في تاريخ المنطقة<sup>(٤)</sup> وقد اختلفت سياسة الهواشم عن بني سليمان في علاقتها مع الخلافتين العباسية والفاطمية ولعبت الأعطيات دورها في خدمة تلك السياسة ، فظل الهواشم يحكمون مكة طوال العصر الفاطمي الثاني الذي يمتد بضعف الدولة الفاطمية سياسياً واقتصادياً ، فاستعاض الهواشم عن الأعطيات الفاطمية بالأعطيات العباسية مع حفاظهم على بعض الشعائر الشيعية لضمان استمرار ترابطهم مع الدولة الفاطمية على الرغم من طلب الخلفاء العباسيين إلغاء عبارة حي على خير العمل من الأذان ، وبعد وفاة محمد بن جعفر سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م خلفه ابنه قاسم بن محمد وابتدأ عهده بالخطبة للعباسيين ثم ما لبث أن أقام الخطبة للفاطميين ، واستمر خلفاء الدولة الفاطمية إغداق الأعطيات على أمير مكة قاسم حتى نهاية عهده سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م<sup>(٥)</sup> ، وبوفاته أسندت أمانة مكة إلى ولده الأمير فليته بن قاسم الذي امتاز بعلاقات

(١) لم يعثر له على ترجمة . ولم يذكر المؤرخون إلا أنه تولى مكة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م .

(٢) محمد الصليحي هو الملك الكامل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عبد الجبار الصليحي حاكم الدولة الصليحية في اليمن وهو داعية الخلافة الفاطمية في الجزيرة ، توفي سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨١م .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣٢/ص ٩١ .

مالك : بلاد الحجاز ، ص ٣٥ . ٣٦ .

(٣) أبو الهاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون ابن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ( ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م ) .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧/ص ٢٨ .

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤/ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

راوه المكي : جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧/ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ . =

طيبة مع الخلافتين وأحسن السيرة وأسقط المكوس<sup>(١)</sup> وتوفي سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م<sup>(٢)</sup> ويتضح من سياسة فليته أنه استطاع أن يحافظ على توازن القوى بين العباسيين من جهة والفاطميين من جهة أخرى هادفاً من وراء ذلك إلى تثبيت أركان حكم أسرته مستفيداً من الطرفين اقتصادياً ، وقد آل الحكم من بعده إلى ابنه هاشم بن فليته الذي انحاز عن نهج والده وكان على خلاف مع العباسيين فقام بنهب الحاج العراقي في الحرم سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٥م وهم يطوفون بالكعبة لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحج العراقي وتوفي سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وقيل ٥٥١هـ / ١١٥٦م<sup>(٣)</sup> وتولى بعده ابنه قاسم الذي أساء السيرة وصادر المجاورين وأعيان مكة وكان في صراع مع عمه عيسى الذي استولى على مكة سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م حين تركها قاسم هرباً من أمير الحج العراقي فجمع قاسم الجموع ودخل بها مكة سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م ولكن رجاله انقلبوا عليه وكتبوا عمه عيسى فهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس<sup>(٤)</sup> حيث سقط عن فرسه وموته آلت

- 
- = السنجاري ( علي بن تاج الدين بن تقي الدين ) : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم ، تحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٢ / ص ٢٣٧ . ٢٣٨ .
- عبد الغني ( عارف ) : تاريخ أمراء مكة ، دار البشائر ، ( د.ت ) ، ص ٤٣٠ . ٤٣١ .
- (١) المكس في اللغة الجباية ، يقال مكسه مكساً ، والمكس هي الضرائب التي تؤخذ عن المبيعات والمشتريات أي عن التجارة يجيبها جباة المكس أي العشّارون من الأسواق ومن المواضع المخصصة لمرور التجار بها .
- ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ / ص ٢٢٠ .
- (٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٠ .
- السنجاري : منائح الكرم ، مصدر سابق ، ٢ / ٢٤٤ .
- عبد الغني ( عارف ) : تاريخ أمراء المدينة المنورة ، دار كنز للطباعة والنشر ، ( د.ت ) ص ٢٤٣ . ٢٤٤ .
- (٣) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣١٣ .
- دحلان ( أحمد بن زيني ) : أمراء البلد الحرام ، دار المتحدة للنشر ، ( د.ت ) ، ص ٣٣ .
- راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٠ .
- (٤) أبي قبيس : اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقها وقيقعان من غربها .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ / ص ٨٠ .

الأمر إلى عيسى من سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م إلى سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م<sup>(١)</sup> ، وكان عصره عصر فتن واضطرابات حيث نازعه أخوه مالك على حكم مكة وحدث بينهما قتال سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م<sup>(٢)</sup> وفي عهده حدثت فتنة بين أهل مكة والركب العراقي نهب على أثرها حجاج العراق ، كما وصل الجيش الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي بقيادة توران شاه<sup>(٣)</sup> سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م مكة لبسط سيطرته عليها وأقيمت الدعوة فيها لنور الدين زنكي<sup>(٤)</sup> ، ثم تولى إمرة مكة داوود بن عيسى بن فليته بعهد من أبيه فأحسن السيرة وعدل في الرعيّة ثم نازعه عليها أخوه مكشّر إلى أن وصل طاشتكين التتري<sup>(٥)</sup> أمير الحج العراقي سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م وحصل بينه وبين مكشّر قتال قتل فيه الكثير من الفريقين والأهالي والحجاج ونهبت الأموال

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٢ / ص ١١٧ .

السنجاري : مناقب الكرم ، ج ٢ / ص ٢٤٩ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣١٣ . ٣١٤ .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٤٦٦ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٤٦ .

(٣) شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخ صلاح الدين لأبيه توفي سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ، مؤسس الدولة الأيوبية في

اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٧٥ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٤٦٨ . ٤٦٩ .

دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ . ٣٤ .

حسين ( جميل حرب محمود ) : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٩ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٤٧ . ٤٤٩ .

(٥) طاشتكين بن عبد الله المقتفوي ، مجير الدين أمير الحج العراقي حج بالناس ستاً وعشرين حجة توفي سنة ٦٠٢هـ /

١٢٠٦م .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٧٥ .

وأحرقت الدور التي بالمعلاة <sup>(١)</sup> فكانت الغلبة لصالح طاشتكين ، فأضاف طاشتكين إمارة مكة إلى أمير المدينة المنورة قاسم بن مهنا الحسيني <sup>(٢)</sup> فاستمر عليها ثلاثة أيام حين رأى عجزه عن حملها أعاد طاشتكين إمارة مكة إلى داوود ابن عيسى واستمر هو وأخوه مكثر يتداولون إمارة مكة إلى سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، ومكثر هذا كان آخر أمراء مكة المكرمة المعروفين بالهواشم أشرف الطبقة الثانية <sup>(٣)</sup> ، وفي عهد هذه الأسرة أبطل صلاح الدين الأيوبي المكس الذي كان يتقاضاه أمير مكة من الحجاج عن طريق ميناء عيذاب <sup>(٤)</sup> أو عن طريق ميناء جدة ، وقد أصبح الدعاء في عهده للخليفة العباسي ثم للشريف مكثر بن عيسى ثم لصلاح الدين <sup>(٥)</sup> وإن انهماك مكثر عن تصريف شؤون مكة واستبداده بظلم أهلها ، واعتدائه على الحجاج والمجاورين كان دافعاً إلى قيام أمير ينبع قتادة بن إدريس بن مطاعن الذي يرجع بنسبه إلى الحسن السبط بن

(١) المعلاة : اسمها كداء موضع بأعلى مكة وهي القرية التي عند المقبرة وتسمى تلك الناحية بالمعلاة .

ابن كثير ( أبي الفداء إسماعيل الدمشقي ت ٧٧٤هـ ) : البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٤ / ص ٣٣٧ .

(٢) قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داوود بن أبي أحمد القاسم بن أبي عبد الله بن أبي القاسم ظاهر بن يحيى النسابة بن الحسين بن جعفر بن أبي جعفر عبد الله الحسيني أبو فليته المدني أمير المدينة ، ولم يذكر المؤرخين تاريخ وفاته .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ٣٧ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٧٤ . ٢٧٥ . ٢٧٦ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٥٩ . ٢٦٠ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٢ . ١٢٣ .

(٤) ميناء عيذاب : ميناء على ساحل البحر الأحمر الغربي في مصر .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١٧١ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٧٧ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢١ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ . ٥٥ .

علي بن أبي طالب <sup>(١)</sup> إلى هجومه على مكة وأخذه للأمانة فيها حيث كان قتادة هذا من العرب الرخل فاستفاد من بعض القادة الذين ساءهم حكم مكثروا وجمع الجموع الغفيرة حيث قدم مكة سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م وأخذها بعد قتال بينه وبين مكثروا وبذلك انتقل الحكم إلى أشرف الطبقة الثالثة الذين عُرفوا بآل قتادة <sup>(٢)</sup> ، وقد كان قتادة في بداية أمره حسن السيرة ثم ما لبث أن تحول إلى سياسة البطش والظلم والجور فأعاد المكوس ونهب الحجاج ، واعتدى على المدينة المنورة ودارت بينه وبين أميرها سالم بن قاسم بن مهنا ( ت ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م ) <sup>(٣)</sup> عدة معارك طمعاً منه بالاستيلاء عليها حيث كان على خلاف مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله <sup>(٤)</sup> وذلك حين استدعاه الخليفة إليه حيث تلكأ بالحضور إلى بغداد فأرسل له الخليفة معاتباً فكتب إليه الشريف قائلاً :

بلادي وإن جازت عليّ عزيزة ولو أنني أعرى بها وأجوع

<sup>(١)</sup> قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٣٩ - ٥٧ .

دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٦ .

<sup>(٢)</sup> الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣١٥ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٥١٣ .

دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٦ .

بدر ( عبد الباسط ) : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ( د . ت ) ، ج ٢ / ص ١٩٥ . ١٩٦ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٦ . ١٢٧ .

<sup>(٣)</sup> أبوه قاسم سابق الذكر .

<sup>(٤)</sup> الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله تولى الخلافة سنة ٥٧٥ هـ وتوفي سنة ٦٢٢ هـ .

السيوطي ( عبد الرحمن بن أبي بكر ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر . مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٢١٧ هـ / ١٩٥٢ م ، ص ٣٨٧ .

ولي كَفُّ ضرغامٍ إذا ما بَسَطَتْهَا

بِهَا أَشْتَرِي يَوْمَ الْوَعَى وَأَبِيعُ

مُعَوَّدَةٌ لَثَمُ الْمُلُوكِ لَظْهَرِهَا

وَفِي بَطْنِهَا لِلْمُجْدَبِينَ رِبِيعُ

أَتَرَكْهَا تَحْتَ الرِّهَانِ وَأَتَبَّغِي

بِهَا بَدَلًا لِي إِذَا لَرَقِيعُ

وَمَا أَنَا إِلَّا الْمِسْكُ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ

يَضُوعُ وَأَمَّا عِنْدَكُمْ فَيَضِيعُ

وقد توفي مقتولاً على يد ابنه الحسن سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وقام النزاع من بعده بين ولديه الحسن وراجح<sup>(١)</sup> حتى جاء الملك المسعود<sup>(٢)</sup> في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م أو التي بعدها واستولى على مكة وطرد منها الحسن وترك فيها نائبه عمر<sup>(٣)</sup> بن علي بن رسول<sup>(٤)</sup> ، وأصبح أمير البلاد في تلك الفترة راجح بن

---

(١) ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : حسنين محمد ربيع راجعه وقدم عليه سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر . مطبعة دار الكتاب ١٩٧٢ م ، ج ٤ / ص ١٢١ . ١٢٢ . ١٢٣ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٥١٤ .

دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٧ . ٣٨ . ٣٩ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ١٩٦ . ١٩٧ . ٢٠٣ . ٢٠٤ .

(٢) يوسف بن محمد بن أبي بكر محمد بن أيوب الملك المسعود ابن الملك الكامل أبي المعالي ابن الملك العادل صاحب اليمن ومكة أخ صلاح الدين الأيوبي المتوفي سنة ٦٢٦هـ .

الفاشي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٤٩٢ - ٤٩٤ .

(٣) عمر بن علي بن رسول التركماني الغساني وهو من ذرية جبلة بن الأيهم الغساني وهو مؤسس الدولة الرسولية في اليمن سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م وتوفي سنة ٦٤٧هـ / ١١٥٢م .

الخزرجي ( علي بن الحسن ) : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عني بتصحيحه وتنقيحه الشيخ محمد بسيوني عسل ، مركز الآداب والبحوث اليمني صنعاء ، دار الآداب . بيروت ، لبنان ، ج ١ / ص ٥٢ . ٥٣ . ٨١ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٨ .

(٤) ابن فهد ( النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد ) : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق فهد محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ج ٣ / ص ٣٤ . ٣٥ . =

قتادة الذي كان موالياً للرسوليين حكام اليمن في صراعهم مع الأيوبيين حكام مصر والشام للسيطرة على الحجاز ، وقد انتزعت منه ثمانية مرات وكان آخرها سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م<sup>(١)</sup> حين استولى على الحكم الشريف إدريس بن علي بن قتادة وابن أخيه الشريف<sup>(٢)</sup> أبو نمي الأول حيث تشاركوا في الإمارة حتى سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧١م إلى حين قتل أبو نمي عمه إدريس واستبد بأمر البلاد حتى وفاته سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٢م وكانت فترة حكمه تلك فترة مليئة بالاضطرابات لم تعرف مكة فيها الهدوء حيث كانت ذروة الصراع بينه وبين جماز صاحب المدينة ، وبعد موت أبي نمي دخلت مكة مرحلة من الصراع بين أولاده الأربعة عطيفة ورميثة وحميضة وأبو الغيث<sup>(٣)</sup> .

أما المدينة المنورة فقد حكمها طاهر بن مسلم الحسيني سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م<sup>(٤)</sup> وامتد حكم أسرته لها ولم

---

= المقرئ ( تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد

عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ /

١٩٩٧م ، ج ١ / ص ٣١٣ .

الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣١٦ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٩٠ . ٢٩٢ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٨ .

(١) راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٣٥ .

(٢) محمد بن الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس ( ت ٧٠١هـ / ١٣٠٢م ) .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٥٥٨ .

المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ / ص ٤٨١ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٦٠ . ١٦١ .

(٣) السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣١٦ . ٣٢٠ . ٣٢٤ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٦٣ . ١٦٤ . ١٦٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ / ص ١٠٠ .

الأنصاري ( عبد القدوس ) : آثار المدينة المنورة ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٤٣ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٤٤ =

تتبدل تلك الأسرة في هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث فاقترضت معظم المصادر ذكر أولئك الأمراء وأحوالهم كما أنها لم تذكر إلا الصراعات التي كانت بين بعض أمرائهم وأمراء مكة .  
والمدينة المنورة لم تكن بالحال التي كانت عليها مكة على الرغم من أنها كانت توالي الفاطميين تارة والعباسيين تارة أخرى<sup>(١)</sup> وقد عاشت بهدوء وشهدت استقراراً لم تعرفه مكة خلال حكم الأشراف لها ، حيث أنها لم تتأثر بالأعطيات بسبب ما فيها من خيرات<sup>(٢)</sup> ولعل قاسم بن مهنا الحسيني الذي حكم في النصف الثاني من القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي الذي ورد إليه أمر الخليفة العباسي حكم مكة أيام مكث سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م هو من أبرز أمرائها ، وقد أتى بعده الأمير سالم بن مهنا الحسيني الذي عرف بالصراع بينه وبين قتادة<sup>(٣)</sup> ، ثم ولي المدينة سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م الأمير جمار بن أبي فليته وهو جد الجمامزة ليستمر حكم أولئك الأشراف للمدينة حتى القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي<sup>(٤)</sup> .

ومما تقدم يمكن القول أن الحجاز كان يتمتع في ظل حكم الأشراف ببعض الاستقلال الذاتي على الرغم من عدم وجود أي انجازات استقلالية لأولئك الأمراء ، حيث كان شغلهم الشاغل هو جمع الأموال والصراع فيما بينهم في حين انشغلوا عن حماية الحجاج وتأمين حاجياتهم على الرغم مما أخذوه منهم من مكوس وجبايات حتى وصل الأمر ببعضهم إلى نهبه لهم وذلك حال قتادة بن إدريس على الرغم من

---

= مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٥١ .

(١) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٧٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣١ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣٢ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ص ٢٣١ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦١ .

(٤) حافظ : المدينة المنورة في التاريخ ، ص ١٤٤ .

محاولات بعضهم الحفاظ على التوازن في العلاقة بين الدولتين العباسية والفاطمية .

## ٢ - الأوضاع الداخلية في الحجاز

القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين هما من أشد القرون توتراً في العالم الإسلامي فهناك صراعات بين خلافتين عظيمتين بالإضافة إلى صراعات داخلية بين كثير من أمراء العالم الإسلامي ، انطلاقاً من السلاجقة وحتى الأيوبيين والرسوليين ومن ثم المماليك بالإضافة إلى القوى الخارجية التي اقتحمت المنطقة ابتداءً بالغزو الصليبي وانتهاءً بالاجتياح المغولي ، فعلى الرغم من أن الحجاز لم يتأثر كثيراً بما يدور في العالم الإسلامي على المستوى العسكري ، حيث أنه لم يتعرض لأي هجمة من تلك الهجمات لكنه تأثر سياسياً بهذا الوضع المفروض في المنطقة ، وذلك لصراع أمراء المسلمين أنفسهم للسيطرة ومدّ النفوذ على هذا الإقليم لأهميته الاستراتيجية التي تجذب أنظار المسلمين من شتى البقاع بالإضافة إلى موقعه الهام على طرق التجارة الواصلة إلى الهند . وبما أن موضوع هذا البحث هو دراسة الحياة الفكرية في الحجاز فيكتفى هنا بإيراد أهم الأوضاع الداخلية التي مرت على الحجاز خلال فترة هذه الدراسة .

من المؤكد أن هذين القرنين لم يشهدا استقراراً سياسياً والناظر إلى عدد أمراء تلك الحقبة يمكنه معرفة ذلك، حيث أن التوتر السياسي والصراع على السلطة هو الذي كان سائداً ، وقد عرف الحجاز خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري التذبذب في الولاء للخلافتين الفاطمية والعباسية ، في حين شهد النصف الثاني من القرن السادس ولاءً خالصاً للعباسيين وخصوصاً بعد زوال الدولة الفاطمية ، ولكن هذا الولاء كان يصحبه ولاء يتبع للقوة التي تسيطر على الحجاز ابتداءً بالأيوبيين ومروراً بالرسوليين وانتهاءً بالمماليك. ويمكن تقسيم هذا الصراع إلى قسمين:

### أ . صراع أمراء مكة على السلطة :

شهدت مكة خلال حكم الأشراف تنافساً على الحكم فيها بين أفراد الأسرة الواحدة ، ففي ظل أسرة الهواشم كانت حدة الصراع بين عيسى بن فليته وابن أخيه قاسم بن هاشم بن فليته الذي كان يحكم مكة و هذا الصراع انتهى بموت قاسم سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م عند سقوطه من أعلى جبل أبي قبيس كما مرّ

ذكره ، ثم ما لبث هذا الصراع أن تأجج بين مالك بن فليته ضد أخيه عيسى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م<sup>(١)</sup> فاستقر الأمر لعيسى بعد وفاة أخيه مالك حتى توفي فخلفه ابنه داوود الذي نازعه أخيه مكثراً على الإمارة وأخذها منه سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م وبني فيها حصناً على جبل أبي قبيس وظلت مكة تحت إمرته حتى قدوم توران شاه أخ صلاح الدين عائداً من اليمن إلى الشام حيث أصلح بينهما ، ثم قدم في موسم الحج الجيش العباسي مع الركب العراقي بقيادة طاشتكين أمير الحاج العراقي ودارت بينهما معركة أحرقت خلالها بعض الدور في مكة ونهبت أموال التجار والحجاج وقتل من الفريقين والأهالي والحجاج الكثير ، ثم قام طاشتكين بتولية قاسم بن مهنا الحسيني أميراً لمكة فضلاً عن كونه أمير المدينة الذي رأى في نفسه العجز عن إدارة شؤونها فأعاد الأمر إلى داوود الذي تناوب هو وأخيه مكثراً على حكمها<sup>(٢)</sup> حتى قدوم أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير ينبع وانتزعها منه سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م واستمر حكمه لها إلى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م حيث قتله ابنه الحسن وأخذ إمرتها بدلاً منه ، ثم ما لبث أن أرسل إلى أخاه من ينبع وقتله كي لا ينازعه على السلطة<sup>(٣)</sup> ودار بينه وبين أخيه راجح صراعات انتهت بطرده من مكة على يد الملك

(١) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٣٢ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٥٣ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٤٦ .

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٣٦ . ٥٣٧ . ٥٣٨ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٥٦ . ٢٥٧ .

الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣١٤ .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٢٧٤ . ٢٧٥ . ٢٧٦ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢١ . ١٢٢ . ١٢٣ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٤٦ . ٤٤٨ . ٤٥١ . ٤٥٥ . ٤٥٦ .

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٢٧ . ٢٨ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٦٦ . ٢٦٨ . ٢٨٦ . ٢٨٧ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٦٤ . ٤٧٠ .

المسعود بن الملك الكامل صاحب اليمن سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م<sup>(١)</sup> ، وفي أواخر عهد الأيوبيين خضعت مكة لإمرة أبي نمي وعمه إدريس اللذان تناوبا على السلطة فيها سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م وانتهى هذا الصراع بقتل إدريس على يد ابن أخيه أبي نمي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م حيث آلت الأمور بعد ذلك إلى أبي نمي<sup>(٢)</sup> الذي حكم مكة إلى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م وتنازع أولاده من بعده على السلطة<sup>(٣)</sup> .

### ب - النفوذ الخارجي وآثاره السياسية على الحجاز :

على الرغم من بُعد الحجاز عن مسرح الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، إلا أن النزاع بين أمرائه على مدّ النفوذ وخاصة من جهة مكة نحو المدينة التي تنعم بالخيرات ، وكان هذا الصراع هو الذريعة التي تذرّع بها كلٌّ من الفاطميين والعباسيين والأيوبيين و الرسوليين والمماليك لأخذ الولاء من أولئك الأمراء حيث كان يستعان بأمر ضد الآخر وتُسَيَّر معه الجيوش ، فمنذ أن حصلت كلاً من مكة والمدينة على استقلالها الذاتي ، حيث أسس الحسينيون حكمهم في مكة سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، في حين أسس الحسينيون حكمهم في المدينة سنة

---

(١) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٣٤ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٨٨ . ٢٨٩ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٧ . ١٢٨ . ١٣١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣٢٠ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٣٦ . ٢٣٧ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٩٩ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٢٠ . ٣٢١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٣٢١ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٣٧ . ٢٣٨ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ١٣٤ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٢٤ . ٣٢٥ .

٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م<sup>(١)</sup> ، ظلت حالة الود بين أمراء مكة والمدينة حتى أعلن بنو مهنا خروجهم عن طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي<sup>(٢)</sup> الذي كلف أبو الفتوح بإخضاعهم وإعلان طاعتهم له<sup>(٣)</sup> ، ثم تجدد الخلاف بين شكر بن أبي الفتوح وآل مهنا حكام المدينة عندما استعانت بشكر بعض القبائل حيث تمكن من إخضاع المدينة ولقب بملك الحجاز وذلك سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥٢ م ، ثم ما لبث أن أعيد بنو مهنا إلى إمرة المدينة بعد أن عقد صلح بينهم سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م<sup>(٤)</sup> ، وظلت الأمور هادئة قرابة قرن ونصف من الزمن ولم يلحظ خلالها سوى حكم قاسم بن مهنا سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م ملكة بأمر من الخليفة العباسي ، ثم ما لبث أن تنازل عنها بعد ثلاثة أيام لداوود بن عيسى لعجزه عن تصريف أمورها كما سلف ذكره<sup>(٥)</sup> ،

(١) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٤٤ .

(٢) الحاكم بأمر الله الفاطمي : الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز الفاطمي المستنصر بالله أبو تميم ، تولى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، وكان سادس الملوك العبيديين تولى وعمره إحدى عشرة سنة ، توفي سنة ٤١١ هـ / ١٠٢١ م .  
العلمي ( مجير الدين الحنبلي ) : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس . عمان ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ج ١ / ص ٤١٨ .

(٣) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٠ .

السباعي : تأريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٢٧ .

(٤) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٠ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ١٨ .

السباعي : تأريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٣٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٠ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٣٢ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٥٧ .

العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٢٢١ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٥٥ .

عبد الغني : تاريخ أمراء المدينة ، ص ٢٤٨ .

وحيثما تولى الشريف قتادة بن إدريس أمير ينبع أمر مكة سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م أراد أن يمد نفوذه إلى المدينة المنورة فبدأ سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٥ م يعد عدته لغزو المدينة ولكن أميرها تصدى لحملة وألحق به الهزيمة<sup>(١)</sup> وبذلك استمرت الحروب بين أمير المدينة سالم بن قاسم بن مهنا وقتادة بن إدريس أكثر من ثلاثة أعوام دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساوياً وانتهى أخيراً بعقد صلح بينهما<sup>(٢)</sup> إلى أن وقع خلاف بين قتادة وأمير الركب العراقي استفحل خطره حينما أرسل الخليفة العباسي جيشاً يقوده سالم بن مهنا أمير المدينة سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م الذي هُزم بانتصار قتادة عليه<sup>(٣)</sup> ، ثم ما لبث أن خرج الأمير سالم بن قاسم أمير المدينة لمحاربة قتادة في مكة بمدد من الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي<sup>(٤)</sup> سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م وقيل ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م فتوفي سالم على الطريق ودخل جيش الأيوبيين مكة وانتصر على قتادة<sup>(٥)</sup> ، وقد سار قاسم بن جهاز الذي تسلم الحكم بعد سالم في المدينة على سياسة خلفه،

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٤١ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٦٩ . ٢٧٠ .

دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٧ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٤٣ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ١٩٦ . ١٩٧ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦١ .

(٣) عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٦٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦١ .

(٤) الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك دمشق والشام ، المتوفى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م .

ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية ، ج ٩ / ص ٢٩٣ .

(٥) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ / ص ٢٩٩ . ٣٠٠ .

العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٢٢٥ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٢٧٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٢ =

واهتم بالجانب العسكري اهتماماً كبيراً ، وأخذ يتطلع إلى مدّ نفوذه على مكة ، ولكن قتادة طلب النجدة من الملك الكامل الأيوبي سلطان مصر فأجابه إلى ذلك لخوفه من امتداد نفوذ أخيه الملك العادل سلطان الشام الذي ارتبط بعلاقات وثيقة مع أمراء المدينة وأرسل قوة نزلت في ينبع وفرضت حمايتها عليها ، ثم دارت معركة بين قوات قاسم و قتادة انتهت بهزيمة قاسم بن جمار ، وعلى الرغم مما حدث لم تتأثر المدينة بعلاقتها مع الأيوبيين بل حافظت على ودّها القديم<sup>(١)</sup> وبعد قدوم الملك المسعود صاحب اليمن إلى مكة وطرده للحسن بن قتادة حيث عين نائبه عمر بن علي بن رسول فيها<sup>(٢)</sup> ، فلجأ راجح بن قتادة إلى أمير المدينة قاسم بن جمار ليعينه على إعادة مكة إلى آل قتادة من الأيوبيين فوافقه على ذلك وخرج معه بجيشه فحاصروا مكة لمدة شهر وقاسم مصرّ على اقتحام مكة فخرج إليه عمر بن رسول بقواته والتقى الطرفان وقُتل قاسم وانهزم جيشه<sup>(٣)</sup> ، وبذلك دفع ثمن تأييده لهذه الأسرة متناسياً دمويتها وظلمها للناس بالإضافة

---

= بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٠٤ .

(١) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٠٤ . ٢٠٥ .

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٢٣٠ . ٢٣١ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣ / ص ٣٤ . ٣٥ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢٤ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٣٢ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٥ . ٥٩ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٠٨ .

(٣) السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣ / ص ٣٩ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢٥ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٨٢ . ٤٨٣ . ٤٨٤ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٠٩ .

إلى ما قدمه الأيوبيون له من دعم ، وفي عصر شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا <sup>(١)</sup> كانت ذروة الصراع بين الأيوبيين والرسوليين على حكم الحجاز فتدخل شيحة سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢م إلى جانب القوات الأيوبية التي جاءت لتخليص مكة من أيدي الرسوليين حكام اليمن بقيادة طغتكين التركي <sup>(٢)</sup> وانتصرت القوات الأيوبية مع جيش شيحة <sup>(٣)</sup> ، ولكن إباحة طغتكين لجنوده استدعت غضب شيحة وعودته إلى المدينة ، وقرر ألا يشترك مع الجيش المصري في أحداث مكة المتوالية وبقي محافظاً على حياده هذا في الصراع الذي استمر سبع سنوات متوالية أي إلى عام ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠م ، حيث كان كل من الأيوبيين والرسوليين يستولي على مكة مدة من الزمن ثم يخليها عندما تأتي قوة كبيرة للطرف الآخر <sup>(٤)</sup> ، ثم ما لبث أن قاد شيحة الجيش الأيوبي بأمر من الملك الصالح واستولى على مكة دون قتال ، ثم خرج منها خوفاً من الجيش الذي أعده الرسوليين لاحتلالها لعدم قدرته على مواجهة هذا الجيش <sup>(٥)</sup> ، وبذلك أصبح مشغولاً

---

(١) شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ( ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ) : بعد مقتل أمير المدينة قاسم بن جهاز كان ابن عمه شيحة بن هاشم نازلاً عند أحد الأعراب قرب المدينة ، فلما بلغه مصرع قاسم استغل الظروف وجمع الأعراب ودخل دار الإمارة في المدينة فاستولى على السلطة دون إراقة دماء .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ . ٢١١ .

(٢) طغتكين التركي بن عبد الله الكامل .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٩٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٢٢ . ٢٣ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٠١ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢٦ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٥٥ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٧٦ .

(٤) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢١٣ .

(٥) الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٣٤ .

العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٢٣٤ =

بالصراع الأيوبي الرسولي بدلاً من تدبير أمور المدينة فطلب المدد من الملك الصالح الذي لبي طلبه وجهزه بجيش كبير يفوق عدده الجيش اليمني<sup>(١)</sup> والمدهش أن الملك الصالح الذي كان يواجه الإعصار الصليبي الذي يهدد مصر ، والذي استولى على بعض مدنها الساحلية لبعض الوقت ، قد انغمس أيضاً في هذا الصراع الهامشي على السلطة والنفوذ ، والمؤلم أن تشتت الجهود الإسلامية في وقت كانت فيه كتائب الصليبيين تحاول استعادة ما انتزعه منها صلاح الدين وأخوه الملك العادل ، وكانت زخوف التتار تهدد الأمصار الإسلامية في الشمال والشرق وتندرب بقرب توجهها نحو الشام والعراق ، ومع ذلك كانت حمى الصراع على الإمارة تستنزف الجهود والأموال ولم يستنزف الدماء لأن ذلك الصراع كان استعراضاً للقوة ليس أكثر فمن يجمع حشوداً ضخمة يدخل مكة وينسحب أمامه خصمه ، ليعد حشوداً أضخم ويأخذ مكانه بعد حين .

وظل الوضع على حاله حتى قدوم عمر بن علي بن رسول إلى مكة مع قواته حيث تركها شيخة<sup>(٢)</sup> لوصول أخبار إليه عن هجوم الأعراب على المدينة وطمع الجمامرة أولاد عمه في انتزاع السلطة منه ، ففوجئ بغلبتهم عليه ثم أعاد تشكيل قواته ودخل المدينة واستخلصها لنفسه ، وكان ذلك درساً قاسياً للأمير شيخة أقنعه بالابتعاد نهائياً عن هذا الصراع حتى نهاية الحكم الأيوبي في مصر<sup>(٣)</sup> ، ولكن ولده جمار الذي تسلم

---

= السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣ / ص ٥٦ . ٥٧ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ٦٦ . ٦٧ .

حافظ : المدينة المنورة في التاريخ ، ص ٤٤ . ٥١ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٠ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢١٤ .

(١) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢١٥ . ٢١٦ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ٧٠ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢١٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٠ .

(٣) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢١٩ . ٢٢٠ .

الحكم سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م عاد إلى التدخل في الصراع ولكن هذه المرة كان موقفه مع أمراء مكة ضد الرسوليين ، ففي سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م ناصر الشريفان إدريس بن قتادة وأبي نمي في حربهم ضد الرسوليين فهزموا أمام القوات الرسولية ، ثم أعادوا تشكيل قواتهم واستطاعوا سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م استخلاص مكة من الرسوليين<sup>(١)</sup> ، ثم تنازل جماز لأخيه منيف بن شيحة عن السلطة ، وبعد وفاة منيف الذي حكم المدينة أربع سنوات عاد جماز إلى السلطة فتناوب مع ابن أخيه مالك بن منيف حتى سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م حيث طرد جماز ابن أخيه الذي التجأ إلى الظاهر بيبرس فتوسط له عند جماز فعاد شريكاً له<sup>(٢)</sup> ، ثم ما لبث مالك أن ردّ له الصاع وأخرجه من المدينة فالتجأ إلى أميري مكة إدريس وابن أخيه أبي نمي اللذان ناصراه وحاصرا المدينة دون جدوى وظل وحده خارج المدينة لكن مالك راسله وتنازل عن إمرة المدينة حقناً للدماء طوعاً لا كرها<sup>(٣)</sup> وظلت العلاقات بين جماز والظاهر بيبرس غير ودية على الرغم من اهتمام بيبرس بالحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup> ، وبعد مقتل إدريس على يد ابن أخيه أبي نمي استعان ابنه غانم بن إدريس سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م بجماز أمير المدينة الذي قدم معه بقواته إلى مكة وطرد أبي نمي منها فاستعان أبو نمي ببعض أقاربه ومناصريه خارج مكة وهاجم جماز وغانم وأخرجهما من مكة بعد أربعين يوماً من خروجه منها<sup>(٥)</sup> ، وظل جماز يناصر آل قتادة حتى تمكن أبي نمي من هزمته بالقرب من مكة سنة ٦٧٥هـ

(١) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٢٢ . ٢٢٣ .

(٢) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ / ص ٤٤ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٣٧ . ٢٣٨ .

(٣) عبد الغني : تاريخ أمراء المدينة ، ص ٢٦٦ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٣٨ . ٢٣٩ .

(٤) بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٤٠ .

(٥) الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ٢٣٧ .

الشافعي العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٢٤٠ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٢١ .

المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ / ص ٧٩ . =

١٢٧٦م<sup>(١)</sup> وعقد الصلح بين جماز وأبي نمي ومع المماليك في مصر واستمر هذا الصلح إلى سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م حين أمر السلطان المملوكي قلاوون<sup>(٢)</sup> تأديب أبي نمي لولائه للرسولين حكام اليمن فخرج جماز مع الأمير الجماعي قائد الجيش المملوكي فوصلا مكة التي هرب منها أبو نمي ولكن أبي نمي تأمر هو و الجماعي مع ابنته زوجة جماز ضده فدست له السم فعلم جماز بالمؤامرة فرحل عنها إلى المدينة وقبض على الجماعي وأرسله إلى السلطان قلاوون مقيداً فعزله السلطان عن وظيفته وسجنه<sup>(٣)</sup> .

وانتهى القرن السابع بانتقال السلطة إلى أولاد أبي نمي في مكة وأولاد جماز في المدينة .

وخلاصة القول أن الحجاز عرف إمارتين مستقلتين عن بعضهما هما إمارة مكة وإمارة المدينة سيطر التنافس بين هاتين الإمارتين لمدّ نفوذ كل واحدة منهما على الأخرى مستعيناً ببعض القوى الخارجية مما أثر سلباً في العلاقة غير الودية بين أولاد العمومة على الرغم من عدم وجود أي إنجازات استقلالية لأي إمارة منهما حيث كان السبب الحقيقي وراء ذلك التدخل الخارجي من قبل جميع القوى المتصارعة في المنطقة وذلك للأهمية الدينية المنقطعة النظير لهذا الإقليم بالإضافة إلى الموقع التجاري الهام على طريق القوافل الذي شجع جميع الأطراف على بسط نفوذها في الحجاز في وقت كان الأولى للمسلمين فيه حماية ممتلكاتهم والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية القادمة إلى المنطقة كما أن مكة عرفت حالة من الاضطراب السياسي لتنافس أمرائها على السلطة فيما بينهم في حين عاشت المدينة المنورة حالة من السكينة والهدوء لم تكن لتوجد بمكة

---

= السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٩٤ . ٢٩٥ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٥٣٥ .

(١) السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣ / ص ١١٨ . ١١٩ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٥٢٤ . ٥٢٥ .

(٢) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي سابع ملوك الترك بالديار المصرية ( ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ) .

السخاوي : اللتحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٣٨٦ .

(٣) السنجاري : منائح الكرم ، ج ٣ / ص ١١٨ . ١١٩ .

الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٥٢٤ . ٥٢٥ .

رغم الحروب التي دارت بين أمرائهم ، كما ترك الصراع الفاطمي العباسي للسيطرة ومدّ النفوذ عليها أثراً إيجابياً على نواحي الحياة كافة وتجلى ذلك في إغداق الأعطيات على أهل الحرمين ، وإن وجود الحرمين في ذلك الإقليم جعل منه أهمية كبرى فكان محطاً للصراع بين أكبر القوى المتواجدة في مصر والشام واليمن مما استنزف القوى الإسلامية فأضعف قدرة تلك القوى على الوقوف في وجه العدوان الخارجي المترص بالعالم الإسلامي .

### **ثالثاً - الأوضاع الاقتصادية في الحجاز :**

بعد دراسة أهم الأوضاع السياسية التي مرّ بها الحجاز خلال القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد لا بدّ من المرور سريعاً لمعرفة الأوضاع الاقتصادية لذلك الإقليم ، لأن الحياة الاقتصادية تؤثر بشكل كبير على الأوضاع الفكرية .

علماً بأن للحجاز بيئة خاصة ومميزة ، فهي تجمع السهول والجبال والمنخفضات والحرار والأودية والصحارى كلها جنباً إلى جنب، فمكة منخفضة وتحيط بها الجبال ويغلب عليها القيقظ والحرارة طوال العام تقريباً ما عدا فصل الشتاء وبجوارها الطائف مرتفعة فوق جبال السراة معتدلة الجو أرضها خصبة وهواؤها عليل و السهول من ناحية البحر الأحمر فقيرة النبات وبعض المناطق قرب المدينة النبوية غنية بنباتاتها . إن هذا التباين والاختلاف في بيئات الحجاز جعلها مختلفة كذلك في الموارد وبالتالي وقع الاختلاف في الحرف العامة لدى سكانه ، وقد كان لقلة الموارد في مكة وعدم ملاءمتها للزراعة أثر كبير في اتجاه أهلها إلى التجارة في حين أن تنوع البيئة في الحجاز جعل الكثير من القبائل تمتهن الرعي والصيد والزراعة بالإضافة إلى التجارة كما هو الحال في المدينة .

ويمكن تقسيم الحياة الاقتصادية في الحجاز إلى قسمين :

#### **١ - عوامل ازدهار النشاط الاقتصادي :**

تأتي أهمية الحجاز الاقتصادية من موقعه المتميز على طرق التجارة العالمية الواصلة من الهند واليمن وصولاً

إلى بلاد الشام ومصر عبر طرقه البرية والبحرية إضافة إلى أهميته الدينية وما يفد إليه الحجاج في كل عام ، كما أنه لاقى الكثير من الاهتمام من الجهات الخارجية التي كانت تأتي إليه بالمساعدات ، ويمكن تلخيص العوامل المؤثرة بالنشاط الاقتصادي بالآتي :

#### أ - التجارة الداخلية والخارجية :

مكة منطقة جافة أمطارها قليلة لا تكفي للزراعة لهذا اتجه أهلها نحو التجارة وساعدهم على ذلك وقوعها على الطريق البري البحري التجاري الذي يربط اليمن من جهة والعراق وبلاد الشام ومصر من جهة أخرى<sup>(١)</sup> ، وقد اعتمدت مكة في مصادرها الغذائية على ما يأتي به أهالي القرى المجاورة لها خاصة وادي مّر<sup>(٢)</sup> ووادي نخلة<sup>(٣)</sup> ، حيث تأتي منهما الفواكه والخضراوات<sup>(٤)</sup> ، كما كانت الطائف منذ القدم تمد مكة بالفواكه<sup>(٥)</sup> ، وكذلك أهالي جبال السراة الذين يحملون معهم الحبوب والسمن والزبيب واللوز<sup>(٦)</sup>

---

(١) العسلي ( خالد صالح ) : إدارة مكة قبل الإسلام ، المؤرخ العربي البغدادي . بغداد . ١٩٩١م ، ص ١٥١ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٧٦ .

(٢) وادي مّر : هو مّر الظهران موضع على مرحلة من مكة وبه عيون كثيرة .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ / ص ١٠٤ .

(٣) وادي نخلة : نخلة الشامية أحد رافدي مّر الظهران ، ونخلة اسم لعدد من المواضع في الحجاز .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ / ص ٢٧٧ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

ابن بطوطة ( محمد بن عبد الله ت ٧٧٩هـ ) : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق : علي الكتاني ، الطبعة الأولى ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ج ٢ / ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

ابن بطوطة : تحفة النظار، ص ١٦٠ .

بالإضافة إلى ما يزرع في مكة من حبوب وشعير وسلت<sup>(١)</sup> ، وجميعها يزرع على المطر<sup>(٢)</sup> ، ومما ساعد على ازدهار تجارة مكة والمدينة الخارجية أهميتهما الدينية لوجود الكعبة المشرفة والمسجد النبوي فيهما وغيرهما من الأماكن المقدسة كمنى وعرفات حيث يفد إليهم عشرات الآلاف لتأدية مناسك الحج والعمرة فيعملون على تنشيط الأسواق التجارية التي تجتمع فيها البضائع المختلفة القادمة من بلاد اليمن<sup>(٣)</sup> والهند ومصر والشام وبلاد السودان والحبشة وبلاد الأندلس والمغرب وغيرها سواء عن طريق البر أو البحر<sup>(٤)</sup> ، إضافة إلى قربهما من البحر الأحمر وامتلاكهما بعض الموانئ التجارية على شواطئه كجدة وينبع<sup>(٥)</sup> فبذلك أصبحت مكة والمدينة سوقاً مزدهرة فكل ما يحتاجه الحاج يجده فيهما<sup>(٦)</sup> .

### ب - ما ينفقه الحجاج في مواسم الحج :

يعدّ هذا المصدر مورداً مالياً اعتمدت عليه مكة والمدينة في اقتصادهما ، وكان لسلطين الأيوبيين والمماليك أثر كبير في رواج موسم الحج لما قدموه من مساعدة في تحسين طرق الحج وإقامة المرافق من حفر الآبار وبناء المنازل والخانات وغير ذلك تسهيلاً لقدم الحجاج إلى مكة<sup>(٧)</sup> ، فقد كان الحجاج يقدون إلى مكة

---

(١) السلت : ضرب من الشعير الحامض، وقيل السلت شعير لا قشر له أجرد كأنه الخنطة يكون بالغور والحجاز .

ابن منظور : لسان العرب، ج ٢/ص ٤٧ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤/ص ٢٥٣ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢/ص ٤٣٤ . ٤٤١ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢/ص ٤٤٠ . ٤٤١ .

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤/ص ٢٨١ .

(٥) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٧ .

(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٩٧ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٦ .

(٧) السليمان ( علي بن حسين ) : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلطين المماليك ، القاهرة ، الشركة المتحدة للنشر

والتوزيع ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ١٧٢ .

والمدينة للحج والتجارة معاً فيأتون ببضائعهم الكثيرة والمتنوعة ويعرضونها في أسواقها ، وقد ذكر ابن جبير :  
( أن مكة هي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومرافق ومتاجر ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم ففيه  
يجتمع أهل المشرق والمغرب فيباع فيها في يوم واحد من مختلف البضائع والأغذية والألبسة ما لا يباع في  
غيرها على مدى أشهر وفضلاً عن ذلك هناك الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار <sup>(١)</sup>  
إضافة إلى ما يحدث من تبادل السلع في أسواق مكة من رواج في الحركة التجارية وزيادة في دخل القاطنين  
بمكة وما ينفقه هؤلاء التجار في شراء السلع الجديدة ويجعل ذلك كله مكة والمدينة مركز التجارة الرئيسي  
الذي يبيع فيه تجار الشرق سلعهم ليشتروا سلعاً أخرى ليعودوا بها إلى بلادهم <sup>(٢)</sup> .

### جـ- الأوقاف وصدقات السلاطين والأمراء وغيرهم من المحسنين :

إن هذا المورد لا يوجد في اقتصاد أي دولة من الدول أو أمانة من الإمارات غير مكة والمدينة لوجود  
الأماكن المقدسة بهما ، إضافة إلى الصدقات التي كانت تصل من الخلافتين الفاطمية والعباسية في كل سنة ،  
فقد أرسل الكثير من أمراء العالم الإسلامي الأموال لمساعدة أهل الحرمين ، ومن أهم تلك الصدقات  
صدقات وزير صاحب الموصل محمد بن علي <sup>(٣)</sup> الذي عرف بالجواد لسعة جوده فأجرى الماء إلى عرفات  
وبنى سور المدينة الشريفة وعمر ما خرب من المسجد النبوي وبنى رباطاً بالمدينة المنورة ، وكان يحمل في كل  
سنة لفقراء الحرمين والمجاورين ما يكفيهم لسنة كاملة <sup>(٤)</sup> ، كما أجرى نور الدين زنكي الأعطيات على

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٩٩ .

(٢) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٧٣ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٩٩ .

(٣) محمد بن علي بن أبي منصور ، الصَّاحِب جمال الدين أبو جعفر الأصبهاني ، الملقب بالجواد ، وتوفي سنة ٥٥٩ هـ /

١١٦٤ م .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٢ / ص ١٦٣ .

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٤٠ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٢ / ص ١٦٣ =

ساكني الحرمين ومجاوري المسجدين وجهاز عسكرياً يحفظ المدينة وأقطع أمير مكة ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس وأقطع أمراء العرب لثلاً يتعرضوا للحجاج وأمر بإكمال سور مدينة الرسول واستخراج العين التي بأحد وكان الملك المنصور عمر بن رسول يرسل كل سنة بصدقة عظيمة إلى مكة يصل بها كل من كان في مكة من المجاورين وأهل مكة <sup>(١)</sup> كما تصدق ابنه الملك المظفر <sup>(٢)</sup> عند خروجه لأداء فريضة الحج التي وصلت كل منزل بمكة وعمت جميع الحجاج والمجاورين سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م <sup>(٣)</sup> ، وتأتي صدقات السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري متوجة لكل تلك الصدقات فقد كان يرسل الكسوة إلى الكعبة المشرفة كل سنة ، كما أنه عمّر المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الذي أصابه سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م بالإضافة إلى إبطاله المكوس والصدقات التي تصدق بها أثناء حجه سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩م

---

= العامري ( يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين الحرّضي اليماني ٨١٦هـ / ٨٩٣ هـ ) : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعيي العمر ، طبع في مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٣٩ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥١٤ - ٥١٥ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

<sup>(١)</sup> ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٥٤ .

الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ٥٩ .

<sup>(٢)</sup> يوسف بن عمر بن علي بن رسول بن الملك المنصور صاحب اليمن (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) .

الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٤٨٩ .

<sup>(٣)</sup> ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٧٠ - ٧١ .

الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٤٨٩ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ١٢٤ - ١٢٥ .

أو التي بعدها فعمت جميع أهل الحرمين<sup>(١)</sup> .

## ء - المكوس :

كانت هذه الضريبة خاصة بأمراء الحرمين تُجَب من الحجاج والتجار القادمين إلى مكة في ميناء عيذاب ومن لم تُجَب منه في عيذاب جبت منه في جدة ومقدارها سبعة دنانير مصرية ونصف على كل إنسان ومن لم يؤد المكس يعاقب بأشد أنواع العقوبات إلى حين إسقاط صلاح الدين مكس الحاج وعوض أمير مكة ألفي دينار وثمانية آلاف إردب<sup>(٢)</sup> من القمح إضافة إلى إقطاعيات بصعيد مصر واليمن<sup>(٣)</sup> ، لكن إسقاط المكس لم يستمر طويلاً حيث أهمل خلفاء صلاح الدين إرسال ما التزم به صلاح الدين إلى البيت الحرام فعاد أشراف مكة إلى أخذ المكس حتى تسلم السلطان عمر بن علي بن رسول حكم مكة واليمن سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م والذي كتب مربعة وجعلها قبالة الحجر الأسود رفع فيها جميع المظالم

---

(١) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٩٦ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٢٠ .

المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ / ص ٦١ .

السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج ١ / ص ٢٢٢ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ٢٤٠ .

(٢) الإردب : مكيال مصري للحنطة يتألف من ست وبيات كل وية ثمانية أقداح كبيرة أو ستة عشر قدحاً صغيراً .

الشرباصي ( أحمد ) : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨١م ، ص ٦٤ .

(٣) أبو شامة ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ٥٩٩هـ . ٦٦٥هـ ) : عيون الروضتين في أخبار الدولتين

النورية والصلاحية ، تحقيق : أحمد البيسومي ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا . دمشق ١٩٩١م ، ج ٢ / ص ٣٥ . ٣٦ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ . ٥٥ .

بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ص ١٨٣ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٩٨ . ٩٩ .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٩٦ . ٩٧ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٢٤ .

والمكوس<sup>(١)</sup> ، ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً حتى قدم الظاهر بيبرس حاجاً فرأى المظالم التي تنزل بالحجاج والتجار فرتب لأمير مكة عشرين ألف درهم كل سنة شريطة ألا يؤخذ بمكة مكس ولا يمنع أحد من زيارة البيت الحرام وألا يتعرض لتاجر<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - مظاهر النشاط الاقتصادي :

بعد دراسة العوامل التي ساهمت في ازدهار النشاط الاقتصادي لا بدّ من التعرف على الأحوال الاقتصادية السائدة في الحجاز خلال فترة هذه الدراسة ، فقد ربط البحر الأحمر الحجاز بالمناطق المجاورة كالشام ومصر وسواحل إفريقيا الشرقية والمحيط الهندي والخليج العربي مما جعل له أهمية تجارية كبرى وساعد في ذلك وجود ميناءين هامين على البحر الأحمر هما ميناء جدة الذي هو نافذة مكة على البحر الأحمر وميناء ينبع الذي يعد دهليز المدينة المنورة على البحر الأحمر ، ولكن هذا النشاط الاقتصادي لم يكن الموقع التجاري سببه الوحيد بل كان السبب الأهم والأعظم هو وجود الأماكن المقدسة فيه ، ففيه قبلة المسلمين من شتى البقاع وإليه يفد عشرات الآلاف سنوياً لأداء فريضة الحج والتجارة فلذلك تنوعت مصادر دخله<sup>(٣)</sup> ، وبالإضافة إلى التجارة كان للحجاز مورد آخر هو الزراعة فقد غلب على تضاريس الحجاز الجبال والصحارى وتخللها الأودية التي تجف صيفاً ولا توجد بها أنهار جارية ، مما جعل أهل الحجاز يعتمدون في الزراعة على مياه الأمطار ، وهذه الأمطار غير كافية للزراعة لذلك اتجهوا إلى حفر الآبار والعيون في مناطق عديدة

---

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٤٧ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ٧٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٠ .

راوه المكي ، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٩٦ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٤٠ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٦٧ .

(٣) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٧ - ٨٨ .

في الحجاز فقامت حولها القرى والحدائق والبساتين كما هو الحال بالنسبة للمدينة والطائف وبطن مر<sup>(١)</sup> ونخلة وغيرها<sup>(٢)</sup> لهذا فإن الحاصلات الزراعية في الحجاز لا تكفي حاجة سكانه أو من يأتيه سنوياً لأداء فريضة الحج والعمرة وزيارة قبر الرسول الكريم<sup>(٣)</sup> ، ومن أهم الحاصلات الزراعية : القمح والشعير والذرة والفواكه والرطب والعنب والموز وغيرها<sup>(٤)</sup> .

أما الصناعة فقد كانت المعلومات عنها قليلة ومتناثرة بين سطور معدودة في بعض المصادر فقد قامت صناعات تتعلق بالبناء من نحت ونجارة وصناعة أبواب وما شابه ذلك ، كذلك عرفت صناعات أخرى مثل صناعة الفؤوس والمحاريث والمناجل وغيرها من الآلات الزراعية ، ومن الصناعات الهامة صناعة الحصير الذي كان شائع الاستخدام في المنازل والمحلات والمساجد وغيرها ، واشتهرت المدينة المنورة بصناعة الفخار من أوان وأباريق وجرار وسواها<sup>(٥)</sup> ، وصناعة الحلويات التي اختصت بها مكة المكرمة<sup>(٦)</sup> بالإضافة إلى دباغة الجلود وصناعة الحلي والأسلحة وآلات الصيد<sup>(٧)</sup> .

---

(١) بطن مرّ : هو نفسه وادي مرّ ويقع إلى الشمال من مكة ويقع على طريق حجاج مصر والشام.

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤/ص ٢٦٤ . ٢٦٥ .

(٢) العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧١ .

(٣) حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١١٩ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤/ص ٢٤٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٠ . ١٠١ .

(٥) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٣ . ١٠٤ .

ربيع : وثائق الجنييزة ، ص ٢٥ . ٢٦ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٤ .

(٧) الفيروز أبادي ( محمد الدين محمد بن يعقوب ) : المغامم المطابة في معالم طابة ، تحقيق : حمد الجاسر ، ١٣٨٩ هـ ، ص

أما النقود فقد اعتمد الحجاز على المعاملات النقدية المتعامل بها في الديار المصرية والشامية بالدنانير والدرهم النقرة ، حيث أمر صلاح الدين ببناء دار في مكة المكرمة لضرب النقود باسمه وقد عرفت تلك النقود بالدرهم الناصرية <sup>(١)</sup> وكذلك الدرهم الكاملية التي أمر السلطان الكامل الأيوبي بضربها سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وهي دراهم مستديرة متعامل بها في بلاد الحجاز ، بالإضافة إلى الدرهم المسعودية نسبة إلى صاحب اليمن الملك المسعود يوسف بن الكامل سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م وكانت تضرب مربعة الشكل من معدن الفضة الخالصة <sup>(٢)</sup>.

ويمكن دراسة النشاط الاقتصادي في كل مدينة من مدن الحجاز على حدا :

#### أ - مكة المكرمة :

تأتي أهمية مكة المكرمة من موقعها الاستراتيجي الهام على طرق التجارة ومن وجود الكعبة المشرفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين كل عام في موسم الحج مما يؤدي إلى نشاط البيع والشراء بين الحجاج القادمين إليها بمختلف البضائع من كافة أنحاء العالم الإسلامي <sup>(٣)</sup> ، فكانت مكة ملتقى الصادر والوارد بالقوافل المحملة بمختلف البضائع وهي موسم اجتماع الحجاج القادمين إليها من أنحاء العالم

---

= السمهودي ( نور الدين علي بن أحمد المصري ت ٩١١هـ ) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي

الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ج ٢ / ص ٤٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٤ .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٧٦ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٤ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٨٠ .

الخرزجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ / ص ١٦٨ .

حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٣٩ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١١١ .

(٣) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٨ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٧٧ .

الإسلامي بمختلف النعم والفواكه والتمرات والمنسوجات والبضائع<sup>(١)</sup> مما أدى إلى قيام أسواق عامة في موسم الحج وهذه الأسواق تقام في أيام معلومة وفي أماكن مستقرة حيث أصبحت تقليداً من تقاليد الحج<sup>(٢)</sup> فكانت أسواق مكة مزدهرة طوال أيام السنة وتزداد نشاطاً في مواسم الحج والعمرة حيث كان لها موسمان ينفق فيهما كل ما جلب إليها أحدهما في أول رجب والثاني في موسم الحج ، وقد كانت مهياً دائماً لاستقبال الحجاج القادمين إليها حيث وصفت بأنها تحوي شوارع وأسواق وفنادق ودور ، وهي من العوامل المساهمة في تنشيط الحركة التجارية<sup>(٣)</sup> حيث كانت الفنادق والدور الخاصة تأتي لأهل مكة بمردود اقتصادي كبير كما كانت هنالك رقابة على الأسواق وعلى حركة البيع والشراء حيث يشرف المحتسب على التجارة الداخلية والأسواق ويمنع الغش بالمبيعات والتدليس بالأثمان والاحتكار والتطفيف في الحق والبخس في المكايل والموازين وكان الواجب الأكثر أهمية للمحتسب فرض الضريبة على الأسواق<sup>(٤)</sup> ، ولعل من أهم الأسواق هو السوق الذي كان بين الصفا والمروة الذي تباع فيه مختلف البضائع ولا يوجد سوق بها أكبر منه ، وقد وصف ابن بطوطة سوق الصفا والمروة وما يباع فيه : (بأنه سوق عظيم يباع فيه الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه ، والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون ينتهون لازدحام الناس على حوانيت الباعة)<sup>(٥)</sup> ، كما كان هنالك سوق للبرازين والعطارين عند باب بني شيبه<sup>(٦)</sup> وفي أيام

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٨ . ٨٩ .

(٢) ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ١١ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٩ .

(٣) العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٠ .

(٤) الماوردي ( أبو الحسن علي بن حبيب البصري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٥٣ .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٠ .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظار، ج ١ / ص ٣٨٠ .

(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار، ج ١ / ص ٣٨٠ . =

موسم الحج يصبح محيط المسجد الحرام سوقاً عظيمة يباع فيها من الدقيق إلى العقيق ومن البرّ إلى الدرّ<sup>(١)</sup>، ومن أسواق مكة العامرة أيام الحج سوقين عظيمين في منى وعرفات حيث يقيم الحجاج في منى أيام التشريق الثلاثة وكان من أعظم الأسواق يباع فيها من الجواهر الثمين إلى أدنى الخرز وسائر سلع الدنيا<sup>(٢)</sup> وكان نظام المقايضة رائجاً بين تجار مكة والمناطق المجاورة بها وخاصة مع الطائف والمدينة حيث تقايض المنتوجات الزراعية والحيوانية بالسلع المعروضة في أسواق مكة<sup>(٣)</sup>، وقد وصف ابن جبير الفواكه والخضراوات التي كانت توجد بمكة والتي تجلب إليها من المناطق المجاورة بأنها : ( من أفضل الأنواع وأن لها مذاقاً خاصاً يفضل عن أي مذاق آخر لنفس النوع في أي مكان آخر )<sup>(٤)</sup>.

ويمكن مما تقدم استنتاج العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية من خلال الظروف السياسية والطبيعية فتجدر الإشارة إلى أن الازدهار الاقتصادي في مكة لم يكن ثابتاً بل تعلق بالاضطرابات السياسية أولاً وبقلة الأمطار ثانياً مما جعلها تمرّ ببعض الأزمات الاقتصادية في بعض السنين وذلك لانعدام الأمن أحياناً أو لعدم قدوم السلع الزراعية إليها ، ويمكن تتبع سنوات الشدة التي مرت على مكة كما يلي :

١. سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م وقع بمكة غلاء عظيم أكل الناس فيه الرمم والجلود ومات الكثيرون ثم فرّج الله بصدقة جاءت من الخليفة المستضيء العباسي في الحج<sup>(٥)</sup>.

---

= العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨١ .

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٠ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٤ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٧ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٣ .

(٣) ابن الجاور : تأريخ المستبصر ، ج ١ / ص ١٣ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٥ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٥٨ .

(٥) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ٢ / ٥٣٤ . =

٢. سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١م وقع بمكة غلاء عظيم نتيجة وباء عمّ جميع المناطق حتى دخل مكة واستمر لمدة سنة (١) .
٣. سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م اشتد الغلاء بمكة نتيجة قدوم أعداد كبيرة إلى الحج من البر والبحر (٢) .
٤. سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨م وقع جذب وقحط في الحجاز لقلة الأمطار فحدث غلاء بالأسعار (٣) .
٥. سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م وقع بمكة غلاء عظيم نتيجة قلة الأمطار (٤) .
٦. سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م كان غلاء كبير بمكة بسبب الفتنة التي وقعت بين أمير مكة أبي نمي وصاحب المدينة جمار بن شيحة (٥) .

---

= الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٤٦٩ .

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ / ص ٢٥٥ . ٢٥٦ .

(١) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٧٠ .

الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٢٧١ .

ابن تغري بردي ( أبو المحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ م ، ج ١٠ / ص ١٨٤ .

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٧٥ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٤ / ص ٦٥٦ .

(٣) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٢٧٢ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١١٤ .

(٤) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ / ص ١٠٢ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ١٠٨ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١١٥ .

(٥) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٢٧٢ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ١٠٨ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١١٥ .

٧ . سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م كان الغلاء بالحجاز عامة وبمكة خاصة <sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يمكن القول أن مكة عاشت فترة من الرخاء الاقتصادي أكثر من المدن العربية في تلك الفترة مما ساعد ذلك على نشوء طبقة من التجار المكيين ، كما كان للأعطيات التي كانت تصلها سنوياً دوراً هاماً في ازدهارها .

### ب - المدينة المنورة :

تعقب المدينة المنورة مكة في أهميتها الدينية وأهميتها التجارية في مواسم الحج والعمرة حيث يصلها الحجاج لزيارة المسجد النبوي ويزورها أكثرهم في الذهاب والإياب خصوصاً حجاج مصر والشام <sup>(٢)</sup> كما أنها تقع في منطقة خصبة لذلك عمل أهلها بالزراعة وقد ساعدهم على ذلك ما توفر فيها من العيون والآبار ، ومن أهم تلك العيون عين النبي عليه الصلاة والسلام التي تقع خارج المدينة والتي ذكرها ابن جبير في رحلته <sup>(٣)</sup>، وعين الزرقاء التي قدّمت للمدينة خدمات جليلة فكانوا يسقون مزروعاتهم منها وتقع في قباء، وعين الشهداء التي ظلت قائمة حتى أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي <sup>(٤)</sup>، فقد وقعت المدينة في منطقة أرضها بركانية كثيرة الحرار جيدة الخصوبة ، وفيرة المياه من الأودية والآبار ، قامت فيها

---

(١) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢/ص ٢٦٨ .

الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ /ص ٢٧٢ .

ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ /ص ١٢٨ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١١٦ .

(٢) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٠

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٥ .

مالك : بلاد الحجاز ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٧ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧٢ .

(٤) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ /ص ٩٤٢ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

زراعة جيدة وفرت على السكان الكثير من المحاصيل الزراعية التي أغنتهم عن استيراد بعض السلع الضرورية كالقمح والشعير وغيرها ، وعرفت المدينة منذ أقدم العصور بأنها واحة زراعية تتوفر فيها المياه الوفيرة ، والتربة البركانية الخصبة وتنتشر الزراعة في المناطق المحيطة بالمدينة في بطون الأودية والقرى الزراعية كقبا<sup>(١)</sup> كما تنتشر الزراعة في الوديان والواحات التابعة للمدينة مثل خيبر<sup>(٢)</sup> ومن أبرز المناطق الزراعية في المدينة العوالي وهي إلى الجنوب من المدينة باتجاه مكة على طريق الشام حيث يوجد بها العديد من الحدائق<sup>(٣)</sup> ، وهناك كثير من المزارع المحيطة بالمدينة وتشتمل كل حديقة أو عدة حدائق على بئر خاص بها، بل إن بعضها يسمى باسم البئر الواقع فيها<sup>(٤)</sup> كحديقة بئر زمزم بالحرّة المعروفة سابقاً ببئر فاطمة نسبة إلى فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم<sup>(٥)</sup> .

وتعد التمور من أهم المحاصيل الزراعية التي تنتج في المدينة المنورة التي اشتهرت بجودة ثمرها وكثرة أشجار النخيل فيها ، نظراً لملائمة التربة والمناخ لنموها<sup>(٦)</sup> ، وكان أهل المدينة يروون نخيلهم من مياه الآبار التي يقوم بنقلها العبيد ، وكان المار بشوارعها يعجب من كثرة الأشجار على جانبي الطريق كأنه غابة ممتدة لا نهاية لها ، وقد وصف القلقشندي المدينة بقوله: ( وحول المدينة حدائق النخيل الأنيقة وثمرها من أطيب

---

(١) قبا : قرية تقع غرب المدينة على بعد ميلين منها وبها مسجد التقوى .

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٩٤ .

(٢) خيبر : بلدة قريبة من المدينة سميت بخيبر بن قانية وهو أول من نزلها ، وهي بلدة عامرة أهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري .

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٩٥ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧٧ . ١٧٨ .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٤ / ص ١٦١ . ١٦٢ .

(٤) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ / ص ٩٤٨ .

(٦) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٤ / ص ١١٤٠ .

(٧) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧٩ .

التمر وأحسنه وغالب قوت أهلها منه<sup>(١)</sup> ، وتدر التمور عوائد اقتصادية كبيرة ، فالتمر طعام لهم ، أما النوى فيستخدم علفاً لإبلهم ، كما استفاد سكان المدينة من جريد النخيل وسعفها وليفها ، إذ كانوا يصنعون منه السلال والأدوات الأخرى التي يستخدمونها في حاجاتهم<sup>(٢)</sup> ، ونظراً لكثرة زراعة النخيل في المدينة فقد تعددت أنواع التمور حتى زادت على مئة وثلاثين نوعاً وأشهرها الصيحاني<sup>(٣)</sup> والبرني والعجوة<sup>(٤)</sup> ، وزرع أهل المدينة بعض البقول والخضراوات تحت أشجار النخيل كالعنب والرمان والموز والليمون والتفاح والبطيخ والسفرجل وأنواع أخرى من المحصولات<sup>(٥)</sup> إلى جانب الشعير الذي كان يعتمد عليه أهل المدينة في سدّ حاجاتهم الغذائية بالإضافة إلى القمح والقثاء والبقول<sup>(٦)</sup> .

أما التجارة الداخلية فهي ما بين أهل المدينة أنفسهم وبين جيرانهم من أهل القرى والبادي ومع بقية مدن الحجاز وعلى رأسها مكة وينبع وجدة حيث يفد إليها التجار لتسويق بضائعهم أثناء الموسم ، كما تتبادل السلع مع الحجاج والتجار الذين يفدون إليها<sup>(٧)</sup> ، وتعتمد التجارة الداخلية على المحصولات

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٩٤ .

(٢) العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٧٩ . ١٨٠ .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ١ / ص ٧٢ .

(٤) ابن وحشية ( أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكدساني ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ) الفلاحة النبطية ، تحقيق : توفيق

فهد ، سلسلة منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، دمشق ١٩٩٥ م ، ج ٢ / ص ١٣٤١ .

(٥) العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٨١ .

(٦) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ١ / ص ٧٨ .

الفيروز أبادي : المغانم المطابة ، ص ٨٠٩ .

سليمان عبد الغني مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٢ . ١٠٣ .

(٧) الفيروز أبادي : المغانم المطابة ، ص ١٥ . ٢٠ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٨٠ .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٦ . ٨٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٢ .

الزراعية والمنتجات المحلية ، وتعد التمور من المواد الأساسية في تجارتها إلى جانب السلع الأخرى كالسمن والألبان والأغنام والخيول والجمال <sup>(١)</sup> .

وكانت الحالة الاقتصادية للمدينة أحسن حالاً من مكة لكثرة محصولاتها الزراعية ووفرة المياه فيها بالإضافة إلى الهدوء الذي شمل المدينة في غالب الأحيان لعدم وجود خلاف عنيف بين أمرائها على السلطة . أما فيما يتعلق بموانئها التجارية فقد اشتهرت الجار على ساحل البحر الأحمر بوصفها ميناءً تجارياً للمدينة المنورة تأتي إليها السفن بالسلع المختلفة من مصر والحبشة وعدن والصين ، واستمرت في نشاطها التجاري حتى أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حيث برزت ينبع بوصفها ميناءً تجارياً مهماً في تجارة البحر الأحمر وبلغت أوج ازدهارها أيام سلاطين المماليك <sup>(٢)</sup> ، وكانت المدينة مزودة بخدمات متعددة من شوارع وفنادق وحمامات ومدارس ومساجد وأسواق <sup>(٣)</sup> وقد تعددت الأسواق داخل المدينة واختص كل سوق بسلعة معينة آخذاً السوق اسمها ، ومن هذه الأسواق سوق الصاغة الذي اختص ببيع الحلي ويقع بالقرب من باب الرحمة من أبواب المسجد الحرام وسوق العطارين وسوق للفواكه والمنتجات الغذائية <sup>(٤)</sup> كما هنالك سوق للحطابين وسوق الحباية وهو أكبرها وأوسعها ويبيع فيه جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة ، وسوق التمارة بالإضافة إلى سوق البرسيم والفخارة والبيطرة وسوق للدلالين وكان في أسواقها مكان خاص للمحتسب ليراقب طريقة البيع والشراء وأنواع السلع وجودتها <sup>(٥)</sup> .

---

(١) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٧ .

(٢) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٠ .

فهمي : طرق التجارة الدولية ، ص ١٤٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٩٠ . ٩١ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٧ .

(٣) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٨ .

(٤) السهمودي : وفاء الوفا ، ج ٢ / ص ٧٣٥ . ٧٣٦ . ٧٣٧ .

العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٩ .

(٥) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٨٩ . ٩١ .

## ج - جدة :

تعد جدة ميناء مكة على ساحل البحر الأحمر وبها تقبض المكوس من الحجاج والتجار القادمين من شتى بقاع الأرض وهي المركز التجاري البحري الرئيسي للحجاز ، حيث تشتد ازدهاراً في مواسم الحج والعمرة لكونها محطة عبور وإقامة على طريق التجارة البحرية والبرية إلى مكة مما جعلها أسواقاً مكدسة بأنواع البضائع والمنتجات<sup>(١)</sup> ، ولم يعد ميناء جدة مرفأ مكة بل أصبح مرفأ الحجاز بأسره<sup>(٢)</sup> ، وكانت تتبع إلى أمير مكة المكرمة ، حيث أخذت جدة تزدهر اقتصادياً نظراً لازدياد مواردها المالية نتيجة تضاعف عدد الحجاج والتجار القادمين إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي وكان أهلها ميسورين وذوي أموال واسعة ، ولهم موسم قبل وقت الحج مشهور بالبركة تنفق فيه البضائع المحلية والأمتعة المنتجة<sup>(٣)</sup> .

## د - الطائف :

تقع الطائف في الجنوب الشرقي من مكة في منطقة مرتفعة خصبة الأرض كثيرة العيون والآبار معتدلة الجو مما جعلها منطقة زراعية تزود مكة والحجاز بأسره بمختلف المنتوجات الزراعية من فواكه وخضراوات ، وتقع على ظهر جبل غزوان<sup>(٤)</sup> ويعد هذا الجبل أبرد مكان في الحجاز حتى إن مياهه تتجمد في الشتاء فإذا جاء

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٢٦٤ .

ابن الجاور : تأريخ المستبصر ، ج ١ / ص ٥١ .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة الماليك ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٨٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٨٩ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٩٠ .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة الماليك ، ص ٤١ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٢٠٢ .

الصيف وذابت الثلوج انهمرت المياه على سفوح الجبل منحدره إلى وادي نعمان الأراك<sup>(١)</sup> المجاور فتوفر المياه لبساتين الفاكهة المتعددة في هذا الوادي الخصب ، وتحيط بالطائف العديد من الأودية التي تساهم بدور كبير في الإنتاج الزراعي<sup>(٢)</sup> ، فاشتهرت الطائف بزراعة الحنطة اللقمية<sup>(٣)</sup> وعليها كانت تعتمد كل حواضر الحجاز وبخاصة مكة<sup>(٤)</sup> ، ولم تقتصر زراعة الحبوب على الحنطة بل كانت زراعة الشعير منتشرة في الطائف فمن الشعير كان خبز أكثر الناس<sup>(٥)</sup> بالإضافة إلى الكثير من أنواع الفواكه التي تحتاج إلى كمية كبيرة من المياه ، ففيها يكثر النخيل والأعناب والرمان والموز والتين والسفرجل والجوز والنانج والبطيخ<sup>(٦)</sup> كما اشتهرت بزراعة شجر التوت وضرب بزبيبها المثل ، وكان مصدراً اقتصادياً جيداً لأهلها ، أما التمر فقد تمتع بشهرة واسعة فهو من النوع الطري الممتلئة<sup>(٧)</sup>.

ويعزو ابن جبير السبب في عمران الطائف وكثرة مزارعها إلى هجرة المغاربة إليها حيث قال: (جلب الله إليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة ، فأحدثوا فيها البساتين والمزارع )<sup>(٨)</sup> وتميزت الطائف

---

(١) نعمان الأراك : يصب في ودان بلدة غزاها النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو بين مكة والطائف .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ / ص ٢٩٣ .

(٢) صقر ( نادية حسني ) : الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، دار الشرق ، جدة . السعودية ، ط ١ ،

١٩٨١ م ، ص ٣٩ .

(٣) الحنطة اللقمية : هي نوع من أنواع الحنطة ، حبه كبيرة ، وهي من أفضل أنواع الحبوب ، وينسب إلى لقيم

إحدى قرى الطائف التي لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى الآن .

العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٨١ .

(٤) ابن الجاور : تأريخ المستبصر ، ص ٢٥ .

(٥) هبو ( أحمد ) : تاريخ العرب قبل الإسلام ، منشورات جامعة البعث ، كلية الآداب ، حمص ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٩٦ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٧٠ .

حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٢٣ .

(٧) العنقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ١٨٢ .

(٨) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٩ .

بتنوع المحصولات الزراعية وجودتها ، بحيث أصبحت مضرراً للأمثال ، كما أن هذه المحصولات والفواكه كانت تنتج بكميات كبيرة تفيض عن حاجة سكانها الأصليين ، ونتيجة لهذا الإنتاج الغزير فقد أصبحت المزود الرئيسي لأسواق مكة بكل ما تحتاجه من فواكه وخضراوات ، وقد كانت مصيفاً لأهل مكة وساعدها موقعها التجاري الهام على طريق اليمن والعراق على أن تكون استراحة للقوافل التجارية مما جعل التبادل التجاري بين أهلها وأصحاب تلك القوافل فأكسبها فائدة اقتصادية كبيرة وجعل فيها عدداً من التجار الميسير ، وبالإضافة إلى التجارة والزراعة اشتهر أهلها بدباغة الجلود<sup>(١)</sup>.

ومن دراسة الأوضاع الاقتصادية في الحجاز وعوامل ازدهارها يمكن القول أن مكة نهضت في وسط الحجاز بصفتها مركزاً تجارياً هاماً ، وإن وجود مينائي جدة وينبع على ساحل البحر الأحمر أعطى للحجاز أهمية استراتيجية كبرى على طريق التجارة البرية والبحرية مما أدى إلى ازدهار النشاط الاقتصادي فيه ، كما يعد موسم الحج موسماً مزدهراً لأهل الحجاز والحجاج والتجار معاً ، فقد قصد الحجاز تجار الهند والصين عن طريق عدن وجدة وقصد الحجاز أيضاً حجاج وتجار الشام والعراق واليمن ومصر فتنوعت الأسواق في كل مدنه مما أدى إلى ازدهار التجارة الداخلية فيه في حين كان للحجاز ثلاثة مصادر أساسية للدخل ترتبط جميعها بالحج وتعتمد عليها الحياة الاقتصادية وهي المكوس والتجارة والصدقات والهبات ، وقد كانت الحياة الاقتصادية للمدينة عموماً أحسن حالاً من مكة لكثرة محصولاتها الزراعية وبخاصة التمور ووفرة المياه فيها بالإضافة إلى الهدوء الذي شمل المدينة في غالب الأحيان لعدم وجود خلاف عنيف بين أمرائها على السلطة كما ساهمت الطائف بتزويد أسواق مكة بما تحتاج إليه من الفواكه والمنتجات الزراعية الأخرى وخاصة في موسم الحج .

---

(١) العناقرة : الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك ، ص ٩٢ . ٩٣ . ٩٤ .

## رابعاً - الأوضاع الاجتماعية في الحجاز :

لتتضح صورة الحياة العامة في الحجاز لا بدّ من دراسة الواقع الاجتماعي لهذا الإقليم بكل جوانبه وذلك من خلال التعرف على أهم فئات سكانه وعلى أهم المظاهر الاجتماعية فيه .

### **١ - فئات المجتمع الحجازي :**

لعل أهم ما تميز به المجتمع الحجازي التنوع في عناصر السكان الذي كان سائداً فيه وذلك لوجود فئتين هامتين في هذا المجتمع لم تكن لتوجد في مجتمع آخر وهما فئة الأشراف وفئة المجاورين اللتان لعبتا الدور الأبرز في تطور هذا المجتمع على نواحي الحياة كافة، وأهم فئات المجتمع الحجازي هي :

#### **أ. فئة الأشراف :**

هم الأشراف من بني الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ الذين انتسب إليهما حكام الحجاز عامة ومكة والمدينة خاصة ، فقد حكم الحسنيون مكة على تعاقب أسرهم منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري واستمروا في حكمه حتى أجلاهم عنها السعوديون سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م<sup>(١)</sup> في حين حكم المدينة الأشراف من بني الحسين الذين عرفوا بأسرة آل مهنا وقد اتصفت تلك الفئة بحسن معاملة الأسر المقيمة في الحجاز وشاركتهم أفراحهم وأتراحهم فقد كانوا يقومون بزيارة مرضاهم والذهاب إلى جنازتهم لمشاركتهم في أحزانهم<sup>(٢)</sup> ، ولكن هذا الحال لم يكن عاماً حيث أن بعض أولئك الأمراء أساءوا السيرة بمكة ومنهم الأمير مكثّر بن عيسى الذي حكم مكة من سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م إلى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م الذي أساء السيرة عند نخبه للحجيج والتجار<sup>(٣)</sup>، كذلك حال أخيه داوود الذي أخذ ما في الكعبة من أموال وطوقاً

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ١٩٧ . ١٩٨ .

السباعي : تأريخ مكة ، ج ١ / ص ١٧٠ .

(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ٢٢٠ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٩ . ١١٠ .

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٢٧٤ . ٢٧٥ .

كان يمسك الحجر الأسود<sup>(١)</sup> ، وهذا ما شجع قتادة بن إدريس بن مطاعن على استخلاص حكمها من أسرة الهواشم وإقامة حكم أسرته التي عرفت بأسرة آل قتادة<sup>(٢)</sup> ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ التغير الإيجابي في العلاقة بين الأمراء وسكان مكة وزوارها فحرصوا على حسن معاملة الأسر المقيمة في مكة ونقموا على عبيد مكة والمفسدين بها<sup>(٣)</sup> ، وحرصوا على اجتناب الأحكام القاسية وكانوا يميلون إلى طرق الصلح في فض المنازعات<sup>(٤)</sup> .

#### ب - سكان الحجاز الأصليون :

من الجدير بالذكر أن سكان مكة الأصليون من قريش وبعض القبائل التي استقرت في مكة التي نالت من قريش حسن الجوار ، أما القرشيون الأوائل فقد خرجوا من مكة مع الفتح الإسلامي إلى الشام والعراق واستقروا في هذه الأماكن ولم يبق من القرشيين الأصليين في مكة إلا العدد القليل الذين سكنوا بوادي مكة والطائف<sup>(٥)</sup> ، وكذلك حال المدينة المنورة .

#### ج - المجاورون :

هم الذين قدموا إلى الحجاز من مختلف أمصار العالم الإسلامي مع ركب الحج في كل عام بقصد المجاورة والإقامة في الحرمين الشريفين ومنهم التجار الذين قدموا من مختلف أرجاء العالم الإسلامي بقصد المتاجرة ثم

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٤٣٥ .

(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ / ص ١٩٧ .

السباعي : تأريخ مكة ، ج ١ / ص ١٧٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٩ .

(٣) أبو شامة ( شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ) : تراجم القرنين السادس والسابع ، المعروف

بالذيل على كتاب الروضتين ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الجيل ١٤٧٤ هـ ، ص ١٢٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، مصدر سابق ، ج ٧ / ص ٥٧ .

(٤) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٥) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١٠ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٨ .

فتحوا حوانيت لهم بمكة واستقروا وتزوجوا فيها ومنهم العلماء وطلبة العلم ، وما لبثوا أن استقروا والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة وأصبحوا يشكلون جزءاً منه<sup>(١)</sup> وبرز دورهم في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبشكل خاص في النواحي العلمية .

#### ٤ - أغوات الحرمين : (٢)

هم الذين أتى بهم السلطان صلاح الدين بعد توليه أمر الحجاز سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م وكانوا من الصقالبة والأحابيش وكساهم بملابس بيضاء وعلّق عليهم شارات خاصة بهم وأوقف لهم الأوقاف، وكانت مهمتهم المحافظة على المسجد النبوي نهاراً وقفل أبوابه وحراسته ليلاً ، وكذلك تنظيف القناديل في المسجد وفرش البساط الخاص بالأمراء وإيقاد البخور للمسجدين وتطيبب الكعبة بالعطور<sup>(٣)</sup>. تلك هي صفة المجتمع الحجازي خليط من عدة جنسيات مميّز في تركيبه الاجتماعي من بين جميع مدن العالم بسبب وجود الحرمين الشريفين .

#### ٢ - مظاهر الحياة الاجتماعية في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين :

ترتبط الحياة الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاقتصادي حيث ترك هذا الواقع أثراً هاماً في مظاهر الحياة الاجتماعية ، فبانعاش الاقتصاد وتحسن الظروف الاجتماعية ويصبح المجتمع في حالة استقرار ، أما عندما تسوء الأوضاع الاقتصادية فيعاني المجتمع من أزمات كبيرة ، ولفهم هذا الواقع الاجتماعي لا بد من التعرف على أهم المظاهر التي ساهمت في تنشيط المجتمع الحجازي كل على حدا :

(١) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٩٨ .

(٢) الأغوات : جمع آغا والمقصود بها خدم بيت الله الحرام وخدم الحرم المدني الشريف .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ١١٣ . ١٢٣ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١٢ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٩ .

## أ - العادات الاجتماعية والدينية :

لعل أهم المصادر التي عرّفت المجتمع الحجازي كتب الرحالة المسلمين الذين عايشوا أهل الحجاز في ذلك العصر أمثال ابن جبير وابن رشيد والتجيبى والعبدري وابن بطوطة ، فقد قدمت تلك المصادر وصفاً تفصيلياً عن الحياة بمجملها من احتفالات دينية وعادات اجتماعية والتقاليد السائدة في ذلك الإقليم ، فقد زار الحجاز سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م الرحالة الشهير ابن بطوطة وقدم وصفاً عن الحياة الاجتماعية فيها فتحدث عن اهتمام أهلها بالتأنق في الملبس والمأكل والمشرب وأشار إلى إكرام أهلها للضعفاء والمنقطعين وتحدث عن جمال نسوة مكة ووصف طوافهم كل يوم جمعة في البيت الحرام كما ذكر عادات أهل الحرمين في تناول الطعام مرة واحدة عصر كل يوم واعتمادهم باقي النهار على أكل التمر ولذلك صحت أبدانهم وقلت فيهم الأمراض والعاهات <sup>(١)</sup> .

وقد قدّم الرحالة المسلمون وصفاً تفصيلياً للاحتفالات السائدة في الحجاز فتحدث ابن جبير عن عادة أهل مكة في يوم الجمعة ، حيث يأتي الخطيب وهو يتهدى بين رايتين سوداوتين ويرتدي ثوباً أسود وعمامة سوداء وطيلسانة سوداء وهذه الكسوة هدية من الخليفة العباسي ويتجه نحو الكعبة ليصعد المنبر الذي نصب له مقابل المقام بين الركن الأسود والركن العراقي ، فيؤذن المؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين في الحرم الشريف فيبدأ الخطيب الخطبة ويكثر فيها من الصلاة على رسول الله ويختمها بالدعاء للخليفة العباسي ثم لأمر مكة ثم للسلطان صلاح الدين وولي عهده <sup>(٢)</sup> ، كما اعتاد أهل الحجاز الاحتفال بالمولد النبوي احتفالاً عظيماً يفتح فيه باب الكعبة <sup>(٣)</sup> كما كان لهم احتفالاً دينياً رسمياً بعيدي الفطر والأضحى يبلغ منتهى الروعة إذ كان حكام الحرمين يخرجون لصلاة العيد في الحرمين وبعد انتهاء الصلاة يتبادل الناس التهنئة بالعيد ويلبسون أحسن الثياب <sup>(٤)</sup> ، ولم يقتصر احتفال أهل مكة على الاحتفال بالعيدين فقط بل

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار، ج ١ / ص ١٦٩ . ١٧٠ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ .

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار، ج ١ / ص ١٧٩ . ١٨٠ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤ . ١٣٥ .

كان هناك مناسبات حرصوا على الاحتفال بها كالاحتفال بهلال رجب وعمرته وليلة النصف من شعبان إذ كانت تُدق فيها الطبول وتوقد فيها المشاعل في المسجدين<sup>(١)</sup> ، وقد انفردت مكة عن بقية مدن الحجاز باحتفالها بكسوة الكعبة التي كانت تصل من الخلافة العباسية في بغداد كل سنة ثم أصبحت تصل من الديار المصرية بعد انهيار الدولة العباسية<sup>(٢)</sup> ، كذلك كما حدث سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م عندما حج الظاهر بيبرس البندقداري وعلّق كسوة الكعبة بيده في احتفال مهيب<sup>(٣)</sup> ، وقد عرف الحرم المكي والمدني الاحتفال بختم القرآن التي كان يحضر فيها القاضي والفقهاء وجماعة من العلماء<sup>(٤)</sup> ، وفي حال أصاب البلاد جَدْب وقحط فقد جرت العادة أن يؤدي أهل مكة أو المدينة صلاة الاستسقاء تجاه الكعبة بعد أن يحثهم قاضي مكة على ذلك ويطلب منهم صيام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع كانوا يخرجون المصحف العثماني فيجتمع الناس كاشفين رؤوسهم متضرعين بالمصحف الكريم والمقام العظيم وكانوا يتابعون الصلاة ثلاثة أيام متوالية كما حدث سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٤ م ولا ينفصلون عن مقامهم ذلك إلا ورحمة الله قد تداركتهم<sup>(٥)</sup> .

## ب - المنشآت الخيرية والمبرات :

يقصد هنا بالمنشآت الخيرية ما عرفه الحجاز من تسابق الأمراء والسلاطين والميسورين على أعمال الخير التي

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٦ . ١٠٧ . ١١٩ .

ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج ١ / ص ١٨١ . ١٨٢ .

السباعي : تأريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٨٤ . ٢٨٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ / ص ٥٧ .

(٣) المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي) : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين

الشيال ، القاهرة ، مكتبة الخانجي بمصر مكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥ م ، ص ١١ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٧ . ١٢٨ .

ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج ١ / ص ١٨٥ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٣ . ١٢٤ .

ساهمت في انتعاش الحياة الاجتماعية مثل بناء الربط والمدارس والبيمارستانات وحفر آبار وإنشاء العيون والسبل وبناء المطاهر والحمامات وما سواها ، حيث جاءت الأربطة التي لعبت الدور الأبرز في المجتمع لتحتل المرتبة الأولى بين تلك الأعمال ، حيث كان الهدف من إنشاء تلك الربط إيواء الوافدين إلى المدينتين المقدستين وخاصة الفقراء منهم وطلبة العلم ، وهكذا فإن الربط في الحجاز على أنواع فبعضها للمنقطعين بصورة عامة وبعضها لأتباع مذهب معين وبعضها لأهل بلد معين وبعضها لطلبة العلم وأخرى مخصصة للنساء ، ولا بد للمرور سريعاً على أهم الربط الموجودة في الحجاز في فترة هذه الدراسة :

١. **رباط السدرة** : ويقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شيبه ، وذكر الفاسي أنه كان وقوفاً سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م على الفقراء والمنقطعين<sup>(١)</sup> ، وقد أطلق عليه الرحالة ابن جبير وابن بطوطة رباط الصوفية<sup>(٢)</sup> .

٢. **رباط الفقاعية** : أوقفه قهرمانه المقتدي الخليفة العباسي سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م على المنقطعات والأرامل<sup>(٣)</sup> .

٣. **رباط رامشت** : يقع عند باب الخزوة ، ورامشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي ، أوقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء من أهل العراق سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٢٧ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣١٨ . ٣١٩ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤١ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٢ .

ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٤٨٩ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٢ .

(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٣٠ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٨٥ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٠٤ =

- ٤ . رباط المراغي : رباط ملاصق لرباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إليه من باب بني شيبه نسبة إلى قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي وأوقف هذا الرباط سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م<sup>(١)</sup> ، وكان شرط وقفه على الصوفية الرجال من العرب والعجم<sup>(٢)</sup> .
- ٥ . رباط الخاتون : أوقفته الشريفة فاطمة الخاتون<sup>(٣)</sup> سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ، وعرف بعدها برباط ابن محمود نسبة إلى المشرف الذي كان يشرف عليه ، ويقع هذا الرباط عند باب العمرة<sup>(٤)</sup> واشترط وقفه على الصوفية الرجال من العرب والعجم<sup>(٥)</sup> .
- ٦ . رباط أبي سماحة : يقع على يمين الصاعد إلى أعلى مكة ، سمي بذلك نسبة إلى واقفه قيمان بن عبد الله<sup>(٦)</sup> وقف هذا الرباط سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٣م على المجاورين والمنقطعين على أصحاب المذهب

= عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٤١ .

(١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٢٧ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٩٤ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٤ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٥٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩٠ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٤ .

(٣) الشريفة فاطمة بنت الشريف محمد الحسيني محمد بن سليمان وكانت تلقب بالخاتون .

الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٣٣١ .

(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٣٦ .

مالكي : بلاد الحجاز ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٥) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٥ .

(٦) قيمان بن عبد الله السلطاني المعروف بأبي سماحة سلطان الروم والأرمن ، المتوفى سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٨٣- ٨٤ .

الحنفي<sup>(١)</sup> .

٧ . رباط أبي رقية<sup>(٢)</sup> : يقع بأسفل مكة قريباً من باب العمرة ، أوقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء القادمين إلى مكة والمجاورين بها سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م<sup>(٣)</sup> .

٨ . رباط ربيع : يقع بأجناد وهو من أحسن الأربطة بمكة أوقفه السلطان نور الدين علي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ( ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ) سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م على المسلمين الفقراء الغرباء<sup>(٤)</sup> .

٩ . رباط الزنجيلي: أوقفه الأمير فخر الدين الزنجيلي<sup>(٥)</sup> في باب العمرة لأصحاب المذهب الحنفي سنة

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧/ص ٨٤ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ /ص ٥٤٥ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٥٣ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٤ .

(٢) أوقف هذا الرباط وزير السلطان صلاح الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن المفرج اللخمي العسقلاني المصري

المولد والدار المعروف بالقاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م وشريكه العفيف عبد الله بن محمد بن عبد الله

المعروف بالأرسوفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٨م .

الفاسي المكي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٢٢ .

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٢٢ . ٤٢٣ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٦١ . ٥٦٢ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٥٩ .

(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٣٤ . ٥٣٥ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٢ / هامش رقم ٢ ص ٢٤٦ .

الفاسي: الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ١٥٥ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩٢ .

(٥) الزنجيلي : هو عثمان بن علي الأمير فخر الدين المعروف بالزنجيلي المتوفى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، كان نائباً =

٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م<sup>(١)</sup> .

- ١٠ . رباط الموفق : أوقفه القاضي الموفق جمال الدين علي ابن عبد الوهاب الاسكندري ( ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ) سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م على فقراء العرب وأهل الحاجات ، يقع بأسفل مكة<sup>(٢)</sup> .
- ١١ . رباط الخوزي : أوقفه الأمير رزين الدين قرامرز محمود بن قرامرز الأفزري الفارسي<sup>(٣)</sup> سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ويقع عند باب إبراهيم ، أوقفه على الصوفية الغرباء المتجربين<sup>(٤)</sup> .
- ١٢ . رباط التميمي : أوقفه الشيخ أحمد ابن إبراهيم التميمي<sup>(٥)</sup> على جميع الفقراء من أهل الخير والفضل

---

= بعدن للسلطان صلاح الدين .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٤ . ٣٥ .

(١) الفاسي: الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ص ١٤٩ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٤ . ٣٥ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٤٨ . ٥٤٩ .

السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج ٢ / ص ٢٤٩ .

النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي المتوفى سنة ٩٧٨ هـ) : الدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

لبنان ( د . ت ) ، ج ١ / ص ٤٠٤ .

(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٣٦ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٦ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٠٤ . ٢٠٥ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩١ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، ص ٤٦٥ .

(٣) لم يعثر له على ترجمة .

(٤) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢١١ هامش رقم ٢ .

الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٥٢٩ . ٥٣٠ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٣١ . ٣٢ .

(٥) أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف أبو العباس وأبو جعفر التميمي ، قال عنه الفاسي المكّي : ( جاور =

- والدين من العرب والعجم المتأهلين وغير المتأهلين سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م<sup>(١)</sup> .
- ١٣ . رباط الشرايبي : أوقفه الأمير شرف الدين إقبال الشرايبي<sup>(٢)</sup> ويقع عند باب بني شيبه ، وقف على طلبة المدرسة الشرايبيه سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م<sup>(٣)</sup> .
- ١٤ . رباط كلاله : سمي بذلك نسبة إلى واقفه أبو القاسم بن كلاله الطيبي في المسعى أوقفه على الفقراء سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م<sup>(٤)</sup> .
- أما المدينة المنورة فقد حوت عدد من الأربطة أهمها :
- ١ . رباط سيدنا عثمان بن عفان : في سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار

---

= بالحرمين الشريفين ووقف هناك أوقافاً ، وكان على الطريقة الصوفية ، وحلّ من ملوك عصره أطف محل ، وجرت لهم على يديه من البر أعمال عظيمة ) ، توفي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٣١ م .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ٧٠٦٠٥ .

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٧٠٦٠٥ .

ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٣٧ .

(٢) هو الأمير شرف الدين إقبال مقدم الجيوش العباسية ويعرف بالشرايبي المستنصري العباسي وتوفي سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٦٠ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٢٨٧ . ٢٨٨ .

المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ / ص ٤١٨ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩١ . ٣٩٢ .

مالكى : بلاد الحجاز ، ص ١٤٧ . ١٤٨ .

(٤) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٦٤ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٩٠ .

السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج ١ / ص ٩٧ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩٢ .

الصغرى لسيدنا عثمان بن عفان وجعله رباطاً لطلبة العلم من بلاد المغرب<sup>(١)</sup> ، وتمت توسعة هذا الرباط وخصصوا غرفة منه لتكون مكتبة من أهم المكتبات التي احتوت على أعظم كتب الفقه المالكي ، وسكنه العلماء وطلبة العلم وكان يقوم فيه حلقات الدروس<sup>(٢)</sup> .

٢ . رباط الناصر لدين الله<sup>(٣)</sup> : أمر ببنائه الخليفة العباسي الناصر لدين الله في المدينة المنورة سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م ليكون سكناً لطلبة العلم والغرباء المقيمين في المدينة ، ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوي الشريف<sup>(٤)</sup> .

٣ . رباط المراغي : أوقفه قاضي القضاة أبو بكر بن عبد الله المراغي<sup>(٥)</sup> سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م ويقع عند باب السلام ، وجعل شرط وقفه على أن يكون سكناً للصوفية والزهاد المقيمين في المدينة المنورة وأن يكون سكناً للحجاج العرب والعجم الذين أتوا للزيارة في فترة الموسم<sup>(٦)</sup> .

٤ . رباط الزنجيلي : أمر ببنائه فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي نائب أمير عدن سنة ٥٧٩ هـ /

---

(١) المراغي ( عبد الله مصطفى ) : تحقيق النضرة بتلخيص معال دار الهجرة ، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٦٧ .

الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٤٩ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٥ . ١٥٦ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٦ .

(٣) أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله الخليفة الناصر لدين الله العباسي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م .

السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ج ١ / ٣٨٧ .

(٤) المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٧٨ .

الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٥٤ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٦ .

(٥) مرّ ذكره سابقاً .

(٦) المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٧٨ .

الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٥٥ .

١١٨٤ م ، ويقع عند باب النساء ، أوقفه على الأحناف المقيمين في المدينة المنورة ، وجعل شرط وقفيته أن يكون سكناً للحجاج القادمين من عدن أثناء موسم الحج<sup>(١)</sup> .

٥ . رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسي : أوقفته سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م قرب باب جبريل عليه السلام ، واشترطت بأن يكون سكناً للفقراء المنقطعين المقيمين في المدينة المنورة<sup>(٢)</sup> .

٦ . رباط الأصفهاني : أوقفه جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصفهاني<sup>(٣)</sup> في أواخر القرن السادس الهجري في الدار الكبرى لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وجعله سكناً للفقراء المنقطعين من الأعاجم من بلاد الفرس وأن يكون سكناً للحجاج في فترة الموسم<sup>(٤)</sup> .

٧ . رباط خالد بن الوليد : يقع هذا الرباط في داري خالد بن الوليد وعمرو بن العاص حيث كانتا متجاورتين فاشترهما تجار بلاد غزنة<sup>(٥)</sup> سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م وبنيتا رباطاً لسكنى الغرباء من الهند المجاورين في المدينة وسكناً للحجاج فترة الموسم ، وسمي هذا الرباط فيما بعد برباط السبيل<sup>(٦)</sup> .

ومن الجدير هنا ذكر بعض الآبار الموجودة في الحجاز في فترة هذه الدراسة :

---

(١) المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٧٩ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٧ .

(٢) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ / ص ١٠٥٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٨ .

(٣) لم يعثر له على ترجمة .

(٤) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ / ص ١٠٥٨ .

المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٨٠ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٨ .

(٥) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٩ / ص ١٧٦ .

(٦) الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٥٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٨ .

١ . بئر بنر : يقع في أعلى مكة بنيت قبيل عهد النبي وظل يستقي منها الناس حتى زمن المماليك<sup>(١)</sup> .

٢ . بئر الجفر : حفرت قبل الإسلام وتقع بطرف أحياد قرب البيمارستان المستنصري وأمرت الخلافة العباسية بإصلاحها عندما تعطلت سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م<sup>(٢)</sup> .

أما المدينة المنورة فقد كانت بلد زراعي لأنها تشتهر بكثرة مياهها وكذلك تشتهر منازلها بوجود آبار في داخلها كبئر أنا وبئر أنس نسبة للصحابي أنس بن مالك وبئر اهاب وبئر حلوة وبئر حار وعروة وبئر فاطمة بنت الحسين وجميعها بنيت في عصور سابقة<sup>(٣)</sup> .

ومن أعمال الخير أيضاً بناء السبل والسبل عبارة عن خزانات صغيرة تبنى فوق سطح الأرض وتملأ بالمياه لسقيا الناس في غدوهم ورواحهم<sup>(٤)</sup> كالسبل الذي أمر ببناؤه الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن بمكة وجددت عمارته عندما تعطل زمن سلاطين المماليك<sup>(٥)</sup> ، وفي سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م أمر الزنجبيلي ببناء سبل قرب المسجد الحرام قرب مدرسته التي أمر ببناؤها في السنة نفسها<sup>(٦)</sup> .

أما العيون فأهمها عين حنين التي أمرت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد ببناؤها سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م بعد أن شاهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء فأوفدت من بغداد المهندسين والصنّاع وألزمتهم بضرورة

(١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ١٦٨ .

البلاذري: فتوح البلدان ، ج ١ / ص ٥٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٠ .

(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ١٧٤ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣١ .

(٣) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٨ .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٨٤ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢١٦ .

(٦) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٩ .

إيصال مياه العيون إلى داخل الحرم<sup>(١)</sup> وظلت هذه العين تؤدي دورها حتى العصر المملوكي من بعد إصلاحها عدة مرات<sup>(٢)</sup> ، وعين عرفة التي بناها الأمير الاصفهيتار<sup>(٣)</sup> والكبير مجير الدين طاشتكين أمير الحج والحرمين سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م<sup>(٤)</sup> .

أما المدينة فقد كان فيها عين الزرقاء التي تقع جنوب غرب المدينة وتتصل بمياه آبار عديدة لسقيا أهل المدينة والحجاج معاً<sup>(٥)</sup> ، وقد أنشأ هذه العين الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م<sup>(٦)</sup>، وسميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان بن الحكم نسبة إلى زرقه عينيه<sup>(٧)</sup>، ولم يحدث أي إصلاحات لهذه العين سوى ما قام به ابن الهيجاء<sup>(٨)</sup> سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م كما قام بتعيين عمال يشرفون على هذه

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ / ص ٤٢٢ .

الفاشي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٣٤٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٤ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٧ .

(٣) الاصفهيتار : هو لفظ فارسي تركي ، الكلمة الأولى أسفه فارسية وتعني المقدم والثانية سلاز وتعني العسكر فيصبح

اللقب مقدم العسكر . مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٩ .

(٤) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٩ .

(٥) الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٠٤ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٤ .

(٦) الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٠٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٤ .

(٧) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ / ص ١٠٠٦ .

(٨) هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥هـ وكان شاعراً من شعراء العصر العباسي الثاني وقام سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م

بالحج فقام بأعمال خيرية في المدينة المنورة منها إصلاح عين الزرقاء .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٨ / ص ١٢٠-١٢٤ .

العين وتنظيف قنواتها الرئيسية<sup>(١)</sup> .

وقد حوت مكة بما عرف بالبيمارستان المستنصري الذي بني بأمر من الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م لمعالجة مرضى الرجال والنساء ويقع عند مدخل شعب أجياد وهو عبارة عن بنائين أحدهما خاص بالنساء والثاني خاص بالرجال ، وكل مبنى مكون من طابقين وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا البيمارستان من المرضى والخدم والأطباء<sup>(٢)</sup> .

#### ٤- المجاورون وأثرهم في تنشيط الحياة الاجتماعية :

شغل المجاورون دوراً هاماً في تنشيط الحركة الاجتماعية في الحجاز من خلال تأثيرهم وتأثرهم بهذا المجتمع ، حيث حملوا الكثير من عاداتهم وتقاليدهم التي عمت المدينتين المقدستين . ولعل العلاقات الوطيدة بين الخلافة الفاطمية وأمراء الحجاز هي التي جعلت المصريين يحتلون المرتبة الأولى بين هؤلاء المجاورين ، ويأتي من بعدهم الشاميون والعراقيون ثم المغاربة وأخيراً اليمنيون ، وربما كانت قلة العراقيين ترجع إلى اختلاف الخلافة العباسية مع أمراء مكة والمدينة<sup>(٣)</sup> ولعل ذلك يعود إلى اضطراب الأحوال السياسية في العراق وخصوصاً بعد سقوط بغداد على أيدي المغول مما شغل علماء العراق أو من بقي منهم على قيد الحياة بمحوم بلادهم وبالنكبة التي حلت بهم .

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ / ص ١١١٨ .

المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٣٦ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٥ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ / ص ٣٢١ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٤٨ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج ١ / ص ٤٨ .

ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٧٦ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٦٨ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٨ .

كما كان أكثر المجاورين من العلماء والزهاد أو الذين نفاهم الحكام أو من كبار التجار الذين جاءوا يقضون شيخوختهم بجوار الحرمين ، وقد كان هؤلاء المجاورين خيراً وبركة على المدينتين المقدستين سواء كانوا علماء أو تجار<sup>(١)</sup> ، ولم تكن المجاورة مقتصرة على قضاء سنوات في أواخر العمر بل قد تكون للراحة وطلب الصفاء الروحي ، ويعود بعدها المجاور وقد تجدد نشاطه إلى حياة العلم والعمل كابن عساكر<sup>(٢)</sup> ( ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م ) قد جاور بمكة أربعين سنة<sup>(٣)</sup> ، وفخر الدين التوزري<sup>(٤)</sup> ( ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م ) الذي جاور بمكة ثلاث وعشرون سنة إلى أن توفي بها<sup>(٥)</sup> ، وشيخ الحرم ظهير الدين محمد بن عبد الله البغدادي الذي جاور بمكة أربعين عاماً إلى أن توفي سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م<sup>(٦)</sup> ، وعز الدين الحسن بن

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار، ص ١٧٢ . ١٧٣ .

(٢) ابن عساكر أمير الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الأمانة الدمشقي .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٣٩٥ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٥٧٢ . ٥٧٣ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٣٩٥ .

(٤) عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمود بن داود الشيخ فخر الدين التوزري المالكي .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤٢ .

(٥) العامري اليماني : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٨٣ .

البرزالي ( علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف الاشيلي الدمشقي المتوفى ٧٣٩هـ ) : المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ( د.ت ) ، ج ٤ / ص ١٠٢ . ١٠٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤٦ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧١ . ٢٧٢ .

(٦) البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٣ / ص ٤٠٩ .

العامري اليماني : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٨٠ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ / ص ١٦ . ١٧ .

علي الواسطي ( ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ) الذي كان من أصحاب الأموال الطائلة إذ كان تاجراً كبيراً في بلده فكان يبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين<sup>(١)</sup> .

تلك أمثلة عن أولئك المجاورين على سبيل الذكر لا الحصر حيث سيأتي ذكر دور المجاورين في ثنايا البحث. وهكذا فقد شكل المجاورون في الحرمين على مرّ العصور جزءاً من مكونات المجتمع المكي والمدني ولقد كان سلاطين الأيوبيين والرسوليين والمماليك الذين عملوا على راحة سكان الحرمين الأصليين والمجاورين وقدموا لهم المساعدات المالية وأرسلوا لهم الصدقات كلما أمت بهم أزمة اقتصادية .

ويتضح مما ورد أن المجاورين الذي كان من بينهم العلماء اختلطوا بالمجتمع المكي والمدني وأن الكثيرين منهم أمضوا بقية حياتهم في الحرمين ، ولا بدّ أنهم تصاهروا مع أهلها مما ترك أثاره في تكوين المجتمع المكي سواء من حيث الألبسة أو العادات والأطعمة فضلاً عن تأثيرهم العلمي .

ولعل من الجدير ذكره أن أعمال البرّ والصدقات التي كانت في الحجاز من قِبَل أمراء العالم الإسلامي من حفر للآبار والعيون وبناء المدارس والأربطة والمساجد التي سيأتي ذكرها كان لها التأثير الكبير على النشاط الاجتماعي في الحجاز عامة ، والناظر إلى المجتمع المكي والمدني لا يرى فرقاً في نواحي الحياة الاجتماعية بين المدينتين حيث التشابه في الاحتفالات والأعياد والمأكل والمشرب وإكرام زوارهم.

ويمكن القول أن الأعمال التي قام بها الجواد وزير صاحب الموصل ببناء السور المحيط بالمدينة وإكماله من قِبَل نور الدين زنكي ساهم إسهاماً كبيراً في انتعاش الحياة الاجتماعية في المدينة حيث عمّ الأمن والاستقرار في وجه الأعراب الذين هددوا أمن المدينة ، كما أن الهدوء السياسي شغل أيضاً دوراً هاماً في هذا الانتعاش.

والجدير ذكره أن وجود الحرمين الشريفين في الحجاز جعل منه أهمية كبرى فكان محطاً للصراع بين أكبر القوى الإسلامية المتواجدة في الشام ومصر واليمن مما أثار عليه إيجابياً من خلال تسابق تلك القوى لإنشاء المنشآت الاجتماعية من سبل وربط ومساجد وحمامات وما سواها ، حيث شغلت تلك المدارس دوراً هاماً

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار، ج ١ / ص ١٧٢ . ١٧٣ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٨٦ . ٢٨٧ .

في تنشيط الحياة الاجتماعية ولكن تنافس أشراف مكة فيما بينهم على حكمها أثر سلبياً على عدم استقرارها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، بيد أن المدينة عاشت حالة من السكينة والهدوء لم تكن لتوجد بمكة والطابع الخاص الذي اتسم به الحجاز هو تلك العلاقة التي نشطت بين المجاورين وأهل المدينتين المقدستين واندماجهم في ذلك المجتمع وتأثيرهم وتأثرهم فيه فكان لأولئك المجاورين دوراً ريادياً هاماً في تنشيط الحياة بمحملها .

## الفصل الثاني :

مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية خلال القرنين السادس  
والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

### أولاً : اهتمام بعض سلاطين وأمراء العالم الإسلامي بالحركة العلمية في الحجاز :

ترتبط نهضة العلوم ونشاط الحركة العلمية لدى الأمم والحضارات بعدة عوامل وأسباب ، لذلك يُلاحظ من خلال قراءة التاريخ أنَّ الخلفاء والسلاطين والأمراء هم أصحاب الدور الأساسي والفعال في أي نهوض علمي عرفتتها الحضارة الإسلامية منذ نشأتها من مشرقها إلى مغربها رغم التباين في الاختلاف بين أمصار العالم الإسلامي في قوة الحركة العلمية وضعفها ، وفي تبني أولئك الأمراء لذلك إيجاباً أو سلباً حيث وُجد العديد من المناطق في العالم الإسلامي عرفت نهوضاً تمثل في كثرة العلماء في العلوم والتخصصات كافة ، الذين تركوا إسهاماتهم وما أبدعوه من جديد في حقول المعرفة .

كل هذا يدخل ضمن عوامل داخلية وخارجية قد يكون للمسألة السياسية بعض التأثير ، ولكن الموجه الحقيقي لها دائماً هو التنافس بين الخلفاء أو الأمراء في استقطاب العلماء وتشجيعهم ، بالإضافة إلى التوجه المذهبي والفكري لدى هؤلاء العلماء ومشجعهم لذلك فإنَّ اهتمام الحكام بوجه عام يبرز في عدة مظاهر من أهمها :

١ - اهتمامهم بالعلم : فقد كان الكثير منهم من محبيه ومريديه والمشاركين فيه ، بل إنَّ منهم من برز وأصبح من مشاهير علماء عصره .

٢ - تقريهم للعلماء والاهتمام بهم وإكرامهم وتبجيلهم وإشراكهم في المجالس العلمية وإنفاقهم غير المحدود من أجل دفع عجلة العلم ، وذلك بإنشاء دور العلم كالمدارس والكتاتيب والربط وتزويد دور الكتب ، وكافة نواحي الإنفاق التي تتخذ شكلاً رسمياً أو أوقافاً خيرية أو هبات .

وتلك العوامل هي الركيزة الأساسية لازدهار أي نشاط علمي .

أما الحجاز فقد تميز بخاصية لم تكن لتوجد بأي منطقة أخرى وهي اهتمام أمراء العالم الإسلامي من زنكيين وأيوبيين ومماليك الذين تناوبوا على حكم بلاد الشام ومصر والحجاز ، والرسوليين الذين حكموا اليمن ، فعمل أولئك السلاطين للنهوض بالحركة العلمية بعد التزدي الذي أصابها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين بهجرة جُلِّ علمائه إلى مختلف أمصار العالم الإسلامي ، فمن كانت له السيطرة ومدَّ النفوذ كان صاحب الكلمة الأولى والمطلقة لدى الخلافة العباسية ، لأن

السيطرة على هذا الإقليم تجعل من السلطان ذو مكانة كبرى لما يتمتع به الحجاز من أهمية دينية وسياسية كبرى ، بالإضافة إلى ما كان بين سلاطين تلك الدول حتى أحياناً داخل البيت الواحد كالأيوبيين مثلاً من تنافس وصراع على هذا الإقليم ، وهذا التنافس لم يكن دموياً في معظم الأحيان ، كما كان بين الرسوليين والمماليك بقدر ما كان دعماً للحجاز .

وخلال هذا البحث سيتم استعراض كل تلك الإسهامات كل على حدا في المكان المخصص لها ، وما يهم هنا هي المدارس والأربطة المحيطة بها التي خصصت لسكنى المدرسين والطلاب ، فقد كان القرن السابع الهجري الثاني عشر الميلادي هو بداية النهضة العلمية للحجاز في حين أصبح القرن الثامن الهجري الثالث عشر الميلادي عصر إنتاج علمي متوجاً بالدعم الرسولي المملوكي ، حيث أن المدارس الإسلامية قد بدأت في التطور في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، و ظهورها في مكة المكرمة لم يبدأ إلا في الربع الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن أهمها :

١ - مدرسة الزنجبيلي : أسسها سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م الأمير فخر الدين عثمان بن علي المعروف بالزنجبيلي ( ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ) نائب صلاح الدين الأيوبي في عدن <sup>(١)</sup> ، وسيتم تفصيل التدريس بهذه المدرسة وغيرها من المدارس في فصل لاحق .

٢ - مدرسة طاب الزمان : افتتحتها طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة العباسي المستضيء سنة ٥٨٠ هـ /

---

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٤ - ٣٥ .

ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ / ص ٤٠٤ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

عبد الرحمن بن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٦ - ٤٧ .

معروف ( ناجي ) : مدارس مكة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ( د . ت ) ، ص ١٠ - ١١ .

معروف ( ناجي ) : المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ( د . ت ) ، ص ٣٠٨ .

١١٨٤م<sup>(١)</sup> .

٣ - مدرسة الأرسوفي : نسبة إلى مؤسسها عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بالعفيف ويعرف بالأرسوفي ، وتاريخ وقفها سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م<sup>(٢)</sup> .

٤ - مدرسة النهاوندي : انشئت حوالي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م<sup>(٣)</sup> .

٥ - مدرسة ابن حداد : مؤسسها أبو المنصور عبد الحق بن عبد الحق بن عبد الرحمن المهدوي المعروف بابن حداد<sup>(٤)</sup> ، أوقفت سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤١م<sup>(٥)</sup> .

---

(١) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٧ .

معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .

معروف : المدارس الشرايية ، ص ٣٠٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٢٤٧ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٦ .

معروف : مدارس مكة ، ص ٩ - ١٠ .

معروف : المدارس الشرايية ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٣ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٧ - ٤٨ .

معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .

معروف : المدارس الشرايية ، ص ٣٠٩ .

المزني ( عبد الرحمن بن سليمان ) : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، تقدم : أحمد بن محمد الخراط ،

المدينة المنورة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ١٢١ .

(٤) لم يعثر له على ترجمة .

(٥) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .

معروف : المدارس الشرايية ، ص ٣١٠ =

## ٦ - المدارس الشرايية : بناها الأمير العباسي إقبال الشراي<sup>(١)</sup> سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م<sup>(٢)</sup> .

نالت الحركة العلمية النصيب الوافر من سلاطين الرسولين مما دفع بعجلة التطور الفكري إلى الأمام ، فأقاموا بعض المنشآت والمعاهد العلمية ، وما يمكن قوله أن اهتمامهم بالحركة العلمية كان أعظم من اهتمام سلاطين الممالك وأمرء الحجاز أنفسهم ، والسبب الحقيقي في ذلك هو كون سلاطين بني رسول على درجة عالية من العلم والمعرفة حتى أن بعضهم قام بتأليف الكتب ، فقد كان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) يجالس العلماء والصالحين وكان مشتغلاً بالعلم ، وكان يكتب كل آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها فيحفظها ويحفظ تفسيرها ، وله اليد الطولى في الطب ويدل على ذلك قوله حينما كتب للملك الظاهر بيبرس أنه محتاج لطبيب لمدينة ظفار لوباء أصاب أهلها : ( لا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا فإننا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه منذ الشببية اشتغلاً كثيراً وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب وله كتاب جامع ليس لأحد مثله )<sup>(٣)</sup> ، كما أخذ علم الحديث عن عالم مكة المحدث الفقيه محب الطبري<sup>(٤)</sup> وله الكثير من

---

= معروف : مدارس مكة ، ص ١٢ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢١ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

(١) هو إقبال ، شرف الدين أبو الفضائل الحبشي المستنصري جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين الشراي ، المتوفى سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م .

الذهبي ( شمس الدين أبو عبد الله محمد ) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف سعيد الأرنؤوط ،

مؤسسة الرسالة ( د . ت ) ، ج ٢٣ / ص ٣٧١ .

(٢) السنجاري : مناقح الكرم ، ج ٢ / ص ٣٠٥ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢٢ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٤) أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم شيخ الحجاز محب الدين الطبري

المكي الشافعي ، يكنى أبا جعفر وأبا العباس ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ) . =

المؤلفات منها كتاب « تيسير الطالب في تسيير الكواكب »<sup>(١)</sup> ، كما كان ابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي ( ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م )<sup>(٢)</sup> عالماً مشاركاً في الفقه والحديث والنحو والأنساب والطب والفلك وصنف مصنفات كثيرة منها : « الإبدال لما علم في الحال »<sup>(٣)</sup> و « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب »<sup>(٤)</sup> و « التبصرة في علم النجوم »<sup>(٥)</sup> وله كتاب « مختصر كتاب الجمهرة في البيزرة »<sup>(٦)</sup> . ولقد سعى آل رسول إلى تقريب أولي العلم والمعرفة ، وقاموا بإكرامهم وتهيئة المناخ المناسب لهم ، لكي ينصرفوا إلى العلم والبحث العلمي في حقول المعرفة المختلفة ، وهكذا يبدو واضحاً القدر العلمي العظيم لملوك بني رسول وكيف كان لحياتهم الحافلة بالعلم وحبهم للتأليف أثر كبير في علو مكانتهم العلمية . وكان لتضلع الكثير من علماء الحجاز ومجاوريه في العلم أن جعلت من سلاطين بني رسول يستدعونهم إلى اليمن

---

= الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٦١ .

السبكي ( عبد الوهاب بن علي ) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م ، ج ٨ / ص ١٩ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٢٧٧ .

(١) حاجي خليفة ( مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت - دار الفكر ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ / ص ٥١٩ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٢٨٤ - ٢٩٨ .

(٣) مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ميكرو فيلم رقم ١٦٧ أدوية طب ، عن مكتبة الأحقاف باليمن برقم ١١١٠ / ١٠ .

(٤) قام بتحقيقه سترسين ، طبع ضمن مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ م ، مصور بمقدمة في أربعين صفحة للأستاذ صلاح الدين المنجد .

الحبشي ( عبد الله محمد ) : مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، بيروت - المكتبة العصرية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٦٠٩ .

(٥) الحبشي : مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٦٠٩ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٤٤٢ .

ليأخذوا عليهم بعض العلوم ، كما فعل الملك المظفر شمس الدين يوسف ( ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م ) حينما استدعى محب الدين الطبري ليسمع عليه الحديث وبعض مروياته ومؤلفاته <sup>(١)</sup> ، وكان للمحب الطبري مكانة عظيمة عند الملك المظفر ، وكان يحسن إليه كثيراً ، ورتب له في كل شهر خمسين دينار على التدريس بمدرسة والده المعروفة بالمنصورية <sup>(٢)</sup> ، كما أجاز المحب الطبري للملك المؤيد ( ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م ) في كتاب « البخاري » و « صحيح الترمذي » و « صحيح مسلم » و أجازته في باقي الأمهات في كتب الحديث <sup>(٣)</sup> .

كما قام بعض العلماء والمجاورين بالحرمين بتصنيف الكتب ، وقدموها لملوك آل رسول باليمن ومنهم محب الدين الطبري ، الذي ألف للملك المنصور كتاباً سماه « الدرّ المنشور للملك المنصور » ، كما ألف لابنه المظفر كتاباً سماه « الطراز المذهب المحرر في تلخيص المذهب للملك المظفر » <sup>(٤)</sup> ، وذكر الفاسي أن هذا الكتاب لم ينقح ، وكتاب « المحرر للملك المظفر » جمع فيه أحكام الصحيحين <sup>(٥)</sup> .

إن الاهتمام من ملوك بني رسول لعلماء الحجاز وفقهائه وقضاته يعكس مدى الترابط الثقافي بين الحجاز واليمن كما يؤكد ذلك المستوى العلمي الرفيع لسلطين بني رسول ، وعلو مكانة العلماء لديهم ، وذلك

---

(١) اليافعي ( أبو محمد بن عبد الله بن أسعد ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ج ٤ / ص ٢٤٤ .

السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٨ / ص ١٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٦٥ .

(٣) ابن حجر ( شهاب الدين أحمد بن علي ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت - دار الجيل ( د . ت ) ، ج ٢ / ص ٩٩ .

الخرزجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٤٤١ - ٤٢٢ .

(٤) السخاوي ( محمد بن عبد الرحمن ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ( د .

ت ) ج ٧ / ص ١٨٢ .

الخرزجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ / ص ٢٢٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٦٣ .

دفعهم أيضاً إلى إقامة الكثير من المآثر الخيرية والعلمية في الحجاز .  
ومن الجدير ذكره أنه لم يكن لهم دروس في الحرمين الشريفين ، كما أن إنشاءاتهم العلمية تركزت بشكل خاص في مكة المكرمة ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قرب مكة من الطريق الواصل إلى اليمن .  
ولم ينفرد بني رسول باهتمامهم بالحركة العلمية في مكة حيث سار المماليك على نهج الرسوليين ونتيجة ذلك زاد النشاط العلمي في عصر المماليك عن سابقه في زمن الأيوبيين ، وتوفر الوقت والمال لديهم ، فاهتموا بإنشاء دور التعليم في مختلف أنحاء مصر والشام والحجاز ، ورصدوا لها الأوقاف الواسعة ليضمنوا استمرارها وتأديتها على أكمل وجه <sup>(١)</sup> .

كما حظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة باهتمام خاص من سلاطين المماليك لما لهما من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين فأنشئوا المدارس المتعددة فيها لكي تكون ملتقى الطلبة من أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة وأطراف الحجاز ومن يفد إليهم من العلماء والتلامذة ، كما أجزلوا العطاء لأهل الحرمين والمدرسين والقضاة <sup>(٢)</sup> .

ويعود السبب الأهم لما لمكة والمدينة من أهمية كبرى في قلوب المسلمين فإذا اهتم بها السلاطين كان ذلك دافعاً لرضاء العلماء الذين سوف يشنون على السلاطين ، وخاصة أن الكثير من العلماء كانوا مجاورين بالحرمين الشريفين .

---

<sup>(١)</sup> ابن دقيق العيد ( تقي الدين ) : الاقتراح في بيان الاصطلاح ، تحقيق : قحطان عبد الرحمن الدوري ، ( د . ت ) ، ص ٢٠ - ٢١ .

حمزة ( عبد اللطيف ) : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، الطبعة الثامنة ، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٨ م ، ص ١٥٤ .

<sup>(٢)</sup> ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٣ / ص ٦٣٤ .  
المشيقيح ( إبراهيم بن حمود ) : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد ، الطبعة الأولى القصيم - مطابع المنار ، ١٤٠٨ هـ / ١٨٨٧ م ، ص ٥٣ .

## ثانياً - أثر العلماء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية :

### ١ - المجاورون :

مكة قدس الأقداس إليها تحوي أفئدة الناس من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، والمدينة المنورة بها يرقد أعظم خلق الله محمد ﷺ الذي يعشق كثير من المسلمين الإقامة بجواره فيا لهاتين المدينتين العظيمتين المكرمتين عند الله عز وجل وعند خلقه من المسلمين ، فالمجاورة بهما مستحبة عند أكثر العلماء ، فبهاتين المدينتين ينعقد سنوياً أهم مؤتمر علمي عالمي ، وذلك بالتقاء العلماء من المشرق والمغرب في أضخم ملتقى عرفته الدنيا هو الحج ، فعلى الرغم من الأحوال السياسية المضطربة في كثير من الأحيان في الحجاز ، فقد كانت هناك حياة علمية مزدهرة ، التقت فيها جهود المكيين والمدنيين والمجاورين بجهود القادمين للحج والزيارة فتكونت نخضة علمية ضاهت المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي .

فكان للمجاورين أثر كبير في الحركة العلمية بالحجاز وهؤلاء المجاورون الذين أرادوا البقاء في مكة أو المدينة النبوية بجوار الحرمين الشريفين ، وكان بقاؤهم إما لدوافع دينية أو علمية أو اقتصادية أو سياسية ، وقد كان أكثرهم من مصر وبلاد الشام ، ويعود ذلك إلى قرب الديار المصرية والشامية من الحجاز وسهولة الوصول إليها من جهة أخرى <sup>(١)</sup> ، كما كان هناك مجاورون من العراق <sup>(٢)</sup> والمغرب <sup>(٣)</sup> ، وكان أكثر المجاورين من العلماء والزهاد ، أو من كبار رجال الدولة الذين جاؤوا يقضون ما تبقى من حياتهم بجوار البيت الحرام والمسجد النبوي ، لذا فقد كان هؤلاء المجاورون خيراً على مكة والمدينة سواء كانوا علماء أو تجار <sup>(٤)</sup> .

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ابن العماد ( أبو الفلاح عبد الحي ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الطبعة

الأولى ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٦ / ص ١٧ - ١٩ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٤ / ص ٨٣ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ / ص ٣٢ .

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

وقد أعطت مكة والمدينة لأولئك المجاورين الراحة والطمأنينة التي جعلت الكثير منهم يصنفون تصانيف كثيرة ويؤلفون مؤلفات ضخمة أغنوا بها المكتبات الإسلامية <sup>(١)</sup> .

والمجاورة ليس لها مدة زمنية محددة لكنها تطول وتقصّر تبعاً لراحة المجاور والظروف المحيطة به <sup>(٢)</sup> ، وساعد على حركة المجاورة ما قام به السلاطين من إنشاء المدارس والأربطة وإقامة الدروس في الحرمين الشريفين ووقف الأوقاف الضخمة على الكتب والمدارس والأربطة والزوايا وما أنفقوه على المجاورين <sup>(٣)</sup> هذا وقد كان تفاعل هؤلاء العلماء المجاورين مع علماء الحرمين الشريفين تفاعلاً كبيراً ومؤثراً على الطرفين إذ سمع بعضهم من بعض وأجاز بعضهم للآخر فاستزادوا بذلك علماً وفضلاً <sup>(٤)</sup> ، كما أن بعض هؤلاء العلماء المجاورين كانوا يصحبون معهم جلّ كتبهم إلى الحرمين الشريفين مما ساعد على تنشيط الحركة العلمية في الحجاز <sup>(٥)</sup> وقد أوردت كتب التاريخ عدد كبير من أولئك المجاورين يُكتفى هنا بذكر بعضهم تبعاً للأهمية العلمية وذلك لضيق صفحات البحث :

١ - محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، الحافظ أبو الفضل المقدسي ويُعرف في وقته بابن القيسراني الشيباني ( ت ٥٠٧ هـ / ١١١٤ م ) :

حج وجاور فسمع جماعة من العلماء ، وتخرج في التصوف والحديث والسنة وسمع بالمدينة النبوية ، وهو صاحب الرحلة الواسعة فزار أربعين مدينة ، وكان أحد الحفاظ حسن الاعتقاد جميل الطريقة صدوقاً عالماً بالصحيح والسقيم كثير التصانيف <sup>(٦)</sup> ، كتب «صحيح البخاري» و «سنن أبي داود» سبع مرات

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٣١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ / ص ١٦٩ .

(٣) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٤٣ .

(٤) المراكشي ( أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري ) : الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، تحقيق : محمد بن عبد

شريعة ، الرباط ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ج ١ / ص ٢١٠ - ٢٣٧ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٤٠٠ .

(٦) أبو نقطة الحنبلي ( الحافظ أبي بكر بن محمد بن عبد الغني البغدادي ) : التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد ، =

بالوراقة ، وسنن ابن ماجة بالوراقة عشر مرات ، وله كتاب « صفوة الصوفية » وكتاب « جواز النظر إلى

المرد » وكتاب « المؤلف » وكتاب « المنشور » فمن شعره :

|                                          |                                                      |
|------------------------------------------|------------------------------------------------------|
| سَارُوا بِهَا كَالْبَدْرِ فِي هُودَجٍ    | يَمِيسُ مُحْفُوفاً بِأَتْرَابِهِ                     |
| فَاسْتَعْبِرَتْ تَبْكِي ، فَعَاتَبْتُهَا | خَوْفاً مِنَ الْوَاشِي وَأَصْحَابِهِ                 |
| فَقُلْتُ : لَا تَبْكِي عَلَى هَالِكٍ     | بَعْدَكَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا بِهِ                  |
| لِلْمَوْتِ أَبْوَابٌ ، وَكُلُّ الْوَرَى  | لَا بُدَّ أَنْ تَدْخُلَ مِنْ بَابِهِ                 |
| وَأَحْسَنُ الْمَوْتِ بِأَهْلِ الْهَوَى   | مَنْ مَاتَ فِي فُرْقَةٍ أَصْحَابِهِ <sup>(١)</sup> . |

٢ . محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي أبو القاسم المعروف بالزخشي ، الملقب جاز الله لطول إقامته بمكة ( ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م ) :

ولد بزخشر من قرى خوارزم ، روت عنه أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرية ( ت ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ) ولها منه إجازة<sup>(٢)</sup> ، ذكره ابن خلكان في تاريخه فقال : ( الإمام الكبير في التفسير والحديث و النحو وعلم البيان ، كان إمام عصره تُشَدُّ إليه الرحل )<sup>(٣)</sup> ، صَنَّفَ التصانيف الكثيرة منها « الكشاف في تفسير القرآن العظيم » و « الفائق في تفسير الحديث » و « أساس البلاغة في البلاغة »<sup>(٤)</sup> وله الكثير من الكتب

---

= الهند - مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ١ / ص ٣٩ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١١ / ص ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ / ص ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١١ / ص ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ١٣٧ - ١٣٨ .

أبو شبهة ( محمد بن محمد ) : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، مكتبة السنة ، الطبعة الرابعة ( د . ت ) ،

ج ١ / ص ١٦٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ / ص ٣٢٣ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ١٣٧ .

أبو شبهة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ج ١ / ص ١٦٧ .

والتصانيف التي سيرد ذكرها في ثنايا البحث لما لهذا العالم من أهمية كبرى في نهضة الحياة العلمية وازدهارها،  
ولكنه تعلقه بمكة قال عنها :

هو النَّفْسُ الصَّعَّادُ مِنْ كَبَدِ حَرَى      إِلَى أَنْ أَرَى أُمَّ الْقُرَى مَرَّةً أُخْرَى  
وما عُذْرُ مَطْرُوحٍ بِمَكَّةَ رَحْلُهُ      عَلَى غَيْرِ بُؤْسٍ لَا يَجُوعُ وَلَا يَعْرِى  
يُسَافِرُ عَنْهَا يَبْتَغِي بَدَلًا بِهَا      وَرَبِّكَ لَا عُذْرَى وَرَبِّكَ لَا عُذْرَى

خرج من مكة في أواخر عمره إلى خوارزم وتوفي بها ، ورثاه بعضهم بأبيات من جملتها :  
فَأَرْضُ مَكَّةَ تُذْرى الدَّمْعُ مُقْلَتُهَا      حُزْنًا لِفَرْقَةٍ جَارَ اللَّهُ تَحْمُودُ<sup>(١)</sup>.

٣ - أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التَّجِيبِي أبو العباس المعروف بالاقليشي ( ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م )  
أو التي بعدها<sup>(٢)</sup> :

رحل إلى الحجاز سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م وأدى الفريضة وجاور بمكة سنين وسمع بها «جامع الترمذي»  
برباط أم الخليفة العباسي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٨١ م ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب « الكوكب » وكتاب  
« النجم من كلام سيد العرب والعجم » وكتاب « الغرر من كتاب سيد البشر » وكتاب « ضياء الأولياء »<sup>(٣)</sup>  
ومن شعره :

أُسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ      لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مَخَالِفُ

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ١٨١ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ / ص ٣٥٨ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥١٦ .

(٣) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ١٨١ - ١٨٣ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ / ص ٣٥٨ .

التلمساني ( أحمد بن مقري ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت

- لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م ، ج ٢ / ص ٥٩٨ - ٥٩٩ .

قديمًا عصَى عَمْدًا وَجْهًا وَغَيْرَةً      ولم يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنْ اللَّهِ حَائِفُ  
تَزِيدُ سُنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً      فها هو في ليل الضلالة عاكِفُ  
تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مَظْلَمٌ      فما طافَ فِيهِ مِنْ سَنَا الْحَقِّ طَائِفُ  
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا      حلومُ مَنْامٍ أَوْ بَرْقُ خَوَاطِفُ  
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرَّةَ      إذا ارْتَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيهَةُ تَالِفُ  
فِيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَذْبَرَ الصَّبَا      وناداكَ مِنْ سِرِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ<sup>(١)</sup>.

٤ - علي بن عبد الله بن حمود الفاسي أبو الحسن المكناسي ( ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م ) :  
إمام المالكية بالحرم الشريف ، حج سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وأخذ عن أبي بكر الطرطوشي<sup>(٢)</sup> « سنن أبي  
داود » و « صحيح مسلم » ، دخل الأندلس مرابطاً ، ثم حج ثانياً وجاور وأمّ بالحرم المكي ، وكان زاهداً  
ورعاً محسناً للغرباء<sup>(٣)</sup> .

٥ - عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان نجم الدين أبو حفص الإربلي الشافعي ( ت ٦٠٧ هـ /  
١٢١١ م ) :

الفقيه الأجل تفقه على المذهب الشافعي رضي الله عنه ، سمع بإربل ومكة من الفقيه أبي عبد الله محمد بن  
إسماعيل بن أبي الصيِّف<sup>(٤)</sup> ، جاور بالحرم المكي سنين وحدث به وتوفي بإربل<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الفاسي المكي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ١٨٣ .  
التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ / ص ٥٩٩ .  
(٢) محمد بن الوليد أبو بكر الطرطوشي المغربي الأندلسي الفقيه المعروف بالعبادة والفضل ( ت قبل ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ) .  
أبو نقطة الحنبلي : التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد ، ج ١ / ص ٨٠ .  
(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ١٨١ .  
(٤) محمد بن إسماعيل بن علي بن أبي الصيِّف أبو عبد الله اليميني الشافعي ( ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م ) ، نزيل مكة ، تفقه  
وأقام بمكة ، وكان مشهوراً بالعلم والحديث .  
الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .  
(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

٦ - يونس بن يحيى بن أبي البركات بن أحمد أبو الحسن وأبو محمد الهاشمي الأزجي القصّار المجاور بمكة ( ت ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م ) :

سمع من كثيرين في مصر والشام ومكة أثناء مجاورته بها ، حدث وروى عنه الزكي المنذري<sup>(١)</sup> ويعقوب بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) وآخرون ، وروى بمكة « صحيح البخاري » وبها توفي<sup>(٢)</sup> .

٧ - يحيى بن ياقوت ، أبو الفرج البغدادي الفَرَّاش مملوك العتبة الشريفة ( ت ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م )<sup>(٣)</sup> :  
سمع الكثير من علماء بغداد ومكة وحدث بهما ، وجاور بمكة ورُتّب شيخاً بالحرم ومعماراً ، وروى عنه الديلمي<sup>(٤)</sup> وآخرين<sup>(٥)</sup> .

٨ - عمر بن مكة بن علي الخوزي ، أبو حفص الملقب بالسراج الفقيه الشافعي ( ت ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م )<sup>(٦)</sup> :

---

(١) الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي الأصل المصري ( ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ) .  
المزي ( يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ) : تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ / ص ١٥ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ / ص ١٢ - ١٣ .

الذهبي ( اختصار شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قيماز ت ٧٤٨ هـ ) : مختصر تاريخ الديلمي ، تحقيق :

مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ( د . ت ) ، ١ / ٣٨٨ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٣٥٧ .

الذهبي : العبر في خبر من غير ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ج ٥ / ص ٤٤ .

(٤) محمد بن سعيد بن يحيى ، أبو عبد الله بن الديلمي ( ت ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م ) مؤرخ من حفاظ الحديث ، نسبته إلى

ديثا من نواحي واسط . الذهبي : مختصر تاريخ الديلمي ، ج ١ / ص ٣ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٣٥٧ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣ / ص ٤٨ = .

قرأ المذهب والأصول والخلاف والجدل ، وكان زاهداً متعبداً سالكاً طريق الزهد والخلوة مداوماً على الصيام والصلاة ، حج وجاور بمكة إلى أن توفي بها ، وسكن رباط الخوزي وسمي باسمه لسكنائه به ، وقد وجد على قبره حجر تُرجم فيه : ( الشيخ الفقيه الإمام العالم الزاهد الورع شيخ الطريقة معدن الحقيقة قدوة السالكين كهف الفقراء والمساكين سراج الدين مفتي الفريقين ) (١) .

٩ - محمد بن عمر بن يوسف ، الإمام أبو عبد الله الأنصاري القرطبي المقرئ المالكي الزاهد المعروف بالأندلس بابن مغايط ( ت ٦٣١هـ / ١٢٣٤م ) :

نشأ بمدينة فاس المغربية ثم حج وسمع بمكة والإسكندرية وكان إماماً صالحاً زاهداً مجوذاً للقراءات عارفاً بوجهها بصيراً بمذهب مالك حاذقاً بفنون العربية وله اليد الطولى في التفسير ، جاور بالمدينة النبوية واشتهر بالفضل والصلاح والورع ، وأمّ بالمسجد النبوي الشريف ، وقال المنذري : ( قرأ القراءات وسمع وحدّث وحج مرات وأكثر المجاورة عند قبر النبي ﷺ وبرع في التفسير والأدب وكان له القبول التام من الخاصة والعامة مثابراً على قضاء حوائج الناس ) (٢) .

١٠ - الخضر بن عبد الواحد بن علي بن الخضر ، تاج الدين أبو القاسم المعروف بابن السابق الشافعي ( ت ٦٣١هـ / ١٢٣٤م ) :

كان قاضياً بمكة من أعيان فقهاء الشافعية وأكابرهم ، استوطن مكة وجاور بها إلى حين وفاته ، درس وأفق بالحرم الشريف وولي القضاء بمكة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م (٣) .

١١ - عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن عبد الخالق أبو محمد بن أبي الثناء الإسكندري الفقيه المكي الصوفي ( ت ٦٣٨هـ / ١٢٤١م ) :

---

= الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٦٢ .

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج ١٤ / ص ٥٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٤ / ص ٣١٦ - ٣١٧ .

سمع منه الرشيد العطار <sup>(١)</sup> وتوفي قبله وذكره في مشيخته وقال : ( كان من أعيان مشايخ الإسكندرية مشهوراً بالزهد والصلاح له معرفة بأصول الدين ومذهب مالك ) <sup>(٢)</sup> ، وصنّف كتاباً في الرقائق وعلم الباطن وشرح « الرعاية للمحاسبي » <sup>(٣)</sup> ورسالة القشيري <sup>(٤)</sup> ، جاور بمكة مدة وبها توفي <sup>(٥)</sup> .

١٢ - عبد المحسن بن أبي العميد بن خالد بن عبد الغفار بن إسماعيل الإمام حجة الدين أبو طالب الحنفي الأبهري الشافعي الصوفي ( ت ٦٤٤ هـ / ١٢٤٧ م ) :

تفقه بمهذان وسمع بالكثير من البلدان منهم مكة المكرمة ، وكان كثير الأسفار والحج صاحب صلاة وتهجد كان كثير المجاهدة والعبادة دائم الصوم ، وله معرفة وحفظ وإتقان ، حج وجاور وصار إمام المقام إلى أن توفي <sup>(٦)</sup> .

١٣ - عبد الرحمن بن فتوح بن بنين بن عبد الجبار بن محمد المكي ، أبو القاسم وأبو بكر وأبو محمد المعروف بابن أبي حرمى النقاش ( ت ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م ) :

---

(١) الرشيد العطار : هو أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي الأموي المحدث بمصر ( ت ٦٢٢ هـ / ١٢٦٣ م ) .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ٢٨٢ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٥٦ .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٣) الرعاية في التصوف للشيخ الزاهد حارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٨ م .

حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٩٠٨ .

(٤) الرسالة القشيرية في التصوف للإمام أبي القاسم ، عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستاذ الشافعي المتوفى ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م .

حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٨٨٢ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٤٨٩ - ٤٩٩ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٧٧٤ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٧٤ - ٧٥ .

سمع بمكة من المبارك بن علي الطباخ<sup>(١)</sup> إمام الحنابلة بمكة وعنه روى تاريخ مكة للأزرقي ، ومن أبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي ( ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ) مجالسه المكية والمعلم بفوائد مسلم للمازري ، وسمع من مفتي مكة تقي الدين بن أبي الصيِّف وجماعة من الحفاظ منهم الرشيد العطار وابن مسدي<sup>(٢)</sup> والرضي الطبري وكثيرون غيرهم بمكة ، وكان كثير السماع من متسع الروايات ، ويقال أن شيوخه تزيد على ثلاثمائة شيخ وأنه لبس خرقة التصوف من شيخ الشيوخ صدر الدين النيسابوري<sup>(٣)</sup> ، وكان ابن أبي حرمي يسجل على القضاة بمكة ويكتب الوثائق والمبيعات وأحجار القبور والدور والمساجد وغير ذلك<sup>(٤)</sup> .

١٤ - بشير بن حامد بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن عبد الله الإمام نجم الدين ، أبو النعمان القرشي الهاشمي الطالبي الجعفري الزيني التبريزي الصوفي الفقيه ( ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩ م ) : ولد بأردبيل<sup>(٥)</sup> وسمع من علمائها وكان إماماً مشهوراً بالعلم والفضل ، وله تفسير في عدة مجلدات ، وروى

- 
- (١) المبارك بن علي الطباخ أبو محمد البغدادي الحنبلي المجاور بمكة ( ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ) .  
الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج ٤ / ص ٢٢٦ .  
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ١١٩ .  
الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٢ / ص ٥٦٥ .  
(٢) محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة الأزدي المهلب الشهير بابن مسدي الأندلسي الغرناطي ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ) .  
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٤٠٤ .  
(٣) صدر الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي النيسابوري ( ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ) .  
الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ / ص ١٥٨ .  
(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ .  
الفاسي ( محمد بن أحمد المكي أبو الطيب ) : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، ( د . ت ) ، ج ٢ / ص ٧٢ .  
(٥) أردبيل من أشهر مدن أذربيجان . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٤٥ .

عنه عدة شيوخ منها محب الدين الطبري ، تفقه ببغداد ثم جاور بمكة وولي النظر بمصالح الحرم وعمارته ، وكان حسن السيرة متديناً<sup>(١)</sup> .

١٥ - عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن أحمد ابن الحسن بن محمد بن عقيل بن عثمان بن أبي بكر بن أبي عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الإمام العالم الأوحى البارع المتقن نظام الدين أبو بكر ، نزيل المدينة النبوية وإمام مسجدها ( ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ) ، ابن العلامة المبارك بن أبي المعالي المسعودي الهذلي السبتي السجستاني<sup>(٢)</sup> : روى الحديث عن جماعة وقرأ الفقه وتفنن وكتب الخط الحسن وبرع في الفضائل ، وكتب عن الأئمة من الرحالين ، وتوفي بالمدينة النبوية<sup>(٣)</sup> .

١٦ - محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة الأزدي المهلبى جمال الدين أبو بكر ويقال أبو المكارم بن أبي أحمد الشهير ابن مسدي ويقال ابن مسد الأندلسي الغرناطي ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ) نزيل مكة وإمام المقام الشريف<sup>(٤)</sup> : قرأ على جماعة بقرطبة وزار مصر ودمشق وحلب حتى وصل إلى مكة وأجاز له من شيوخها إمامها أبو إسحاق زاهر بن رستم الأصبهاني<sup>(٥)</sup> والشريف يونس بن يحيى الهاشمي ، له معجم في ثلاثة مجلدات ، وله

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٤ / ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٢) لم يعثر له على ترجمة .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٨٩ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٨٨ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٩١ .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

الذهبي ( محمد بن أحمد بن عثمان ) : تذكرة الحفاظ ، دراسة وتحقيق : زكريا عميرات ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ /

١٩٩٨ م ، ج ٤ / ص ١٦٠ .

(٥) زاهر بن رستم بن أبي الرجاء بن محمد الأصبهاني الأصل البغدادي المولد ، مكين الدين أبو شجاع ، إمام المقام الشريف بالمسجد الحرام ( ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٣ م ) . =

مؤلفات كثيرة منها : « الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة » وكتاب « الناسك بأعلام المناسك » ، وروى عنه جماعة من الأعيان منهم أبو اليمن بن عساكر <sup>(١)</sup> وأبو عبد الله بن النعمان المعروف بالمفيد شيخ الشيعة في زمانه ( ت ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م ) ، والحافظ الدمياطي <sup>(٢)</sup> والرضي الطبري <sup>(٣)</sup> إمام المقام ، وقد حرص ابن مسدي على أخذ الأجرة على التحديث <sup>(٤)</sup> ، وقد كان مائلاً للتشيع والبدعة ، توفي بمكة مقتولاً مقطوع اللسان ، وربما كان هذا السبب الحقيقي وراء مقتله ، ومن شعره :

أُغْفِرُ وجهي في الترابِ لِعِزِّهِ      عَسَى عطفةُ مِنْهُ تَرْقُ لِرِلَّتِي  
وأطْرُقُ تعظيماً وأغضَى مهابةً      ويحرسني فرطُ الحياءِ لِرِلَّتِي  
وأمرُجُ خوفي بالرجاءِ لأنِّي      أرى عَلَّتِي في حُبِّهِ وتعلَّتِي <sup>(٥)</sup>.

١٧ - عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، الإمام الزاهد المحدث أمين الدين أبو اليمن بن عساكر الدمشقي نزيل الحرم ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :

---

= الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٤ / ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

<sup>(١)</sup> عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، أمين الدين أبو اليمن بن عساكر الدمشقي نزيل مكة ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) .

الفاسي: ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد ، ج ٢ / ص ٩٦ .

<sup>(٢)</sup> الحافظ الدمياطي ، أحمد بن ميمون بن إشكاب ( ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م ) .

المزي : تهذيب الكمال ، ج ١ / ص ٢٦٨ .

<sup>(٣)</sup> إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد الطبري الملقب بالرضي الطبري ( ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ) .

الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٢٤٠ .

اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٤ / ص ٢٦٧ .

<sup>(٤)</sup> الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٩١ .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ٤ / ١٦٠ - ١٦١ .

الفاسي المكي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مصدر سابق ، ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ .

<sup>(٥)</sup> الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

سمع من جماعة من العلماء وأجاز له المحدث رضي الدين المؤيد الطوسي ( ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م )  
وحدث بالحرمين ، وكان ثقة عالماً فاضلاً جيد المشاركة في العلوم بديع النظم صاحب دين وعبادة  
وإخلاص ، روى عنه الكثيرون وكان يلقب شيخ الحجاز في وقته <sup>(١)</sup> ، ومن شعره :

عسى الأيام أن تُدني الديار      بمن أهوى وقد شَطُوا مزارا  
ويُصبحُ شملُ أحبائي جميعاً      وأخذُ منهمُ بالقُربِ ثارا  
ويُتسى حيرةُ العَلَمينِ أهلي      وذارهمُ لنا يا سَعْدُ ذارا  
وبي الرِّثا الذي ما صدَّ إلا      ليبلو في الهوى مِنِّي اصْطِباراً <sup>(٢)</sup>.

١٨ - عبد الله بن حجاج أبو محمد المغربي الشهير بمكشوف الرأس ( ت ٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م ) :  
قال ابن فرحون <sup>(٣)</sup> : ( أنه كان من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المجدين المطلعين على  
علوم الأولين من حكمة ومنطق وهندسة وفلسفة خير منقطعاً للمجاورة مشغولاً بنفسه ، جمع من الكتب  
الجليلة ما لم يجمعه أحد مشتملة على أصول وأمّهات وتداوين من تفسير وفقه وحديث وتاريخ وطب  
ومنطق وحكمة وعلوم شتى لا يعرفها أهل زماننا ولا يفهمها إلا من عالج أصولها وأدرك شيوخها وقلَّ من  
يفهمها من أهل المدينة وكان له من كل فنِّ تصانيف عدة ) ، وكان من أكابر المطلعين على العلوم اليونانية

<sup>(١)</sup> السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ .

الفاسي : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، ج ٢ / ص ١٢٢ - ١٢٣ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٢ / ص ١١٤ - ١١٥ .

العامري : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٦٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

<sup>(٢)</sup> الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

<sup>(٣)</sup> إبراهيم بن علي بن محمد بن القاسم بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون ( ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م ) بالمدينة

النبوية وهو صاحب كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب المالكي .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١٣١ - ١٤٢ .

وأكابر الفضلاء المتصلعين بالعلوم الإيمانية وانقطع إلى المجاورة بالمدينة النبوية ، وجمع فيها من غرائب الكتب ونفائسها ، وقال صاحب التحفة : ( قد كان له جار يدعى بالنور بن الصفي<sup>(١)</sup> فقيه الإمامية أوصاه بأولاده وكتبه ، فلما أدركه الأجل دخل الكتب حصن الانحصار وأكلتها الأرضة والنار وبللتها الأنداء والأمطار وذهب منها النقاوة والخيار وما بقي منها بيعت كل عشرين بدينار وامتألت المدينة من بقاياها بفوائد غير مألوفة وحصلت في بيت كل طالب جملة من علوم غير معروفة )<sup>(٢)</sup> .

١٩ - محمد بن محمد بن علي الكاشغري ( ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م ) :

أقام بمكة أربع عشرة سنة ، وصنّف بها كتاباً سماه « مجمع الغرائب ومنبع العجايب » في أربع مجلدات ، قرأ التهذيب وكان ماهراً في النحو واللغة والتفسير والوعظ<sup>(٣)</sup> .

٢٠ - محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن أبي علي بن عبد الكريم الطائي ، شيخ الحرم ظهير الدين أبو عبد الله بن منعة البغدادي الزعفراني<sup>(٤)</sup> ( ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م )<sup>(٥)</sup> :

سمع «جامع الترمذي» وحَدَّث وسمع منه الشريف أبو عبد الله الفاسي<sup>(٦)</sup> والحافظ قطب الدين الحلبي<sup>(٧)</sup>

---

(١) لم يعثر له على ترجمة .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٣١٧ - ٣١٨ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ٢٠٣ .

(٤) الزعفراني : نسبة إلى قرية من أعمال نهر عيسى من بغداد .

الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٧٦ .

(٥) الفاسي المكي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٧٥ .

العامري : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٨٠ .

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الصنهاجي أبو عبد الله الفاسي المعروف بابن حداد ( ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م )

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٣ .

الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج ٥ / ص ٤٣ .

(٧) قطب الدين الحلبي : عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي الحافظ المقرئ المجيد أبو علي الحلبي ثم المصري مفيد =

وذكره في معجمه والحافظ علم الدين البرزالي<sup>(١)</sup> وذكره في معجمه وتاريخه ، وكان شيخ الحرم في وقته ، أقام بمكة ثمان وخمسين سنة<sup>(٢)</sup> وقيل أنه جاور أربعين سنة<sup>(٣)</sup> .

٢١ - محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري الحارثي الخزرجي أبو عبد الله المعروف بابن قطرال الأندلسي ثم المراكشي نزيل مكة ( ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م )<sup>(٤)</sup> :  
سمع بمصر وسمع بمكة على الفخر التوزري<sup>(٥)</sup> والرضي الطبري ، وحدث وسمع منه جماعة من الأعيان وأثنوا عليه منهم أبو عبد الله الفاسي فقال : ( كان صالحاً كبير القدر نحوياً أديباً ) ، توفي بمكة برباط الخوزي ، ومن شعره :

|                                     |                                            |
|-------------------------------------|--------------------------------------------|
| إِنَّ أَيَّامَ الرِّضَا مَعْدُودَةٌ | فَالرِّضَا أَجْمَلُ شَيْءٍ بِالْعَبِيدِ    |
| لَا تَظُنُّوا عَنْكُمْ لِي سَلْوَةٌ | مَا عَلَى شَوْقِي إِلَيْكُمْ مِنْ فَرِيدِ  |
| رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ تَسْتَبْقُوا | أَنْتُمْ فِي الْوَقْتِ أَقْصَى مَا أُرِيدِ |

---

= الديار المصرية ( ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م ) .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ / ص ٧ .

(١) هو علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي الإشبيلي

( ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م ) صاحب كتاب المقتني على كتاب الروضتين .

البرزالي : المقتني على كتاب الروضتين ، ج ١ / ص ١٦ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) العامري : غريال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٨٠ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٠٧ .

الذهبي ( محمد بن أحمد بن عثمان ) : معجم المحدثين ، تحقيق : محمد حبيب الهيلة ، دار النشر مكتبة الصديق -

الطائف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ج ١ / ص ١٢٤ .

(٥) عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود الشيخ فخر الدين التوزري المالكي المكنى أبا عمرو ، نزيل

مكة ( ت ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ) .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤١ .

إِنَّ يَوْمًا يَجْمَعُ اللَّهُ بِكُمْ فِيهِ سَمَلِي هُوَ عِنْدِي يَوْمٌ عِيدٌ<sup>(١)</sup> .

٢٢ - عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داوود الشيخ فخر الدين التوزري المالكي المكنى أبا عمرو ، نزيل مكة ( ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م )<sup>(٢)</sup> :

ولد بالحنوبشية من بلاد الفيوم بمصر ، سمع بقراءته ما لا يحصى كثرة من الكتب « كموطأ مالك » و « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « جامع الترمذي » و « سنن أبي داود » و « مسند الشافعي » و « مسند الإمام أحمد بن حنبل » و « الطيالسي » و « الدرامي » و « معجم الطبراني » و كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي وكتاب « الشفا » للقاضي عياض ، وذكر البرزالي أن شيوخه يزيدون عن ألف شيخ ، وحدث بالكثير وسمع منه خلق كثير كالبرزالي وذكره في معجمه وقال : ( أنه شيخ فاضل زاهد متقن من سادات المحدثين وفضلائهم ) وسمع منه الحافظ الذهبي ، قدم الحجاز سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م ولم يزل يتردد إليها حتى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، حيث قدمها وبقي فيها إلى حين وفاته سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م<sup>(٣)</sup> . من المؤكد أن المجاورين شغلوا دوراً هاماً في خط ملامح مرحلة جديدة من تاريخ الحجاز أدت به إلى نقلة نوعية بنواحي الحياة كافة وخاصة الناحية العلمية ، على الرغم من عدم تنوع المصادر التي ذكرت أولئك المجاورين وقلة الدراسات الحديثة عنهم ، حتى أن هذه المصادر لم تذكر إلا العلماء منهم ، فقد ذكر ابن بطوطة الذي زار الحجاز سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م أسماء مجاورين كثر لم يتعرض أحد المصادر إلى ذكرهم<sup>(٤)</sup> ،

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤١ .

العامري : غريب الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٨٣ .

البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٤ / ص ١٠٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ .

البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٤ / ص ١٠٢ - ١٠٣ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ص ١٥ .

وهذا إن دلَّ على شيء فهذا يدل على صحة ما ذكر ، فلولا إنجازات هؤلاء المجاورين وما قدموه للحجاز في مجالات الحياة كافة وخاصة العلمية منها لما كان للحجاز أي نهوض علمي .

## ٢ - الأسر العلمية وأثرها في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز :

حفلت الحركة العلمية في التاريخ الإسلامي بذكر الكثير من الأسر التي كان لأفرادها دور ريادي في النهوض بالحركة العلمية ونشأ أبنائها على حب العلم والاهتمام به <sup>(١)</sup> ، وقد عرف الحجاز عدة أسر علمية هامة امتد ذكرها لقرون عدة ، وأفراد تلك الأسر توارثوا مناصب هامة كالقضاء وإمامة الحرمين الشريفين وخطابتهما كل حسب مذهبه الذي يتبعه ، ومن حظي بهذه المناصب لا بد أن تكون قد توفرت فيه مواصفات العالم المجتهد لنفسه ولجتمعه .

وتعدُّ الأسر المكيَّة والمدينيَّة مظهرًا من المظاهر التي ساعدت في إثراء الحركة العلمية وتنشيطها ، فقد تخصصت بعض البيوت المشهورة في مكة والمدينة في طلب العلم والتأليف ، وحظيت بنصيب وافر من المعرفة ، وقد عُرفَ الكثير من العلماء حبهم للعلم ، ومن تلك الأسر :

### أ - أسرة الطبري <sup>(٢)</sup> :

هي من أكبر الأسر العلمية العريقة المجاورة في مكة المكرمة من حيث عددها وامتدادها لقرون عدة ، وتعددت الروايات حول أولِّ جدِّ وصل إلى الحجاز من هذه الأسرة ، فقد ذكر الفاسي المكي في ترجمة الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي ( ت ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م ) <sup>(٣)</sup> : ( من أولاده أعقابه المشار

---

<sup>(١)</sup> من هذه الأسر : آل الجراح وأسرة السمعاني وأسرة آل البنا البغدادية وآل المقدسي وآل عساكر .

مصطفى ( شاکر ) : التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام ، الطبعة الأولى ، بيروت - دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

<sup>(٢)</sup> نسبة إلى طبرستان من بلاد خراسان ، وهي بلدان واسعة كثير يشملها هذا الاسم مثل دهستان واسترباذ وآمل ، وهو بلد عظيم كثير الحصون والجبال .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١٣ .

<sup>(٣)</sup> ولد في مدينة آمل طبرستان ، وبرع في المذهب الشافعي ، وأخذ عنه الكثير من العلماء ، وكان يدعى إمام الحرمين =

إليهم قضاة مكة الشيبانيون ، وقد ذكر غير واحد أنهم طبريون (١) ، وقد قال صاحب الأرج المسكي في التاريخ المكي ( وأقدم البيوت بمكة جماعتنا الطبريون فإن الشيخ نجم الدين عمر ابن فهد ذكر في كتابه التبيين في تراجم الطبريين أن أول من قدم منهم مكة الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري المتوفى قبل سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م وانقطع بعدها بمكة وسرد نسبهم الشريف إلى أبي طالب رضي الله عنهم ) (٢) ، بينما ذكر الأستاذ أحمد السباعي : ( أن أول من قدم منهم هو أبو معشر الطبري (٣) فقد جاور بمكة وجلس للإقراء بها سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، وظل أحفاد هذا البيت يخدمون العلم في مكة إلى أن انقرضوا ) (٤) ، وقال الفاسي في ترجمة أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري ( ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م ) : ( وجاور بمكة مستوطناً بها ورزق بها بأولاد نجباء وأنجب من ذريته جماعة صاروا علماء مكة ورواتها وقضاها وخطبائها وأئمتها ) (٥) .

= لأنه جاور بمكة نحو ثلاثين سنة يدرّس ويفتي .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٤ / ص ٣٤٩ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٢٠٠ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٢٠٠ .

(٢) محيي الدين ( علي بن عبد القادر ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م ) : الأرج المسكي في التاريخ المكي ، مصور بمركز البحث

العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكرو فيلم رقم ٣٤ ، عن مكتبة الحرم المكي برقم ٣

تاريخ دهلوي ، ورقة ١٢٩ - ورقة ١٣٠ .

(٣) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن محمد بن القطان الطبري ( ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م ) .

ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م ) : لسان الميزان ، بيروت - دار الفكر ، ( د . ت )

ج ٤ / ص ٤٩ .

الدواداري ( شمس الدين ) : طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، القاهرة - مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ،

ج ١ / ص ٣٢٢ .

(٤) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٥٠ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٠ .

ومما تقدم يمكن القول أن أفراد هذه الأسرة ينقسمون إلى طبريون وشيبانيون ، وبعد هؤلاء توالى الأسرة الطبرية ، حيث كان لها نشاط ملموس في العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث ، وقام أفرادها بالتدريس في الحرمين الشريفين والمدارس والأربطة .

ومن أشهر علماء تلك الأسرة :

١ - يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي الملقب بالجمال ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) :

ولد بمكة وسمع بها من يونس الهاشمي « صحيح البخاري » ومن زاهر بن رستم « جامع الترمذي » ومن أبي الفتوح الحصري<sup>(١)</sup> « سنن أبي داود » و « النسائي » وكثيرون<sup>(٢)</sup> ، وترجمه الفاسي بأنه : ( الفقيه الإمام المحدث جمال الدين أبو أحمد أحد فقهاء مكة وفضلائها )<sup>(٣)</sup> .

٢ - إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر الطبري ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :  
حدث بجامع الترمذي ورواه عن ابن البنا بالإجازة<sup>(٤)</sup> .

٣ - علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر نور الدين الطبري ( ت بعد ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :  
حدث « بالأربعين الثقيفية »<sup>(٥)</sup> .

---

(١) نصر بن أبي الفرج بن علي أبو الفتوح البغدادي المعروف بابن الحصري ( ت ٦١٨ هـ / ١٢١٢ م ) .

ابن نقطة الحنبلي : التقييد لمعرفة السنن والأسانيد ، ج ١ / ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٤٧٣ .

البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ١ / ص ١٦١ - ١٦٢ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ١٢٤ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٩١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٤٧٣ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٢٦ .

- ٤ - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر (كان حياً سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) :  
سمع على الكثير من العلماء كتب الحديث وحدث بها <sup>(١)</sup> .
- ٥ - يوسف بن إسحاق بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري أبو المحاسن المكي الملقب بالعز ابن القاضي فخر الدين (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) :  
سمع « جامع الترمذي » من ابن البنّا وتفرد به عنه في الحجاز ، وحدث به وسمعه جماعة من الطبريين منهم الرضي الطبري <sup>(٢)</sup> .
- ٦ - عبد الرحمن بن يوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري (كان حياً سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) :  
سمع على الكثير من العلماء وأجازوه <sup>(٣)</sup> .
- ٧ - إبراهيم بن يعقوب بن أبي بكر الطبري (كان حياً سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) :  
أجاز للذهبي وترجمه الحب الطبري بالفقيه <sup>(٤)</sup> .
- ٨ - عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد الطبري المكي الشافعي المحدث المفتي (ت ٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م) :  
ولد بمكة وسمع من ابن المقير <sup>(٥)</sup> وابن الجميزي <sup>(٦)</sup> وآخرون ، عني بالحديث وكتب الأجزاء وبرع في الفقه
- 
- (١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٠٦ .
- (٢) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٤٨٣ .
- نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
- (٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤١٨ .
- (٤) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .
- (٥) أبو الحسن علي بن علي البغدادي ، الشيخ المسند الصالح رحلة الوقت المعروف بابن المقير البغدادي الأزجي المقرئ الحنبلي النجار نزيل مصر (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م) .
- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٣ / ص ١٢٠ - ١٢١ .
- (٦) علي بن هبة الله ابن سلامة بن مسلم الإمام بماء الدين أبو الحسن اللخمي المعروف بابن الجميزي المصري الشافعي المقرئ الخطيب (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) =

ودرس وأفتى وولي الإمامة بمكة وبالمسجد النبوي وبيت المقدس ، وقال عنه الذهبي : ( جمع الله له الإمامة في المساجد الثلاثة التي لا تشدُّ الرِّحال إلا إليها وكان حسن السميت كثير التلاوة والتعبد ) <sup>(١)</sup> .

٩ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي ويلقب بمحب الدين ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) <sup>(٢)</sup> :

سمع بمكة على كثير من العلماء وأجاز له خلق من بغداد والشام ومصر ، تفقه وحدّث ودرس وأفتى إلى أن صار شيخ الحجاز في عصره ، روى عنه وسمع منه الكثير من الأعيان وأجاز لآخرين <sup>(٣)</sup> ، اعتنى بالعلم

---

= بن قايماز الذهبي ( محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله ) : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق : بشار عواد معروف وسعيد الأرنؤوط وصالح مهدي معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، ج ٢ / ص ٦٥١ .

<sup>(١)</sup> الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٧٢٩ - ٧٣٠ .

<sup>(٢)</sup> ابن الملقن ( سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي التكروري الشافعي ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م ) : العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، تحقيق : أيمن نصر الأزهرى والسيد مهنى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ( د . ت ) ، ص ١٧٣ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٧٨٤ .

المقرئزي : السلوك في معرفة دول الملوك ، ج ٢ / ص ٢٦٤ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦١ .

ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ / ص ١٢٧ .

العامري : غريال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٧١ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١١٦ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٧ .

<sup>(٣)</sup> ابن الملقن : العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، ص ١٧٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٥ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

العامري : غريال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٧١ . =

كثيراً ، وأثنى عليه جماعة من العلماء فترجمه ابن مسدي : ( الإمام الأجلّ قطب الشريعة ) وترجمه البرزالي : ( بشيخ الحجاز ) <sup>(١)</sup> ، والذهبي : ( بشيخ الحرم الفقيه الزاهد المحدث شيخ الشافعية ومحدث الحجاز ) <sup>(٢)</sup> ، وذكر الفاسي : ( ما أخرجت مكة بعد الشافعي مثل المحب الطبري ) <sup>(٣)</sup> ، وكان المحب الطبري أشهر علماء الحديث في عصره إضافة إلى معرفته بالفقه والتفسير والتاريخ ، وله في ذلك مؤلفات كثيرة <sup>(٤)</sup> .

١٠ - محمد بن أحمد عبد الله بن محمد أبي بكر بن المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :  
كان له جهود في علم الحديث واللغة العربية والشعر ، وله مؤلفات في هذه العلوم ، وأثنى عليه الكثير من العلماء <sup>(٥)</sup> .

١١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد الطبري الملقب برضي الدين ( ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ) <sup>(٦)</sup> :

أخذ عن جماعة من العلماء بمكة والوافدين بها قراءة وسماعاً « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و

= السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١١٨ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٥ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٧٨٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٦ .

(٤) ابن الملقن : العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، ص ١٧٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٣ - ٦٤ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٧٨٤ .

العامري : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥٧١ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٢٩٤ .

(٦) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٤ / ص ٢٦٧ .

التجيب ( القاسم بن يوسف ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ) : مستفاد الرحلة والاغتراب برنامج التجيب ، تحقيق عبد الحفيظ

منصور ، تونس - الدار العربية للكتاب ١٩٨١ م ، ص ٣٨٠ - ٣٩٤ .

« سنن أبي داود » وأجازه جماعة من العلماء ، وطلب العلم وتفقه وأفقي وقرأ الحديث ونسخ الأجزاء<sup>(١)</sup> ، لم يخرج من الحجاز طيلة حياته وحدث بمسوعاته ومروياته ومصنفاته مدة خمسين سنة ، قرأ عليه الياضي « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « الترمذي » و « النسائي » و « الدرامي » و « صحيح ابن حبان »<sup>(٢)</sup> و « مسند الشافعي » والكثير من كتب الحديث وسمع منه التحيبي عندما زار مكة سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧ م وأجازه جميع مروياته<sup>(٣)</sup> ، وأثنى عليه جماعة من العلماء فقال الذهبي : ( عالم فقيه محدث عابد كبير القدر )<sup>(٤)</sup> ، أما الياضي فتزجه : ( بصاحب الأسانيد فريد العصر بغية المحدثين )<sup>(٥)</sup> ، وقال البرزالي : ( كان شيخ مكة في وقته وكان يفتي على مذهب الشافعية )<sup>(٦)</sup> ، وقال ابن حجر : ( كان رصيناً في الدين والعبادة قل أن ترى العيون مثله في التواضع والوقار والخير )<sup>(٧)</sup> ، وترجمه التقي ابن فهد : ( بشيخ الإسلام ومسند الحجاز وإمام الشافعية بالمسجد الحرام )<sup>(٨)</sup> . ويعدُّ المحب الطبري والرضي الطبري من أشهر علماء هذه الأسرة من حيث التحديث والتدريس وتأليف

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) لأبي حاتم ، محمد بن حبان السبتي ( ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ) .

حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٠٧٥ .

(٣) التحيبي : مستفاد الرحلة والاعترا ب ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

الجاسر ( حمد ) : أشهر رحلات الحج ، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي ، الطبعة الأولى ، الرياض - دار الرفاعي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٠ .

(٤) ابن فهد ( النجم عمر بن محمد بن محمد ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م ) : معجم الشيوخ ، تحقيق : محمد الزاهي ،

الرياض - دار اليمامة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج ١ / ص ١٥٠ .

(٥) الياضي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٤ / ص ٢٦٨ .

(٦) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤٣ .

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ / ص ٥٤ .

(٨) ابن فهد ( محمد بن محمد ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م ) : لحظ الألفاظ بذييل طبقات الحفاظ ، دار التراث العربي ( د .

ت ) ، ص ١٠٠ .

المؤلفات وتأثيرهم العلمي في مكة المكرمة ، ومن خلال دراسة هذه الأسرة يتبين أن الطبريين هي تسمية أطلقت على مجموعة كبيرة من هؤلاء غير مشروطة بارتباطهم بالنسب ، فرمما يعود نسب هذه الأسرة إلى جدين أو ثلاثة ، كما أن هذه الأسرة ظلّ لها الدور العلمي الريادي في الحجاز حتى القرن العاشر الهجري السابع عشر الميلادي ، وهي من أكبر الأسر العلمية التي عرفها هذا الإقليم على الإطلاق .

#### ب - أسرة القسطلاني<sup>(١)</sup> :

تأتي هذه الأسرة بعد أسرة الطبري بالأهمية العلمية وتنسب إلى جدين اثنين وهما أبو العباس وأبو البركات القسطلاني وأهم أفرادها :

١ - أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي أبو العباس القسطلاني المصري المالكي ( ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م )<sup>(٢)</sup> :

ولد بمصر وسمع فيها الحديث ورحل إلى مكة فسمع بها من يونس بن يحيى الهاشمي صحيح البخاري وسمع من زاهر بن رستم إمام المقام وأبي عبد الله البنا الصوفي وتقي الدين ابن أبي الصيف وأبي الفتوح بن الحصري ، وأجاز له الحافظ السلفي<sup>(٣)</sup> والميانشي وسمع منه جماعة من الحفاظ ، وذكر الفاسي أنه :

---

(١) القسطلاني : نسبة إلى قسطلية بفتح القاف وسكون السين وكسر الطاء واللام وياء مفخخة ، مدينة بالأندلس كثيرة الأشجار متدفقة الأنهار ومن مدنها توزر .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٣٤٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٠٥ .

العامري : غرر الزمان في وفيات الأعيان ، ص ٥١٥ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٤ / ص ٢٠٤ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٥٥ .

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الحافظ أبو طاهر صدر الدين الأصبهاني ( ٥٧٦ هـ /

١١٨٠ م ) .

البغدادي ( إسماعيل باشا ) : هدية العرفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مطبعة الأوفست دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان ( د . ت ) ، ج ١ / ص ١٧١ .

( كان زاهد أوانه وشيخ الحرم الشريف في زمانه صاحب كرامات ومجاهدات وفقه ورياضيات )<sup>(١)</sup> ، وقال الزكي المنذري : ( أنه قد جمع الفقه والزهد وكثرة الإيثار مع الإقبال والانقطاع التام مع مخالطة الناس )<sup>(٢)</sup> ، وقال عنه ابن مسدي : ( أنه أحد المشيخة المجاورين بالحرم الشريف واللائذين بذلك الجناح المنيف سمع شيئاً من الحديث ورواه ولم يكن ذلك هواه بل جُلَّ عنايته بفروع مذهب مالك )<sup>(٣)</sup> .

٢ - عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون التوزري الإمام أبو البركات القسطلاني المكي إمام المالكية بالحرم الشريف ( ت ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م )<sup>(٤)</sup> :  
سمع بالحرم الشريف من أبي عبد الله بن أبي الفضل المرسي ، وترجمه الطبري : ( الفقيه إمام المالكية ) ، وله شعر :

نَزَلَ الْبَلَاءُ بِجَسْمِ كُلِّ مَنْ هُوَ مُتَفَلِّسٌ فِي دِينِهِ مَتَزِنِدِي  
بِالْمَنْطِقِ اشْتَغَلُوا فَقِيلَ حَقِيقَةً إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ<sup>(٥)</sup> .

٣ - محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن الإمام ضياء الدين أبو عبد الله بن الإمام تقي الدين أبو البركات القسطلاني المكي إمام المالكية بالحرم الشريف ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م )<sup>(٦)</sup> :

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٠٥ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٤ / ص ٢٠٤ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٠٥ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٠٦ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٥٨ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٦٤ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

(٦) اليونيني ( موسى بن محمد ) : ذيل مرآة الزمان مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م ، ج ٢ /

ص ٣٢٩ .

الفاسي المكي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣٠ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٨٩ .

حدّث ودرّس وأفتى وكان شيخاً صالحاً عالماً فقيهاً محدثاً ، تولى التدريس في بعض المدارس بمكة ، وكان عالماً بالأصول والفقه والعربية وله مؤلفات فيهم ، ذكره المحب الطبري فقال : ( إمام المالكية بالحرم الشريف ومفتيها ومدرّسها قرأ وأقرأ وأفاد واستفاد وروى الكثير وارتحل إلى مدينة السلام وغيرها من البلاد وغلب عليه الفقه والفتيا وإظهار الخمول والتواضع ) ، ومن شعره :

النَّاسُ خَدَّامٌ مِنْ أَثْرِي وَإِنْ أُمِرُوا      وَهُمْ عَدُوٌّ لِمَنْ قَدْ خَانَهُ الْقَدَرُ  
وصاحبُ المالِ مَكْرُومٌ وَإِنْ عَظُمَتْ      مِنْهُ الإِسَاءَةُ مَقْبُولٌ وَمُعْتَقَرُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا زَالَ الْوَرَى خَدَمًا      لِذِي الْيَسَارِ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ الْوَطَرُ<sup>(١)</sup> .

٤ - علي بن أحمد بن علي بن تاج الدين ابن الشيخ أبو العباس القسطلاني ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) :  
سمع بمكة ومصر وحدّث وتولى التدريس بهما ، وكان محباً للحديث وأهله<sup>(٢)</sup> .

٥ - محمد بن أحمد بن علي بن محمد القيسي القسطلاني المكي الشافعي الملقب بقطب الدين  
( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م )<sup>(٣)</sup> :

سمع على كثير من العلماء ودرّس بمدرسة طاب الزمان الحبشية بالحرم الشريف ، وبدأ بالإفتاء سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م حتى وفاته ، وحدّث بكثير من مسموعاته وسمع منه العديد من طلاب العلم وأجاز لهم<sup>(٤)</sup> .  
٦ - محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسن القيسي أمين الدين أبو المعالي بن القطب

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٦ / ص ١٣٦ .

(٣) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٢ / ص ٢٠٢ .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ / ص ٤٣ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

(٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

القسطلاني المكي الشافعي ( ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م )<sup>(١)</sup> :

سمع الحديث بمكة وانتهت إليه مشيخة الحديث بها وحدث ودرّس بالحرم المكي وبعض المدارس في مكة ،  
سمع على ابن حرمي « صحيح البخاري » ، وسمع أبو الفضل المرسى وحدث ، وسمع منه قطب الدين  
الحلي وعلم الدين البرزالي وذكره في معجمه وترجمه : ( بالإمام العالم الفقيه وقال عنه : كان شيخاً جليل  
القدر فقيهاً فاضلاً )<sup>(٢)</sup> .

٧ - الحسن بن محمد بن أحمد بن علي القيسي كمال الدين أبو الهدى ابن الشيخ قطب الدين ابن الشيخ  
أبي العباس القسطلاني المكي ( ت ٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م ) :

سمع بمكة وبغداد وحدث بهما ولبس بمكة خرقة التصوف<sup>(٣)</sup> .

وقد ضعف نشاط هذه الأسرة خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث عُرفَ قليل من  
أفرادها لم يكونوا كسابقيهم من العلم والمعرفة ولم يدرّسوا بأي مدرسة .

ء - أسرة العسقلاني<sup>(٤)</sup> :

لم يذكر المؤرخون أول جدّ رحل إلى مكة واستوطنها من هذه الأسرة ، وعلى الرغم من قلة أفرادها إلا أنّه  
كان لهم نشاط لا بأس به في العلوم الشرعية ، ومن أهمهم :

١ - أحمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن فارس الكنايني العسقلاني المكي القاضي بهاء  
الدين أبو حامد ( كان حياً سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م ) :

روى عن ابن البنا « جامع الترمذي » وترجمه : ( بالفقيه الإمام القاضي بهاء الدين ) ولي القضاء بمكة سنة

---

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ١٤٣ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ١٧٤ .

(٤) نسبة إلى عسقلان مدينة في فلسطين من بلاد الشام .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١٢٢ .

٦٤٩هـ / ١٢٥١م ، وأخرج عنه المحب الطبري في كتابه « العقود الدرّية » و« المشيخة المظفرية » حديثاً<sup>(١)</sup>.  
٢ - المحدث محمد بن عمر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن العسقلاني المكي الملقب بالكمال ( كان حياً  
سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ) :

حدّث عن أبي الفتوح الحصري وسمع عليه جماعة منهم الفخر التوزري والرضي الطبري<sup>(٢)</sup> :  
٣ . سليمان بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن اليمان بن فارس بن أبي عبد الله النجم أبو داود وأبو ربيع  
الكناني العسقلاني المكي الشافعي الفقيه المحدث مفتي الحرمين خطيب المسجد الحرام<sup>(٣)</sup> :  
جلس للتدريس والفتوى وولي إمارة المقام<sup>(٤)</sup> ، وسمع من زاهر بن رستم ويحيى بن ياقوت<sup>(٥)</sup> ، وعلي بن  
البناء وحدّث بالكثير ودّرّس وأفتى وألف في المناسك كتاباً<sup>(٦)</sup> ، وروى عنه الدميّاطي والرضي الطبري<sup>(٧)</sup>.  
٤ - إسماعيل بن عبد الواحد بن إسماعيل بن إبراهيم الكناني العسقلاني المكي (ت ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م) :

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٨٣ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٢٥ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٤١٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٦٠٣ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٨٨ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ٣٧ .

(٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٤١٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٦٠٣ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٣٧ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٤١٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٦٠٣ .

(٦) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٤١٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٦٠٣ .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٣٧ .

روى عن علي بن نصر البنا « جامع الترمذي » وعن أبي الفتوح نصر بن محمد الحصري الحنبلي بمكة « سنن النسائي »<sup>(١)</sup>.

٥ - أحمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن فارس بن أبي عبد الله العسقلاني ويكنى أبا الفضل ويلقب بالعلّم ويعرف بابن خليل الشافعي ( ت ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م ) وقيل ( ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م )<sup>(٢)</sup> : سمع بمكة من ابن الجميزي ومن أبي الفضل المرسي وابن مسدي وأبو اليمن بن عساكر وكثيرون ، وسمع بمصر من كثيرون منهم الرشيد العطار ، وحدّث وذكره العفيف المطري وقال عنه : ( أنه كان فقيهاً فاضلاً نقلاً ثقة )<sup>(٣)</sup>.

٦ - محمد بن عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن فارس بن أبي عبد الله بن أبي بكر العسقلاني المكي الشافعي شيخ الحرم ومفتيه بل مفتي الحرمين ( ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م ) : نشأ بمكة وسمع من محمد بن علي الطبري وابن مسدي وأبي اليمن بن عساكر وسمع منه البرزالي وذكره في معجمه وقال عنه : ( كان شيخاً جليل القدر عالماً متديناً له معرفة بالفقه على مذهب الشافعي وعليه مدار الفتوى بمكة معتمداً فيها )<sup>(٤)</sup> ، وقيل عنه : ( أنه كان شديد المعارضة حديد النظر ، متعرضاً لإيراد الشبه أحد العلماء العاملين الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر وعليه مدار الفتيا أيام الموسم ) ، يعرف مسائل التنبيه وحفظ المفضل وشيء من العربية ، وللهي منه إجازة فقال عنه : ( كان فقيهاً عالماً ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح وحسن خلق ) ، ومن شعره :

(١) الفاسي : ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد ، ج ١ / ص ٣٤٢ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٠٢ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ١٢١ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٧٥ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٤٩٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

أَيُّهَا النَّازِحُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي      فِي أَمَانٍ إِنِّي رَحَلْتُ وَرَحِي  
جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عَنْ قَرِيبٍ      فَهُوَ أَقْصَى مُنَايَا مِنْكَ وَحْيِي<sup>(١)</sup> .

واستمر تدفق العلماء من هذه الأسرة حيث نبغ بعضهم في علوم الحديث والفقه والتاريخ خلال عصر المماليك ، ولعل هذه الأسرة انقضت بعد هذا العصر إذ لم تذكر المصادر المتخصصة واحداً من أفراد هذه الأسرة بعد عصر المماليك .

وكذلك كان هناك بعض الأسر التي كان لها نشاط علمي في الحجاز كأُسرة ابن فرحون التي تُعدُّ أشهر الأسر بالمدينة النبوية وأصلهم من تونس<sup>(٢)</sup> ، وأول من قدم منهم إلى المدينة النبوية محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المولد والنشأة ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) ، برع بالفقه والأصول وسمع الحديث<sup>(٣)</sup> على ابن مسدي ، وكان له أثر بارز في الحركة العلمية بالمدينة ، وخلفه ولداه علي ( ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ) الذي لزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد النبوي<sup>(٤)</sup> ، والبدر عبد الله ( ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م ) الذي كان من كبار الأئمة العلماء<sup>(٥)</sup> ، ثم توالى هذه الأسرة خلال العصر المملوكي . وأسرة عثمان بن موسى الطائي الإربلي الفقيه الزاهد ( ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ) الذي أقام بمكة حوالي خمسين سنة وكان إمام الحنابلة بالمسجد الحرام<sup>(٦)</sup> وخلفه في الإمامة بعد وفاته جمال الدين محمد ( ت

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١١٥ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٧٠٦ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٧٠٦ - ٧٠٧ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٨٧ .

(٤) ابن فرحون ( إبراهيم بن علي ) : الدباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق : محمد الأحمد أبو النور ،

القاهرة - دار التراث ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ج ٢ / ص ١٢٦ .

(٥) ابن فرحون : الدباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ج ١ / ص ٤٥٤ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٥١ - ٥٣ .

٧٣١هـ / ١٣٣٠م) وكان عالماً دَيِّناً<sup>(١)</sup>.

وقد ساهمت هذه الأسر بشكل كبير في دفع عجلة الحركة العلمية للأمام ، إذ كان معظم أفرادها على درجة عالية من العلم فوضعوا المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة الإسلامية بمختلف العلوم والفنون ، ودرس على أيديهم الكثير من الطلبة ، وحصلوا الإجازات العلمية من داخل الحجاز وخارجه ، فذاع صيت الكثير منهم ، ولا عجب في ذلك فهم في كل عام يقابلون آلاف مؤلفة من الحجاج القادمين من مختلف أقطار العالم الإسلامي فيجتمعون بهم ويتبادلون معهم المعارف في مختلف العلوم ، وقد شاركت هذه الأسر بشكل كبير في تولي المناصب العلمية والدينية العليا كالقضاء والإمامة في الحرمين الشريفين والإفتاء والتدريس في المدارس .

### ٣ - أثر المرأة ومكانتها في الحركة العلمية في الحجاز :

لم يميز الإسلام بين الرجل والمرأة في التعليم ، بل جعل تعلم المرأة أمور دينها وما تستقيم به حياتها فرضاً عليها وكل ما يحصل عليه الرجل من الثواب عن العمل الذي يعمل به تحصل عليه الأنثى من غير تفريق بينهما ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ويقول سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وحديث الرسول ﷺ ( طلب العلم فريضة على كل مسلم )<sup>(٤)</sup> يشمل الرجال والنساء على حدّ سواء ، والتقصير في طلب العلم خطيئة ، وكان عليه الصلاة والسلام يخرج إلى النساء فيعظهنَّ ويعلمهنَّ ليحفظنَّ دينهنَّ ويربين أولادهنَّ ، وليس المراد بالتعليم

(١) ابن رجب ( زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ) : الذيل على طبقات الحنابلة ، بيروت - دار المعرفة ( د . ت ) ، ج ٢

ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) سورة النساء : آية ١٢٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٩٧ .

(٤) ابن ماجة ( ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م ) : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ١٤٠٣هـ /

١٩٨٣م ، ص ٨١ .

العلوم الشرعية فقط ، بل يحق لها تعلم مختلف أنواع العلوم كالطب لمعالجة النساء إلى غير ذلك من العلوم لتفيد بها بني جنسها ، وقد أفرد الكثير من علماء الحجاز فصولاً في مؤلفاتهم للتحدث عنهن وعن أثرهن العلمي ، ويلاحظ أن معظمهن كان لهن اهتمام بعلم الحديث ، كما أن معظم النساء في الحجاز نشأن في منازل الأسر العلمية التي مرّ ذكرها سابقاً وأنّ إجازتهن وأخذهنّ للعلم كان على أيدي آبائهنّ أو أجدادهنّ أو إخوانهنّ أو أزواجهنّ أو أبنائهنّ ، وأهم تلك النساء :

- ١ - شمس الضحى بنت محمد بن عبد الجليل ابن الساوي الواعظ الزاهد ( ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ) :  
سمع منها جماعة من طلبة الحديث ، وكانت عالمة جاورت بمكة عدة سنين إلى حين وفاتها ، وقال عنها ابن النجار : ( كانت امرأة زاهدة متعبدة ، سمعت الحديث وروت شيئاً يسيراً )<sup>(١)</sup> .
- ٢ - تاج النساء أخت زاهر بن رستم الأصبهاني ( ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م ) :  
سكنت مكة وكانت مقدمة الصوفيات ، روت بالإجازة عن كثيرين وروى عنها ابن خليل الديثي<sup>(٢)</sup> .
- ٣ - رئيسة بنت أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم أم أحمد بنت القاضي محيي الدين أبي جعفر الطبري المكية ( كانت حية سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م ) :  
روت عن يونس الهاشمي وزاهر بن رستم وابن أبي الصيف وابن البناء وآخرين ، وخرّج لها وحديث<sup>(٣)</sup> .
- ٤ - خاتون بنت محمد بن علي بن عبد الله الخطيني الأصبهاني ، أم محمد المكية وتسمى فاطمة ( كانت حية سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ) :  
روت عن يونس الهاشمي وزاهر بن رستم والحصري وغيرهم بالإجازة ، وذكرها ابن مسدي في معجمه وقال :  
( متصوفة معناً ولفظاً متصرفة حالاً ووعظاً ) ، وذكرها الحب الطبري في المشيخة التي خرّجها للمظفر صاحب اليمن وذكر : ( أنها ممن جمعت الصلاح التام والدين المبين والعلم والعمل به ، ولها طرق حسنة في الوعظ وتوالييف حسنة ككتابتها « المرسوم بالرموز من الكنوز » يقرب الخمس مجلدات ، ومن شعرها :

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٣ / ص ٣١٢ .

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

عَطَشِي دَائِمٌ وَلَهْفِي شَدِيدٌ      وَغَرَامِي مَعَ الزَّمَانِ جَدِيدٌ  
صَاحَ هَيْهَاتَ أَنْ تَرَانِي خَلِيًّا      وَبِقَلْبِي مِنَ الْغَرَامِ وَقُودٌ<sup>(١)</sup>.

٥ - فاطمة بنت طنطاس بن كمشتكين البغدادية المدعوة المقرئة ( ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ) :

جاورت بمكة سنين وسمعت من زاهر بن رستم « جامع الترمذي » ، وحدثت وسمع منها قطب الدين القسطلاني وشرف الدين الدمياطي ببغداد<sup>(٢)</sup> .

٦ - آمنة بنت عنان بن حسن بن عنان العذرية أم محمد المكية ( ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م )<sup>(٣)</sup> :

زوجة أبو العباس القسطلاني والدة قطب الدين القسطلاني ، أجاز لزوجها وابنه أمين الدين القسطلاني رحلت إلى بغداد والموصل لطلب العلم وسمع منها الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وروي عن ولدها القطب نقلاً عنها ، ولها شعر أنشده قطب الدين القسطلاني عنها :

لَا يَكُونُ الْأَمْرُ سَهْلًا كُلُّهُ      إِنَّمَا الدُّنْيَا سُهْلٌ وَحُزْنٌ  
هَوْنِ الْأَمْرِ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ      قَلَّ مَا هَوْنَتْ إِلَّا سَيْهُونٌ  
تَطْلُبُ الرَّاحَةَ مِنْ دَارِ الْفَنَى      خَابَ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا لَا يَكُونُ<sup>(٤)</sup> .

٧ - خديجة بنت الإمام تقي الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي ، أم مُفَضَّلِ المكية وقيل ( ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م )<sup>(٥)</sup> :

روت بالإجازة عن يونس بن يحيى الهاشمي وزاهر بن رستم وابن أبي الصيف وابن البنا البغدادي وشيخ الحرم

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٠٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٣٠٠ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٨١ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ١٨٥ .

(٤) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٥) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ١٨٥ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٨١ .

يحيى بن ياقوت وأبي الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري وخرّج لها وحدثت (١) .

٨ - زين العز بنت تاج الدين عبد الرحمن بن عمر بن الحسن بن عبد السلامي الدمشقي أم عبد الله المعروفة ببنت الجويراتي ( ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م ) :

كانت امرأة مباركة حجت وجاورت بمكة ، وسمعت من العز بن عثمان الإربلي وجماعة من أصحاب بن عساكر ، وحدثت (٢) .

٩ - عائشة بنت محمد بن أحمد بن علي القيسي ، أم الخير وتسمى ست الكل بنت الشيخ قطب الدين أبي بكر ابن الشيخ أبي العباس القسطلاني زوجة المحب الطبري ( ت ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م ) : سمعت الكثير من العلماء وحدثت وسمع منها الحافظ بهاء الدين عبد الله بن أبي بكر بن خليل (٣) وآخرون وأجاز لها جماعة من شيوخ أبيها البغداديين والشاميين والمكيين ولبست خرقة التصوف وألبستها ، وكانت صالحة مباركة (٤) .

١٠ - عائشة بنت إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عثمان بن عبد الله ابن غدير الطائي الدمشقي أم محمد بنت الصدر زين الدين المعروف بابن القواس ( ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م ) : أجاز لها الكثير من الشعراء وسمع منها البرزالي وذكر : ( أنها كانت امرأة صالحة كثيرة العبادة ملازمة للتقوى حجت غير مرة وجاورت بمكة سنين إلى أن توفيت بها ) (٥) .

١١ - فاطمة بنت الشيخ قطب الدين أبي بكر محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي القيسي

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢١٠ .

(٢) البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٣ / ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن خليل الشيخ بهاء الدين أبو محمد المعروف بابن خليل

الشافعي العسقلاني المكي ( ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م ) .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ / ص ٣٠ .

(٤) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٧٠ .

(٥) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

القسطلاني وتسمى أم رحيم المكية وتلقب جمالية ( ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م ) :  
والدة القاضي نجم الدين الطبري ، سمعت وحدثت ولبست خرقة التصوف وأجازها الكثير من بغداد  
والشام ومكة ، وكانت من أهل الصلاح والورع والفضل ، وذكر البرزالي : ( أنها كانت كثيرة الخير  
والعبادة )<sup>(١)</sup> .

### ثالثاً - الرحلات وأثرها في تنشيط الحركة العلمية :

تعد الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ومفخرة من مفاخرهم يعتزون بها  
فقد حثَّ الإسلام على الرحلة في طلب العلم ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( من سلك طريقاً  
يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ) وقال أيضاً : ( لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن  
تصلي مائة ركعة )<sup>(٢)</sup> ، وانطلاقاً من حرص المسلمين على اكتساب المعارف والتزود من العلم لم يدَّخروا  
في تاريخهم الطويل أي وسيلة تعينهم على بلوغ ذلك الهدف السامي ، مما كان له أثر كبير في نجاح  
المسلمين في بناء حضارتهم التي عاشت في كنفها الأمة الإسلامية بل البشرية جمعاء ، وإحدى هذه  
الوسائل كانت الرحلات العلمية التي عدّها الكثير من العلماء ضرورة يجب أن يسلكها طالب العلم في  
حياته العلمية ، لذلك كان العلماء يحثّون الطلبة على القيام بها ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة  
تراجم العلماء في هذا العصر ، فقد ارتحل هؤلاء الطلبة إلى الكثير من مراكز العلم في العالم الإسلامي سعياً  
وراء العلم والمعرفة على الرغم من كثرة المشاق وشدة الأخطار التي تعترضهم ، وكان الطالب يقطع آلاف  
الأميال لمجرد قراءة كتاب واحد على مؤلفه أو على من سمع من المؤلف ، وكان طلاب الحديث أنشط

(١) الفاسي نقلاً عن البرزالي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) الغزالي ( أبو حامد محمد بن محمد ) : إحياء علوم الدين ، الطبعة الأولى ، القاهرة دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ /

١٩٨٧م ، ج ١ / ص ١٩ .

الحديث الأول أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، والثاني أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي ذر ، رواه البخاري في  
صحيحه .

الطلبة على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه<sup>(١)</sup> ، هذا وقد قصد الحرمين الشريفين عدد كبير من الطلبة والعلماء من كافة البلاد الإسلامية لسماع الحديث من علمائه بالإضافة لحضورهم مجالس الوعظ والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم وسماع الفقه والأصول والتفسير في حلقات العلم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، وكانوا يمكثون زمناً طويلاً للدراسة ، فلا يعودون إلى بلادهم حتى يحصلوا على الإجازات العلمية من رواة الحديث والفقه والأدب والتاريخ ، ويلاحظ ذلك من خلال تناول البحث المجاورين والأسر العلمية حيث أنه لم يَمَرَّ ذكر أحد هؤلاء العلماء إلا ودُكر أنه رحل إلى الشام ومصر وبغداد والحجاز في طلب العلم ، وقد كثرت رحلات العلماء إلى الحرمين الشريفين كما كثرت ارتياد الطلاب فيهما ، ومما شجع على ذلك وجود الأريطة العديدة بمكة والمدينة وما يُقدَّم من مساعدات مادية وتوفر السكن لهم ، كما رحل بعض العلماء من الحجاز إلى اليمن التي تربطه به علاقات علمية وثيقة ويتضح ذلك من خلال تدريس علماء الحجاز بالمدارس الرسولية في اليمن .

فقد درَّس الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني ( ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م )<sup>(٢)</sup> بمدرسة ابن بطال باليمن<sup>(٣)</sup> ، وله الكثير من المؤلفات التي استفاد منه طلابه في هذا البلد<sup>(٤)</sup> ، كما قام بالتدريس في المدرسة الرشيدية<sup>(٥)</sup> فخر الدين إسحاق بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم أبي يوسف الطبري الذي انتقل

(١) العسيري ( مريزن سعيد بن مريزن ) : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكة - مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٧٦ .

(٣) مدرسة ابن بطال : أنشأها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان بن بطال الركني المتوفى سنة ستمائة وبضع وثلاثين هجري ، كان فقيهاً عالماً عارفاً بالفقه والتفسير والحديث واللغة والأصول ، رحل إلى مكة وأقام بها أربعة عشر عاماً ، وكان يأخذ العلم على كل من يفد على مكة من العلماء .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٧٦ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٧٦ .

(٥) المدرسة الرشيدية : أنشأها القاضي الرشيد ذو النون بن محمد بن ذو النون المصري الإخميمي ( ت ٦٦٣ هـ /

١٢٦٤ م ) ، تولى الوزارة للمنصور عمر بن علي بن رسول ، وعمل مآثر كثير باليمن . =

إلى زبيد وسكن بها ، قال الفاسي : ( رأيت بخط تلميذه أبي العباس أحمد بن علي المعروف بالسرددي ( ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م ) أن القاضي إسحاق هذا دخل بغداد وكُتِبَ له في الديوان العباسي أنه قاضي قضاة المسلمين شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، وأنه كان يحصل له في كل سنة من الديوان وسواها خمسة وعشرون ألف درهم ينفقها على أهل الحرم ، ولما دخل اليمن عظمه قضاها ، وكان يلقب عندهم بخزيمة العصر ، ثم قال الفاسي : ولم أدر متى مات إلا أنه كان حياً سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م )<sup>(١)</sup> .

ويمكن القول أن أهم الرحلات تلك التي قام بها بعض الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى الحجاز الذين ذكروا من خلال زيارتهم العلماء الذين قابلوهم أو الذين سمعوا منهم وأجازوهم ، وبذلك لمعت أسماء بعض من قام بها لتسجيلهم مشاهداتهم بأسلوب جميل وسهل الوضوح لكل ما مرَّ بهم منذ خروجهم من مدنها حتى وصولهم لمكة المكرمة والمدينة النبوية ، وشمل الوصف الطرق التي قطعها الرحالة والحياة العلمية والاجتماعية والعمرانية لكل المدن التي وصلوا إليها ومنهم :

#### ١ - ابن جبير :

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي<sup>(٢)</sup> البُلَنسِي<sup>(٣)</sup> ( ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م )<sup>(٤)</sup> :

---

= باخزيمة ( عبد الله الطيب ) : ثغر عدن ، تحقيق : أوسكار لوفغرين ، بريل ١٩٥٠ م ، ج ٢ / ص ٧٧ .

الأكوع ( إسماعيل بن علي ) : المدارس الإسلامية في اليمن ، بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٣١ - ٣٢ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٩١ - ٢٩٣ .

(٢) نسبة إلى شاطبة مدينة شرقي الأندلس ينسب إليها عدد كبير من العلماء .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٠٩ .

(٣) نسبة إلى مدينة بلنسية وهي مدينة مشهورة بالأندلس أهلها يسمون عرب الأندلس .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ / ص ٤٩٠ .

(٤) التلمساني ( أحمد بن مقري ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى

١٩٩٧ م ، ج ٢ / ص ٣٨٤ =

يعود سبب نسبته إلى بلنسية لمولده بها ، أما إلى شاطبة لإقامته بها فترة من الزمن <sup>(١)</sup> ، وكان من علماء الأندلس في الفقه والحديث والأدب ، ووصفه لسان الدين ابن الخطيب <sup>(٢)</sup> في كتابه « الإحاطة في أخبار غرناطة » : بأنه ( كان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً سري النفس كريم الأخلاق ) <sup>(٣)</sup> وزاع صيت ابن جبير بسبب الرحلة التي قام بها بزيارة العديد من البلدان والأماكن وسجل مشاهداته فيها بأسلوب جميل وبديع ، فقام برحلته الأولى إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، وحوت رحلته العديد من المعلومات المختلفة في النواحي السياسية والحضارية ، فقام بوصف كل ما شاهدته في طريقه إلى الحجاز حتى عودته منها سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م <sup>(٤)</sup> ، حيث مكث بها ثمانية أشهر <sup>(٥)</sup> ، ونظم قصيدة عند وصوله إلى مكة مطلعها :

بَلَّغْتُ الْمَنَى وَحَلَلْتُ الْحَرَمَ      فَعَادَ شَبَابُكَ بَعْدَ الْهَرَمِ  
فَأَهْلًا بِمَكَّةَ أَهْلًا بِهَا      وَشُكْرًا لِمَنْ شُكْرُهُ يُلْتَزَمُ

ونظم قصيدة أخرى عند دخوله المدينة المنورة مطلعها :

- 
- = ابن جبير : الرحلة ، ص ٥ .
- نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٠ .
- <sup>(١)</sup> نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٠ .
- <sup>(٢)</sup> هو الإمام ذو الوزارتين لسان الدين والدنيا ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني الغرناطي ( ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م ) صاحب كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة .
- الكتاني ( عبد الحي بن عبد الكبير ) : فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج ١ / ص ٣٧٩ .
- <sup>(٣)</sup> ابن جبير : الرحلة ، ص ٥ .
- <sup>(٤)</sup> مقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ / ص ٤٨٨ .
- نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٠ .
- <sup>(٥)</sup> ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦١ .
- نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٠ .

أَقُولُ وَأَنْسَتْ بِاللَّيْلِ نَارًا      لَعَلَّ سِرَاجَ الْهُدَى قَدْ أَنْارَا  
وَالَا فَمَا بَالُ أَفْقَى الدُّجَى      كَانَ سَنَا الْبَرْقُ فِيهِ اسْتَطَارَا<sup>(١)</sup>

وأشار في مذكراته إلى الحياة العلمية في الحرم المكي الشريف حيث عبّر عن ذلك بقوله : ( والحرم محقق بحلقات المدرسين وأهل العلم )<sup>(٢)</sup> ، وقد امتازت رحلة ابن جبير بالعديد من المميزات ومنها : تدوينها على هيئة يوميات ، لذا كان وصفه شاملاً مفصلاً مع إثبات ذلك بالتاريخين الهجري والميلادي وعنايته الكبيرة بوصف المدن التي مرّ بها ، وخاصة مكة المكرمة وآثارها ومعالمها الدينية وأسواقها ومساجدها وغيرهم ، كما تطرق للناحية الاقتصادية بالحجاز ، وامتأّت رحلته بالمدح والثناء على عدد كبير من الأموات والأحياء الذين عُرفوا بصلاحهم وتقواهم ، وقد اتصفت رحلته ببعض المبالغات والتهويل لما يشاهده ليظهر مدى إعجابه أو استنكاره لما يصفه ، واستشهادته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مكانها الملائم في الرحلة بالإضافة إلى عنايته الفائقة بتسجيل النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بأسلوب سهل واضح أعطى لرحلته قيمة علمية كبرى<sup>(٣)</sup> ، وأثناء إقامته في مكة لقي العديد من العلماء منهم عمر بن عبد المجيد الميانشي الذي نهل ابن جبير من علمه الشيء الكثير<sup>(٤)</sup> ، وقام برحلته الثانية سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م وعاد منها سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، وقام بعدها بآخر رحلاته فجاور بمكة طويلاً ثم ببیت المقدس وتحول بمصر واستقر بالإسكندرية للتدريس إلى أن توفاه الله<sup>(٥)</sup> .

(١) مقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ / ص ٤٨٧ - ٤٩٢ - ٤٩٣ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠١ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ .

(٣) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٥ .

(٥) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٢ .

وقد تُرجم لرحلته أسماء مختلفة وهي « تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار »<sup>(١)</sup> وسميت أيضاً « رحلة الكنانى » وله ديوان شعر يعرف « نظم الجمان فى التشكى من أخوان الزمان » وله جزء آخر سماه « نتيجة الجوانح فى تأبين القرين الصالح » فى رثاء زوجته<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - ابن رشيد

محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد ابن مسعود بن حسن بن محمد بن محمد بن رشيد ، أبو عبد الله الفهرى السبتي ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م )<sup>(٣)</sup> :

رحالة من بلاد المغرب رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م فزار مصر والشام والحجاز وأثنى عليه كل من ترجم له ، إذ وُصفَ بالثقة والعدل وكان عارفاً بعلم القراءات والعربية وعلم البيان والأدب والعروض والقوافي ، وهو من خدام الكتاب والسنة ، فاضلاً كريماً وكانت له عناية بعلم الحديث وضبط أسانيده ورجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله ، كما كان أصيل النظر ذاكراً للتفسير حافظاً للأخبار<sup>(٤)</sup> ، ومن مؤلفاته رحلته المسماة « ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة »<sup>(٥)</sup> و « إفادة النصيح بمشهور رواية الحديث » و « إيضاح المذهب » و « السنن الأبين فى السنن المضعف » ، وتميزت رحلة ابن رشيد بأنها من الرحلات العلمية لترجمته لكل من لقيهم من العلماء والحفاظ والفقهاء والأدباء ، كما أشار إلى تحديد أماكن الدرس والعلم وتميز بدقة ضبط الأسانيد

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧ .

(٢) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤ / ١١١ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٠ .

(٤) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٥) ابن رشيد : ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة ، مخطوط بقسم المخطوطات جامعة الملك سعود ، رقم ١٠٧ م خ .

الجالس : أشهر رحلات الحج ، ص ١٦ .

وتعريف بالرجال وإيراد سنن الحديث <sup>(١)</sup>، والتقى أثناء رحلته الكثير من العلماء منهم أبو اليمن بن عساكر وابن خليل العسقلاني <sup>(٢)</sup>.

### ٣ - العبدري :

محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيجي <sup>(٣)</sup> :

وهو مجهول الميلاد وسنة الوفاة ، رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وطلب العلم والتجارة فحمل معه القمح لبيعه في مكة سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، وأسماها « الرحلة المغربية » <sup>(٤)</sup> ولا يوجد له مؤلفات غير هذه الرحلة <sup>(٥)</sup> ، وصف فيها الطريق منزلة منزلة ، وقد استفاد من رحلة ابن جبير <sup>(٦)</sup> ، وصور حال البلاد الإسلامية السياسية التي مرَّ بها أصدق تصوير ، كما أصاب في التحقيقات الجغرافية الدقيقة واتبع في أسلوبه الصدق والدقة والمناقشة المعتمدة في المنطق والهجاء اللاذع ، واهتم بعلم التاريخ وخاصة تراجم العلماء <sup>(٧)</sup> ، ومما سبق يؤكد أن العبدري اهتم في رحلته بالناحية العلمية للمدن التي زارها <sup>(٨)</sup> غير أنه اعتذر عند وصفه للحياة العلمية في الحجاز لانشغاله بمناسك الحج <sup>(٩)</sup> .

---

(١) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ .

(٢) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٣) حاحة بلدة واسعة بين مراكش وسوس ، وحيحة قبيلة من قبائل سوس ، وحاحة قرب مدينة الصويرة على شاطئ المحيط الأطلسي على مقربة من مغادور بمراكش .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٦ .

(٤) العبدري ( محمد بن محمد ) : رحلة العبدري ، مخطوط بقسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود .

العبدري ( محمد بن محمد أبو عبد الله ) : الرحلة المغربية ، تحقيق : محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨ م ، ص م من المقدمة .

(٥) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٨ .

(٦) الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٧) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٨) العبدري : الرحلة المغربية ، ص م من المقدمة .

(٩) العبدري : الرحلة المغربية ، ص ٢٠٠ .

#### ٤ - التجيبي السبتي :

القاسم بن يوسف بن محمد علي بن القاسم التجيبي السبتي<sup>(١)</sup> البلسي ( ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م )<sup>(٢)</sup> :  
رحالة أندلسي ذو ثقافة واسعة حتى أنه وصِفَ بالعالم البارِع المحدث الحافظ المتقن العارف بالحديث القيم  
على أنواعه الضابط الثقة<sup>(٣)</sup> ، قام بتدوين رحلته أثناء سفره وسمّاها « مستفاد الرحلة والاعتراب » في  
ثلاث مجلدات ضخمة والتي ذكر فيها الكثير من تراجم الفقهاء والعلماء الذين قابلهم أثناء رحلته<sup>(٤)</sup> كما  
حدّث بنفسه في الحرم المكي الشريف وكان له العديد من المشايخ منهم محب الدين الطبري الذي سمع منه  
عدة مرويات من « صحيح البخاري » و« التفسير » ومحمد بن عمر الواقدي ( ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م )<sup>(٥)</sup> .

#### ٥ - ابن بطوطة

محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي<sup>(٦)</sup> ( ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ) :  
قام برحلة طويلة شاملة بدأها سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م وزار خلالها الأقطار الإسلامية وبلاد المشرق

- 
- (١) سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر .  
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ / ص ١٨٢ .  
(٢) التجيبي ( القاسم بن يوسف ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ) : مستفاد الرحلة والاعتراب ، برنامج التجيبي ، تحقيق : عبد  
الحفيظ منصور ، تونس - دار العربية للكتاب ١٩٨١ م ، ص أ من المقدمة .  
نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٢١ .  
الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ص ٢٠ .  
(٣) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٢١ .  
(٤) التجيبي : مستفاد الرحلة والاعتراب ، ص ب من المقدمة .  
نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ١٢١ .  
(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٤٦٠ .  
التجيبي : مستفاد الرحلة والاعتراب ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢ .  
(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ، ص ١٥ . وطنجة بلد على ساحل المغرب . ياقوت الحموي : معجم  
البلدان ، ج ٤ / ص ٤٣ .

الأقصى ، وقد استغرقت رحلته سبعة وعشرين سنة وسماها « تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » وتعد هذه الرحلة أشهر الرحلات لشمولها <sup>(١)</sup> ، وقد اهتم ابن بطوطة في مشاهداته بالنواحي البشرية والاجتماعية والفردية <sup>(٢)</sup> ، وهي مصدراً غنياً من مصادر علمي التاريخ والجغرافية في القرون الوسطى لا سيما في ناحيتي السياسية والاجتماعية ، وقد وصف مكة والمدينة وصفاً مفصلاً فوصف الحرمين الشريفين وذكر عادات أهل مكة وأحوالهم وقد توافقت أوصافه إلى حدٍّ ما مع أوصاف ابن جبير . ولقي في أثناء رحلته الكثير من العلماء منهم نجم الدين الطبري وجمال الدين الأقسهري ومحمد بن عثمان البغدادي <sup>(٣)</sup> .

#### رابعاً - أثر المكتبات في تنشيط الحركة العلمية :

من المؤكد أن الكتب والمكتبات قد كان لها أثر مهم في حياة المسلمين ، وشكلت صرحاً بارزاً من صروح الحضارة الإسلامية لدرجة أن هذه الحضارة أصبح يطلق عليها ( حضارة الكتاب ) وذلك منذ أن كان المسلمون يعدون كل كتاب ، ابتداءً بالقرآن الكريم يمثل عالماً كاملاً بنفسه ، فهو بالنسبة إليهم يمثل ما لم يمثل أي شعب من شعوب العالم القديم ، فهو المصدر الوحيد الذي لا ينضب للحياة الروحية <sup>(٤)</sup> ، وحين يتحدث المسلمون عن الكتب فإنهم يتحدثون دائماً بالكثير من الحب وكأنهم يتحدثون عن أشياء عزيزة على نفوسهم ، أو يتحدثون عن أصدقاء مخلصين ، فهم يقولون عن الكتاب:

نِعَمَ الْأَنْبِيَاءُ إِذَا خَلَوْتْ كِتَابُ      تَلَهُوْا بِهِ إِنَّ خَائِكَ الْأَحْبَابُ

(١) الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) غريب ( جورج ) : الموسوع في الأدب العربي ، أدب الرحلات تاريخه وأعلامه ، دار الثقافة ( د . ت ) ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٣) نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) الجميل ( محمد فارس ) : المكتبات العربية في العصر العباسي ، وهي مقالة للدكتورة الإيطالية أو اللجانتو ، ثم ترجمها إلى الإنجليزية فريتس كرنكوف ، ونقلها عن الإنجليزية وعلق عليها محمد الجميل ، مجلة العصور ، المجلد الرابع ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ج ٢ / ص ٢٥٧ - ٢٦١ .

لا مُفْشِيًّا سِرًّا إِذَا اسْتَوْدَعْتَهُ وَتُفَادُ مِنْهُ حِكْمَةً وَكِتَابٌ<sup>(١)</sup>

ولأهمية هذا الكتاب في تثقيف المجتمع ، فقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير أن يوقفوا الكثير من الأوقاف على المساجد والمدارس والأربطة وغيرها ، ابتغاء ثواب الله عزَّ وجلَّ ، فأصبح وقف الكتب وحبسها على المكتبات مصدراً رئيسياً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب ، غير أن العادة جرت أن يوقف المرء كتبه على المدرسة التي تخرَّج منها ، أو درَّس فيها ، أو على الرباط الذي كان يسكنه ويدرس فيه أو ما شابه ذلك ، وكان وقف الكتب يسهل عمل الباحث في الحرمين الشريفين ، لأن الكتب كانت مبدولة للجميع ، حيث استغنى بعض العلماء عن شراء الكتب ، ولا سيما إذا كانت ذات يدهم ضيقة ، فاستفادوا من هذه الكتب بالمطالعة في أماكنها ، ولم يظهر من خلال الكثير من المصادر التي تناولت زمن هذا البحث وجود أي مكتبة خاصة لأحد العلماء أو المجاورين في الحجاز يتردد إليها طلبة العلم ، وإنما كانت هناك تراجم تُشير إلى أن كثيراً من العلماء والمجاورين كانت لديهم كتب خاصة بهم ، أو أنهم كانوا يجنون اقتنائها ومطالعتها ، وكانوا يساعدون طلبة العلم بإعارتها إليهم ، كما ذكر السخاوي : ( أن عبد الله ابن حجاج ( ت ٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م ) انقطع للمجاورة بالمدينة النبوية وجمع فيها من غرائب الكتب ونفائسها ، فلما أدركه الأجل دخل الكتب حصن الانحصار وأكلتها الأرضة والنار وبللتها الأنداء والأمطار وذهب منها النقاوة والخيار وما بقي منها بيعت كل عشرين بدينار وامتألت المدينة من بقاياها بفوائد غير مألوفة وحصلت في بيت كل طالب جملة من علوم غير معروفة )<sup>(٢)</sup> .

وقد كان المسجد الحرام والمسجد النبوي مركزاً علمياً من أكبر مراكز التعليم والتدريس ، وجذب إليهما الطلاب من جميع أنحاء العالم ، لذا اهتم بهما الخلفاء والحكام والأمراء وغيرهم ، فأوقف عليهما مجموعات ضخمة من الكتب في أغلب فروع العلم والمعرفة ليستفيد منها طلاب العلم . فالمسجد الحرام كان يضم كثيراً من نسخ المصحف الشريف والكتب الإسلامية ، لأنه ملتقى المسلمين لأداء مناسكهم التعبدية من ناحية والتعلم من ناحية أخرى ، كما يحصل التبادل العلمي بين علماء

(١) ابن عبد ربه ( أحمد بن محمد ) : العقد الفريد ، القاهرة - بولاق ١٢٨٣ م ، ج ١ / ص ١٩٩ .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٢٩ - ٣٠ .

المسلمين ، سواء بعقد حلقات الدرس في المسجد الحرام ، أو بتبادل الكتب العلمية ، أو إهداء إنتاجهم العلمي إلى هذه الأماكن المقدسة ، ولهذا تميزت هذه المدن الحجازية بالنشاط العلمي وبالعناية بالمأثور من أقوال النبي ﷺ وأيضاً شيوع المذاهب الإسلامية القائلة بالرأي ، والآخذة بالقياس على ضوء ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، لهذا فقد نشأت خزائن الكتب على مرّ العصور الإسلامية في أنحاء متفرقة من الحرم ، وقد تعرضت خزائن الكتب في الحرم المكي الشريف لكوارث عدة ، منها التلف والضياع والحرق والسرقة ، وذلك لعدم وجود مكان مخصص لها يحميها من عبث العابثين ، ويحفظها من عوارض الزمان كالسيول وغيرها ، لوقوعها في وادي إبراهيم ، فقد أوردت بعض المصادر إشارات واضحة لهذه السيول التي كانت سبباً في تدمير الكثير من الكتب بخزائن الحرم المكي وضياعها ، وراح ضحيتها أعداد كثيرة منها فقد جاء في الملحق الثالث من ملاحق كتاب « أخبار مكة » للأزرقى : ( أن سيلاً دخل الحرم سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ) وصل إلى خزائن الكتب وأتلف منها الشيء الكثير <sup>(١)</sup> ، وأكد ذلك البتوني في « الرحلة الحجازية » : ( بأن في الحرم المكي كتباً كثيرة مهمة وضعت في دواليب سرق بعضها والبعض أفسدته السيول التي أغرقت المسجد الحرام وشوارع المدينة المقدسة ، ومن أهمها سيل ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م الذي صعد إلى هذه الخزائن وأتلف منها الشيء الكثير ) ، وأشار إلى أن ذلك أكبر مصيبة على العلم والعلماء لما فقدوه من كتب التراث و أمهات الكتب ونوادرها <sup>(٢)</sup> ، كما تعرض المسجد الحرام لسيل سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ، أغرق فيها الكثير من أهل مكة الذين كانوا وقتئذٍ بالمسجد الحرام ، وتعرضت كذلك جميع الكتب التي كانت موجودة في القبة لهذا السيل <sup>(٣)</sup> .

ويفهم من هذه الإشارة أن الكتب قد جمعت في مكان بعينه ، كقبة الفراشين للاستفادة منها أكثر بعد تجميعها في مكان واحد الأمر الذي أدى إلى تنظيمها ، وروى النجم ابن فهد : ( أنه في سنة ٤٨٨ هـ /

(١) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ / ص ٣١٢ .

(٢) البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥٩ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ / ص ١٩٠ .

ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ / ص ٢١١ - ٢١٢ .

١٠٩٥م ولي الجمال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن فتوح بن محمد بن محمد المكناسي المالكي إمامة مقام المالكية بالمسجد الحرام ، ووقف المكناسي كتاب « المقرب » في ست مجلدات لابن زمنين المالكي على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة وجعله بخزانة المالكية بمكة <sup>(١)</sup> ، مما يعني أن أئمة المذاهب بالحرم المكي الشريف كان لكل منهم خزانة كتب خاصة وكان هذا دليل على ترتيب الكتب وتنظيمها في مكان معين مما ساعد على سهولة الاطلاع ، ويبدو من الإشارات السابقة أن هذه الكتب نقلت من الخزائن المنتشرة في أنحاء متفرقة من الحرم المكي الشريف إلى خزائن مخصصة ، مثل القبة التي كانت بالقرب من بئر زمزم كقبة الفراشين التي أعدت لمصالح المسجد الحرام ، مثل الشمع والشمعدانات وفرش المنبر والمصاحف التي أوقفت على المسجد الحرام <sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر السيوطي : ( أن أول من عمل هذه القبة وبيت الشراب هو المهدي العباسي ) <sup>(٣)</sup> ، وقد جددتها الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م <sup>(٤)</sup> ، وأكد ذلك ابن بطوطة حيث ذكر : ( أن قبة الشراب تخزن فيها المصاحف الكريمة والكتب التي للحرم المكي الشريف ، وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منسوخ سنة ثمانية عشر من وفاة الرسول ﷺ وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة ، أخرجوا هذا المصحف الشريف ، وفتحوا باب الكعبة ووضعوه على العتبة الشريفة ، ووضعوه في مقام إبراهيم عليه السلام ، واجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٤٨٧ .

(٢) الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٧٩ .

(٣) السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل ، تحقيق : لإبراهيم العدوي وعلي محمد عمر ، القاهرة - مكتبة الخانجي ( د .

ت ) ، ص ٥٣ ، وذكر ابن بطوطة أن هذه القبة تنسب إلى العباس رضي الله عنه . ابن بطوطة : تحفة النظار ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ . والمهدي الذي ذكره السيوطي هو : محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباس أبو عبد الله

المهدي من خلفاء الدولة العباسية ، ( ت ١٦٩ خ / ٧٨٥م ) .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ / ص ٢٥٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٤ - ٦٥ .

والمقام الشريف ( <sup>(١)</sup> ) ، وهذه الإشارة توضح تجميع الكتب والاهتمام بنوادرها في مثل هذه القبة حفاظاً على سلامتها .

أما المسجد النبوي فقد تكونت فيه مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما أوقفه الملوك والحكام والعلماء والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة ، ففي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م كانت فيه خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد النبوي ( <sup>(٢)</sup> ) ، ولم يسلم المسجد النبوي من الكوارث فقد تعرض لحريق سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م والتهم الحريق المنبر النبوي والأبواب والخزائن والصناديق والمصاحف وكسوة الحجرة النبوية ، وكل النفائس التي كانت فيه ، ولم يسلم من الحريق سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م لحفظ ذخائر الحرم ، وبذلك نجا من الحريق المصحف العثماني ، وعدة صناديق كبار صنعت بعد الثلاثمائة من الهجرة ( <sup>(٣)</sup> ) ، كما تعرض لحريق آخر سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م بسبب صاعقة ضربت المنارة الجنوبية الشرقية ، فأطاحت بجزء كبير منها وتسبب عن ذلك احتراق المسجد واحتراق ما فيه ( <sup>(٤)</sup> ) ، وذكر السمهودي أن الحريق استولى على جميع سقف المسجد حواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، حتى أن قبة المسجد التي حفظت ذخائر الحرم في الحريق الأول لم تسلم من هذا الحريق ، ولم يبق من هذه الكتب إلا الشيء اليسير ( <sup>(٥)</sup> ) .

علاوة على ذلك فقد أوقفت أعداد غير قليلة من الكتب في بعض الأربطة والمدارس التي ساعدت على تكوين بعض المكتبات ، ففي سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م أمر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الأيوبي

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٣١ .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٢ / ص ٥٩٨ - ٦٠٠ .

رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ / ص ٤٦٣ .

(٤) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٢ / ص ٥٢٧ - ٦٣٣ .

(٥) السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٢ / ص ٦٣٥ .

بإنشاء رباط بمكة أوقف فيه كتباً منها «المحمل لابن فارس»<sup>(١)</sup> و «الاستيعاب» لابن عبد البر<sup>(٢)</sup> ، وقد وقف محمد بن عيسى بن سالم بن علي بن محمد الدوسي الشريشي المكي ، ويعرف بابن خشيش (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م) في رباط ربيع كتابه «الغاية» في أربع مجلدات وهو شرح للتنبيه ، وأسند فيه أحاديث كثيرة للاستدلال بها ، كما كانت له كراسة في علم الحديث سماها «صفوة علم الحديث في الميز بين الطيب والخبيث»<sup>(٣)</sup> ، وفي سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م أسس إقبال الشراي خادماً المستنصر بالله وأحد قواده المدرسة الشراية ، وقد أقام الشراي بها مكتبة وأوقف عليها كتب كثيرة ، وذكر النهروالي أنه (أوقف بها كتباً كثيرة تفرقت شذر مذر ، وأصبحت بعد ذلك رباطاً وفيها محل للتدريس ، وأوقف بها أهل الخير كتباً كثيرة)<sup>(٤)</sup> ، وكذلك أنشأ ملك فارس شاه شجاع<sup>(٥)</sup> رباطاً تجاه باب الصفا وأوقف فيه سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م كتباً<sup>(٦)</sup> .

ومما تقدم يلاحظ أن مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية تجلّت بالآتي :

١ - وجود الحرمين الشريفين في الحجاز من أكبر مظاهر الحركة العلمية ، وذلك باستقطابه العلماء من

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي من أئمة اللغة والأدب ، له مؤلفات كثيرة مثل كتاب

«المحمل» في اللغة وكتاب «حلية الفقهاء» ، (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ / ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) هو يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي أبو بكر ، من كبار حفاظ الحديث والمؤرخين ، أديب له مؤلفات كثيرة منها

كتاب «الاستيعاب» خاص بسير الصحابة رضي الله عنهم (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ / ص ٦٦ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٤) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ١٧٧ .

(٥) شاه شجاع بن محمد بن المظفر جلال الدين أبو الفوارس اليزدي سلطان بلاد فارس (ت ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م) .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٢٠٩ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٢٠٩ .

- شتى الديار الإسلامية لكونهما أكبر جامعتين في ذلك العصر .
- ٢ - كان موسم الحج أكبر ملتقى للعلماء لما فيه من ندوات علمية ومناظرات ومجالس وعظ يحضرها العلماء القادمون لأداء الفريضة بالاشتراك مع المجاورين وأهل الحرمين .
- ٣ - شغل أمراء العالم الإسلامي وخاصة أمراء اليمن الدور الأبرز في دفع عجلة الحركة العلمية إلى الأمام .
- ٤ - لم يكن لأي من أمراء مكة والمدينة أي دور يذكر في دفع أي نشاط علمي أو المشاركة فيه .
- ٥ - عرفت مكة عدداً من المدارس في حين أن المدينة لم تعرف أي مدرسة حتى نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .
- ٦ - كان المجاورون أصحاب الفضل الأكبر بين رجال الحركة العلمية وذلك أن معظم العلماء الذين عرفهم الحجاز منهم ، وشغل الكثير منهم المناصب الدينية فُعُرفوا بإمامة الحرم والقضاء والإفتاء وما شابه ذلك من المناصب .
- ٧ - إن جميع الأسر العلمية التي عُرفت بنشاطها العلمي كانت من المجاورين الذين استقروا في الحجاز وتوارث أفراد تلك الأسر القضاء وإمامة الحرمين الشريفين وخطابتهما .
- ٨ - كان للمرأة بعض الدور في النشاط العلمي على الرغم من أن أكثر النساء الذي عرفهن الحجاز من المجاورات .
- ٩ - لم يكن للمكيين والمدنيين ذلك النشاط الكبير في الحركة العلمية سواء كانوا طلاباً أو معلمين .
- ١٠ - أن توفر المساعدات التي كانت تأتي إلى الحجاز من الأمراء كانت دافعاً لجذب العلماء من مختلف العالم الإسلامي حيث كانت تهيئ المسكن و الظروف المعيشية لهم .
- ١١ - كانت الرحلات المغربية الأندلسية مصدراً غنياً من المصادر التاريخية التي زودت الباحثين بمعرفة أدق التفاصيل عن الحرمين الشريفين .
- ١٢ - كانت الرحلة في طلب العلم هي السمة التي ميزت جميع العلماء التي شملتهم تلك الدراسة .
- ١٣ - ضم الحرمين الشريفين في ثناياهما مكتبتين حوتا مختلف المؤلفات الشرعية حيث أوقف أمراء العالم الإسلامي لهما الأوقاف الضخمة وهذه المكتبات لم تسلم من السرقة والعوامل البيئية المختلفة التي أدت إلى

ضياح معظم ما فيها .

١٤ - عدم وجود أي مكتبة خاصة يتردد إليها الطلبة لأخذ الكتب فيها ، ولكن ضمت بعض المدارس والأربطة مكتبات صغيرة أوقفها مدرسو تلك المدارس ومنشئوها .

## الفصل الثالث

### مراكز التعليم

إنَّ أهمية الحجاز ومكانته الدينية جعلت له الدور القيادي في الحركة العلمية و الحفاظ على التراث الإسلامي والعربي ، وقد كان صاحب الدور الأبرز في الحفاظ على العقيدة الإسلامية منذ ظهور الإسلام<sup>(١)</sup> ، وأن أول مؤسسة للتعليم في الإسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم<sup>(٢)</sup> التي يمكن اعتبارها أول مدرسة في الإسلام ، إذ لم يكن باستطاعة الرسول الكريم أن يجهر بتعاليم دينه في المسجد الحرام خشية تعريض نفسه وأتباعه لأذى الكفار ، وعلاوة على دار الأرقم كان هناك دار الرسول في مكة يجتمع فيها المسلمون<sup>(٣)</sup> ، وبعد هجرة النبي الكريم ﷺ إلى المدينة صار منزله مكاناً للتعليم حتى بناء المساجد ونزول الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾<sup>(٤)</sup> ، وبعد أن وقع النهي عن دخول بيوت النبي ﷺ اتجه المسلمون إلى المسجد ، وإلى منازل العلماء وبقيت تلك المنازل بصورة عامة تؤدي دوراً مهماً في عملية نشر العلم والتعليم في مختلف العصور الإسلامية، فلم يكن المسجد الحرام والمسجد النبوي وحدهما ملتقى العلم والعلماء بل هناك أماكن أخرى أدّت دورها في الحركة التعليمية في الحجاز مثل الكتاتيب وبعض الأماكن العامة والخاصة التي عُرفَ بعضها منذ عصر الرسول الكريم ﷺ وخلفائه ، واستمرت تؤدي دورها مدة من الزمن ، وقد كان المسلمون الأوائل يتلقون العلم في تلك المؤسسات هم وأبنائهم وبناتهم ومواليهم ، فيقرءون آيات الكتاب الكريم ويدرسون علم الفرائض والدين<sup>(٥)</sup> ثم اتسعت حركة التعليم فشملت مؤسسات كثيرة أخرى منها المدارس والأربطة وما إلى ذلك ، والدراسة فيهم لم تكن تسير على وتيرة واحدة فهناك دراسة نظامية قائمة في مدارس معينة يتولى التدريس فيها عدد من الأساتذة يرأسهم ( شيخ المدرسة ) الذي يعينه السلطان ، ثم يتخرج التلاميذ من

(١) ( حسن ) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ج ٣ / ص ١٥٨ .

مالك : بلاد الحجاز ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن هشام ( أبي محمد بن عبد الملك ) : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، بيروت لبنان - دار إحياء

التراث ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ج ١ / ص ٢٧٠ .

(٣) شلبي ( أحمد ) : تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٨٠ م ، ص ٥٤ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

(٥) طلس ( أسعد ) : التربية والتعليم في الإسلام ، بيروت - دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ م ، ص ٥٣ .

المدارس بإجازات من مدرسيهم توضّح ما قرأوه وحفظوه ، وبعدها تفتح لهم الأبواب للتدريس ، وهناك نوع آخر من أنواع الدراسة وهو وسط بين الانتظام وعدمه إذ يتم ذلك في الأريطة والزوايا ، والنوع الثالث هو الأغلب والأعم وهو الدراسة في الحرمين الشريفين ويتألف من دراسة مقامات المذاهب الأربعة بالحرمين في أماكن معينة لاجتماع أتباع المذاهب الأربعة كلّ على حدا للصلاة والدراسة (١) .

ومن أهم تلك المراكز :

### أولاً : المساجد :

يعدّ النشاط التعليمي من أهم وظائف المسجد بعد الشعائر التعبدية ، وكان ذلك من أعظم مهماته كونه مدرسة يعلم الرسول ﷺ فيها أصحابه ، حيث كان الرسول ﷺ يقيم حلقات العلم ويشجع من يقيمها ويجلس إليهم فيها وما ذلك إلا لما لهذه الحلقات من مكانة ، ولما لها من أهمية وضرورة للأمة والمجتمع (٢) وقد أوردت كتب السنّة الكثير من الأحاديث تؤكد ذلك منها ما رواه البخاري ومسلم بسندهما ، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : ( بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم عن نفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله عز وجل فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر - يعني الثالث - فأعرض فأعرض الله عنه ) (٣) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ، فقال ﷺ : ( كلا المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) الوشلي ( عبد القاسم ) : المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، بيروت - مؤسسة الكتب الثقافية ،

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤٨ .

(٣) ابن الأثير ( مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ) : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر

الأرنؤوط ، مطبعة الملاح ، مكتبة البيان - بيروت ، ( د . ت ) ، ج ١ / ص ١١ .

معلماً ، ثم أقبل فجلس معهم <sup>(١)</sup> ، وعن صفوان بن عسال <sup>(٢)</sup> رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله إني جئت أطلب العلم ، فقال : ( مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب ، فما جئت تطلب ؟ قال : قلت يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فافتني على المسح على الخفين ) <sup>(٣)</sup> .

هكذا كان الرسول الكريم ﷺ يجلس في المسجد ، فيعلم الجاهل ويفتي السائل ويبين الأحكام <sup>(٤)</sup> .  
ويعد المسجد الحرام من أكبر معادل العلم التي يلتقي فيها الكثير من الناس على اختلاف أجناسهم في مختلف العلوم وخصوصاً العلوم الشرعية ، ذلك أن المسجد الحرام لا يخلو من الرواد على مدار العام ، حيث الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التي يحج إليها آلاف مؤلفة من المسلمين كل عام ليؤادوا فريضتهم التي كتبت عليهم <sup>(٥)</sup> ، وهم بلا شك كان بينهم الكثير من العلماء أدوا رسالتهم في المسجد الحرام واستفاد منهم طلبة العلم .

وبعد فتح مكة المكرمة عيّن الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه ليعلم الناس تعاليم الدين الإسلامي ، وأخذ المسجد الحرام يزدحم برجال الحديث الشريف والقرّاء ، وفي العهد الأموي كثرت رحلة العلماء لمكة المكرمة ، ولعل العلماء اتجهوا شطر مكة المكرمة لمكانة المسجد الحرام ولبعدها عن الفتن السياسية ، وكان

---

<sup>(١)</sup> ابن عبد البر ( يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ / ١٠٨١ م ) : جامع بيان العلم وفضله ، بيروت - دار الفكر ، ( د ت ) ، ج ١ / ص ٦٠ .

<sup>(٢)</sup> هو صفوان بن عسال المرادي ، أحد فقهاء الصحابة ، غزا مع النبي الكريم ﷺ اثنا عشر غزوة ، له أثر كبير في قتال الفرس في القادسية ، ولاءه علي رضي الله عنه الكوفة ، وشهد صفين ، وتوفي حوالي سنة الأربعين للهجرة .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣ / ص ٦٦١ - ٦٦٢ .

<sup>(٣)</sup> ابن عبد القوي ( عبد العظيم ) : الترغيب والترهيب ، تصحيح : مصطفى عمارة ، بيروت - دار التراث ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ، ج ١ / ص ٩٥ .

<sup>(٤)</sup> الوكيل ( محمد السيد ) : الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه رضوان الله عليهم ، جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٥ .

<sup>(٥)</sup> الليليم ( عبد العزيز ) : رسالة المسجد في الإسلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من أبرز من اتخذ مكة مقراً له <sup>(١)</sup> ، ولعل أكبر حدث علمي هو تلك الحلقة التي كونها الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ( ت ٦٨ هـ / ٦٨٧ م ) في المسجد الحرام إذ يعود له الفضل فيما كان لمدرسة مكة من شهرة علمية ، فقد كان يقوم بتفسير القرآن الكريم ، ويرشد الناس إلى مكارم الأخلاق ، ويفقههم في أمور دينهم ودنياهم <sup>(٢)</sup> وقد أنتجت مدرسة ابن عباس فيما أنتجت : سعيد بن جبير ( ت ٩٥ هـ / ٧١٣ م ) <sup>(٣)</sup> ، وعطاء بن أبي رباح ( ت ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ) <sup>(٤)</sup> ، وممن اشتهر من علماء مكة في هذا العصر عبد الملك بن جريج ( ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ) <sup>(٥)</sup> ، فقد كان هذا عالماً من أعلام مدرسة مكة المكرمة وتلقى على يديه العلم نخبة من العلماء منهم الأوزاعي <sup>(٦)</sup> وسفيان ابن عينية ( ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ) <sup>(٧)</sup> ، وظلت هذه المدرسة تؤدي وظيفتها ، فذاع صيتها واشتهر أمرها ووفد عليها الكثير من الطلاب وعشاق المعرفة ، وعن تلك المدرسة أخذ العلم الإمام الشافعي ( ت ٢٠٤ هـ /

(١) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٢٧ .

(٢) الليليم : رسالة المسجد في الإسلام ، ص ١٦٦ .

(٣) هو التابعي سعيد بن جبير الأسدي الكوفي ، حبشي الأصل ، ( ت ٩٥ هـ / ٧١٣ م ) .

الفاشي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٥٤٩ - ٥٥٣ .

(٤) هو عطاء بن أسلم بن صفوان ، تابعي من أجلاء الفقهاء ، نشأ بمكة وكان مفتي مكة ومحدثها .

الفاشي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٨٤ .

(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد وأبو خالد المكي ، كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتقنيهم .

ابن حجر العسقلاني ( أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) : تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف

النظامية - الهند ، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ ، ج ٦ / ص ٤٠٣ - ٤٠٥ - ٤٠٧ .

(٦) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو واسمه محمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه ، وكان إمام أهل زمانه جمع العبادة

والورع كثير الحديث والعلم ( ت ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ) .

ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج ٥ / ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٧) سفيان بن عينية بن ميمون الهلالي الكوفي ، محدث الحرم المكي ، من الموالى سكن بمكة وتوفي بها ، وله كتاب « الجامع

في الحديث » وكتاب في « التفسير » .

العجلي ( أحمد بن عبد الله ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ) : تاريخ الثقات ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، بيروت - دار

الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٩٤ .

٨١٩ م) الذي كان واحداً من تلاميذ سفيان بن عيينة أحد علماء مدرسة مكة المشهورين ، وظلت حالة مكة المكرمة في العصر العباسي على ما كانت عليه في العصر الأموي ، وظلَّ العلماء يتلقون العلم طبقة عن طبقة ، ثم أخذت جذوة مدرسة مكة تحبو نظراً لكثرة من رحل من علمائها إلى سائر أقطار العالم الإسلامي لنشر العلم ورواية الحديث ، وبحلول القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بدأ ضعف النشاط العلمي بها واضحاً ، كما أن العلماء لم يكونوا يتقاضون راتباً من الدولة لقاء الدروس التي يقومون بتدريسها ، ولا يأخذون صدقة من الطلبة أو زكاة لأن تعليمهم كان في سبيل الله تعالى ، وكان كلَّ عالم يلقي على طلابه العلوم التي تبحر فيها <sup>(١)</sup> ، وخلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عاد النشاط العلمي للحرمين بمجاورة معظم علماء العالم الإسلامي بهما فأصبح المسجد الحرام والمسجد النبوي جامعتين كبيرتين لنشر العلوم الإسلامية <sup>(٢)</sup> ، وتفيض كتب التراجم بأسماء العلماء والمجاورين الذين درَّسوا بهما وبأسماء الكتب التي درسوها .

هذا ويلاحظ أن كثيراً من العلماء كان يرى أن التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي أفضل من التدريس في المدارس وأجزل نفعاً وأعظم أجراً ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التدريس في المساجد لا يحتاج إلى تكليف و لا تعيين لمن يرغب في التدريس أو يقوم به في هذين المسجدين وإنما هو عمل اختياري يقوم به من يريد الثواب الأخروي والنفع تطوعاً من ذات نفسه ومن دون أجر إلا في بعض الحالات النادرة ، بينما التدريس في المدارس لا بدَّ له من تكليف ، كما أن الطلبة لا يزيدون عن العدد الذي يحدده باني المدرسة أو واقفها ، بينما الطالب الذي يدرس في المساجد ليس عليه قيود أو شروط تحدد علاقته به كما هو الحال في المدرسة ، فالمساجد مفتوحة أمام كلِّ طالب علم يقرأ ويدرس ما يريد ، وما عليه إلا أن ينضم إلى إحدى الحلقات العلمية المنتشرة في المساجد حسب رغبته وميوله . وعليه فإن حلقات العلم في المساجد كانت تيسر للتلاميذ حرية الحضور حسب أعمالهم ومصالحهم ، وليس هناك

(١) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٢٨ .

(٢) ضيف ( شوقي ) : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، الجزيرة العربية - العراق - إيران ، مصر - دار المعارف ( د . ت ) ، ج ٥ / ص ٥٣ .

تحديد لأعداد التلاميذ ولم يكن هناك المنهجية المعقدة ، ولذلك فإن من ينضم إلى تلك الحلقات العلمية فإن توجهه علمي إلى حد كبير .

أما أماكن التدريس في المسجد الحرام فقد كانت تتم في أروقتة والمقامات الأربعة فكان لكل مذهب مكان خاص به، كذلك اتخذ بعض العلماء أماكن خاصة لإلقاء دروسهم عند باب إبراهيم<sup>(١)</sup> وعند باب العمرة<sup>(٢)</sup> وباب الندوة<sup>(٣)</sup> وأجساد وغيرها من الأماكن في المسجد الحرام .

وفي المسجد النبوي كانت حلقات العلم تقام في أروقتة وبالقرب من قبة الرسول ﷺ وفي الروضة الشريفة ، أما أوقات التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي فقد كان العلماء هم الذين يعينون وقتها حسب جداولهم الدراسية ، لأن بعضهم كان يقوم بإلقاء الدروس في المدارس أو يكون مرتبطاً بعدد من الدروس المقررة المخصصة في الحرم المكي أو الحرم المدني ، وكان الدرس يعقد يومياً من قبل هذا الشيخ في المسجد ، وتضم الحلقة الجماعة بلا تفرقة ، وغالباً ما يقوم الشيخ بتدريس كتبه أو كتب العلماء المشهورين في شتى فنون المعرفة .

وكانت الأعياد - كعيد الأضحى وعيد الفطر - هي الأوقات التي يترك العلماء فيها التدريس<sup>(٤)</sup> ، والإجازة الأسبوعية هي يومي الثلاثاء والجمعة<sup>(٥)</sup> ، والدراسة في الحرم المكي والحرم النبوي الشريف لم يكن لها منهج محدد معروف بل لكل شيخ طريقته ومنهجه ، وهو الذي يقرر ما يراه مناسباً لتعليم طلابه ،

---

(١) باب إبراهيم : أحد أبواب المسجد الحرام ، ويقع بالجانب الشمالي منه .

ابن ظهيرة ( جمال الدين محمد جار الله بن محمد ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م ) : الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، بيروت - المكتبة الشعبية ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) باب العمرة : سمي بذلك لأن المعتمرين يخرجون منه إلى التنعيم ويدخلون منه أيضاً المسجد الحرام في أغلب الأوقات . ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٣٥ .

(٣) باب الندوة ، ويسمى أيضاً بباب زيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة .

القطبي : الإعلام ، ص ٢١٢ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ١١٨ .

(٥) أمخزون ( محمد ) : المدينة المنورة في رحلة العياشي ، دراسة وتحقيق ، الدار البيضاء - مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٠٤ .

وعندما يستوعب الطالب دروس شيخه يحصل منه على إجازة لتدريس ذلك الموضوع ، وغالباً ما كان الطالب يحصل على إجازات من عدد من الشيوخ ، وهذا نص لأحد الإجازات التعليمية التي أعطاها أحد علماء المدينة المنورة للإمام الفاسي مؤرخ مكة المكرمة : ( كان ممن اجتمعت به وذاكرته القاضي تقي الدين محمد بن الشيخ الحسيب الأصل شهاب الدين أحمد بن علي الفاسي وقد ورد علينا بالمدينة الشريفة ، وحضر معنا درس الفقه والأصول ، وأبدى فيه من فوائده ومباحثه الجليلة ، وما يليق بعلمه وفضله على طريقة أهل الفنون والمباحث ، فرأيت في ذلك كله أهلاً للتدريس والفتوى وإفادة الطالبين ، على ما جبل عليه من حسن الفهم وحسن الإيراد وسعة البال في البحث والمراجعة فيه ، فأوجب ذلك كله الإذن له في التدريس والفتوى وإفادة الطلبة وحثه على الاشتغال بذلك كله والملازمة له لينتفع به الناس عموماً وأهل بلده خصوصاً فإنني لم أرى من فقهاء المالكية بالحجاز كله ما يقاربه في جميع ما ذكرناه )<sup>(١)</sup> ، على أن أهم العلوم التي درست في هذه الحلقات هي : علم القراءات والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية ، أما علم التصوف والعلوم العقلية فقد كان نصيبها أقل في هذه الحلقات ، وقد كان بعض علماء الحرمين الشريفين ومجاوريهما يجهدون أنفسهم في القراءة والمطالعة قبل إلقائهم الدروس حتى يكونوا أهلاً للأسئلة التي تُسأل من قبل الطلاب<sup>(٢)</sup> ، وكان بعض هؤلاء الطلاب يقومون بالتدريس بوجود شيوخهم حتى يعرف الطريقة تدريس تلميذه ، ويقوم بتوجيهه بعد الانتهاء من الدرس<sup>(٣)</sup> ، ولم تقتصر فائدة الدروس التي كانت تلقى بالمسجد الحرام على المكيين بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى ديار المسلمين ، وكانت ترد إلى مشاهير الحرم أسئلة من المدن والأقطار المجاورة، وكانوا يتولون الرد عليها<sup>(٤)</sup> . ومن أشهر العلماء المتصدرين لتدريس القراءات في المسجد الحرام : الحسن بن عبد الله بن عمر بن علي بن خلف القيرواني أبو علي بن أبي محمد المكي المعروف بابن العرجاء المقرئ الفقيه ( ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م

(١) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٢٩ .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ / ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٣٠ .

وقيل ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ) ، تفقه على مذهب الشافعي وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحرم الشريف وكان يفتي ويسمع الحديث وقصده القراء ، وتُرجم من حجر على قبره مكتوب عليه : ( الفقيه الإمام العالم مفتي الحرمين ومقرئهما )<sup>(١)</sup> .

والجدير بالذكر أنه نشط التعليم بالحرمين الشريفين حتى بعد القرن السابع الهجري / الرابع عشر ميلادي ،

حيث وجد العديد من العلماء منهم : عبد الله بن عبد الحق المخزومي عفيف الدين الدلاصي ( ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م )<sup>(٢)</sup> ، الذي أقام بالمسجد الحرام يقرأ القرآن الكريم من دون أجر ، لا يريد من ذلك

إلا ابتغاء وجه الله تعالى ورحمته<sup>(٣)</sup> ومن شدة حبه لهذا العلم ربي ولده محمد الملقب بقطب الدين ( ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م ) على حب هذا العلم ، فسمع على الفخر التوزري الموطأ ورواية يحيى بن يحيى وسمع على والده وخلفه في التصدر للإقراء بالحرم الشريف ، وذكر البرزالي أنه اجتمع به بعرفة وسمع بقراءته<sup>(٤)</sup> .

وعند باب الندوة من أبواب الحرم الشريف كان لنزيل الحرم موسى بن مسعود الموصللي ( ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ) مجلس يقرأ فيه القرآن الكريم<sup>(٥)</sup> .

وكان لعمر بن علي السراج الدمنهوري ( ت ٧٥٢هـ / ١٣٥١م ) نشاط في إقراء القرآن الكريم بالحرمين الشريفين وإفادة الطلبة فيهما<sup>(٦)</sup> .

كما كان صالح بن محمود بن محمد الكروخي الأصبهاني أبو محمد ( ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ) أحد المقرئين

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) التحييي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٤٣٣ .

الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١٩٦ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ / ص ٢٦٥ .

(٣) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١٩٧ .

(٤) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٤ - ٦٥ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٣٠٧ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٥٦ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ / ص ١٨٨ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٣٥٨ .

بالسبع ومدرس بالحرم الشريف<sup>(١)</sup> .

وكان هناك أعداد أخرى ممن درّسوا القراءات واهتموا بها في الحرمين الشريفين ، لذا نشطت حلقات هذا العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فإن طبيعة هذا العلم وخاصة تدرّسه في الحرمين الشريفين ساعد على نشاطه ، لأن أكثر العلماء و المجاورين كانوا يجلسون في الحرمين الشريفين لتلاوة القرآن الكريم أو للاستماع إلى أحد المقرئين بعد تأديته فريضة الصلاة ، كما أن براعة بعض المقرئين وإجادتهم وحلاوة تلاوتهم جعل الكثير من طلبة العلم يستمعون لهذا العلم ويأخذونه ، لأنه كان منتشراً في أطراف المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وساعد على ذلك أيضاً أن أكثر هؤلاء المقرئين لم يكونوا يتقاضون أجراً مقابل إقراءهم القرآن ، غير أن طبيعة هذا الدرس وإلقاؤه في الحرمين جعله متاحاً للجميع للاستفادة منه .

أما تدريس الفقه في المسجد الحرام فكان يتم حسب كل مذهب من المذاهب المعروفة ، فقد كان لكل مذهب من المذاهب ركن خاص في المسجد الحرام يلقي فيه الإمام الدروس ، ويصلي بجماعته في ركنه المخصص له ، فكان إمام الشافعية يتخذ مكانه خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والإمام المالكي مكانه عند الركن اليماني ، والإمام الحنفي مكانه أمام الميزاب ، أما الإمام الحنبلي فيتخذ مكانه بين الحجر الأسود والركن اليماني<sup>(٢)</sup> ، وأشار ابن جبير إلى إمام خاص لفرقة الزيدية غير الأئمة السنيين وأن أشرف مكة كانوا على هذا المذهب<sup>(٣)</sup> .

ولا شك أن هؤلاء الأئمة للمذاهب السنية الأربعة كانوا أعلاماً لهذه المذاهب ، وربما كانوا يدرسون الكتب ويستنبطون الأحكام من خلال فقه المذاهب التي قاموا بتدريسها ، وكانت أكثر حلقات العلم تدريساً في المسجد الحرام حلقات علماء الشافعية والحنفية ، فقد درّس أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم القاضي محيي الدين أبو جعفر الطبري المكي الشافعي ( ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) وأفتى وكتب بخطه كتباً علمية ،

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ - ٧٩ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم ٧٢٧ تاريخ ، عن مكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ١٣٨٥ ، ورقة ٤٣ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٩ .

وولي قضاء مكة ، وُترجم : ( القاضي الإمام الزاهد المدرس بالحرم الشريف محيي السنة ناصر الشرع شرف  
القضاة قاضي الحرمين الشريفين ومفتيهما )<sup>(١)</sup> .

وكان الإمام ضياء الدين أبو عبد الله بن الإمام تقي الدين أبي البركات القسطلاني المكي المالكي ( ت  
٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ) إمام المالكية في الحرم الشريف ومفتيها ومدرسها<sup>(٢)</sup> .

وما هذه إلا أمثلة على نشاط حلقات هذا العلم ، إذ لم يكن علم الفقه هو العلم الوحيد الذي يدرّس في  
هذه الحلقات ، بل إن هناك علوم أخرى اقترنت بعلم الفقه مثل علم الحديث وعلوم اللغة العربية وغيرها  
من العلوم التي سيمرّ تناولها بالتفصيل في الفصل التالي ، ويظهر من كتب تراجم علماء الحجاز ومجاوريه أن  
أهم الكتب التي كانت تدرّس في الفقه هي « مختصر المزني » في فروع الشافعية وهو أحد الكتب المشهورة  
بين الشافعية وهي سائرة في كل الأمصار للشيخ الإمام إسماعيل بن يحيى المزني ( ت ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م )  
وهو أول من صنّف في مذهب الشافعي<sup>(٣)</sup> و « المذهب » في الفروع للشيخ الإمام أبي اسحاق إبراهيم بن  
محمد الشيرازي الفقيه الشافعي ( ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٤ م ) ، وهو كتاب جليل القدر ، اعتنى بشأن فقهاء  
الشافعية<sup>(٤)</sup> و « التنبيه » في فروع الشافعية للشيخ الإمام أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه  
الشافعي ( ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٤ م )<sup>(٥)</sup> و « الحاوي الصغير » في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن  
عبد الكريم القزويني الشافعي ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م )<sup>(٦)</sup> و « منهاج الطالبين » كتاب في فروع الشافعية  
للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ( ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م )<sup>(٧)</sup> و « روضة  
الطالبين وعمدة المفتين » في فروع الشافعية للإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ( ت ٦٧٦ هـ

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٦ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٣٥ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٩١٢ .

(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٤٨٩ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٦٢٦ .

(٧) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٧٥ .

/ ١٢٧٧ م) <sup>(١)</sup> ، و«المجموع» في فروع الشافعية لأبي علي حسين بن شعيب ، المعروف بابن السنحي ( ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ) <sup>(٢)</sup> ، و «الحاوي الكبير» في الفروع للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي ( ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) <sup>(٣)</sup> و «منهاج البيضاوي» هو مختصر منهاج الوصول إلى علم الأصول ، للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ( ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) <sup>(٤)</sup> ، و «الورقات» في الأصول ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني ( ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ) <sup>(٥)</sup> ، وغير ذلك من كتب الفقه الشافعي ومختصراته وشروحه.

أما كتب المذهب المالكي التي درست في هذه الحلقات فهي : «المدونة» في فروع المالكية ، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي ( ت ١٩١ هـ / ٨٠٧ ) ، وهي من أجل الكتب في مذهب مالك <sup>(٦)</sup> ، و «مختصر ابن الحاجب» مختصر منتهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل <sup>(٧)</sup> و«الموطأ» و«الذخيرة» في فروع المالكية لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي ( ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ) <sup>(٨)</sup> و «مختصر خليل» مختصر خليل في فروع المالكية لخليل بن إسحاق الجندي ( ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ) <sup>(٩)</sup> ، وغيرها من الكتب المشهورة في المذهب المالكي .

وكتب الحنفية التي تناولها الفقهاء في هذه الحلقات فهي «مجمع البحرين» وملتقى النهرين في فروع الحنفية،

(١) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٩٢٩ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٠٦ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٦٢٨ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٧٨ .

(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ٢٠٠٥ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٤٤ .

(٧) لم يذكر حاجي خليفة من هو صاحب هذا المختصر .

خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٢٥ .

(٨) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٨٢٥ .

(٩) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٢٨ .

للإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب المعروف بابن الساعاتي البغدادي الحنفي ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م )<sup>(١)</sup> وكتاب « الكافي » في فروع الحنفية للحاكم الشهيد محمد بن محمد الحنفي ( ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م ) وهو كتاب معتمد في نقل المذهب<sup>(٢)</sup> و « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما في الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي ( ت ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م )<sup>(٣)</sup> و « مختصر الكرخي » في فروع الحنفية للإمام أبي الحسين عبد الله بن الحسين الكرخي ( ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م )<sup>(٤)</sup>.

ويأتي بعدها حلقات فقهاء الحنابلة الذين درّسوا كتب « الكافي في فروع الحنبلية » للشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ( ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م )<sup>(٥)</sup> و « مختصر الخرقى » في فروع الحنبلية للشيخ أبي القاسم عمر بن الحسين الحنبلي ( ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م )<sup>(٦)</sup> و « المقنع » في فروع الحنبلية لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي ( ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م )<sup>(٧)</sup>.

وفي علم الحديث بذل علماء الحجاز ومجاوريه جهوداً كبيرة ومضنية في سبيل نشر الحديث ، وعقدوا الكثير من الحلقات العلمية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، وحَدَّثُوا بالكثير من مروياتهم من كتب السنن الكبيرة ومن الأجزاء الصغيرة ، سواء كان ذلك من تأليفهم أو من مصنفات العلماء السابقين ، وساعد على تنشيط هذا العلم قدوم أشهر المحدثين في العالم الإسلامي إلى الحرمين الشريفين إما بهدف المجاورة أو لأداء فريضة الحج ، بالإضافة إلى الرحلات العلمية التي قام بها علماء الحجاز لطلب الحديث ، والتي أكسبتهم خبرات واسعة للنهضة بهذا العلم ، فهناك عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر التوزري المالكي ( ت

(١) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٥٩٩ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٣٧٨ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٥٦١ - ٥٦٧ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ٦٣٤ .

وجميع هذه الكتب مطبوعة ومتداولة .

(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٣٧٨ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٢٦ .

(٧) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٠٩ .

٧١٣هـ / ١٣١٣م<sup>(١)</sup> الذي كان من البارزين في القراءات وعلم الحديث وذكر التحيي أنه قرأ عليه « صحيح البخاري » من أوله إلى باب « حج الصبيان » بالحرم الشريف اتجاه الكعبة المشرفة وأجازه سائره<sup>(٢)</sup>، وأجازه « صحيح مسلم »<sup>(٣)</sup> وأخبره شفاهاً « بسنن أبي داود »<sup>(٤)</sup>، وذكر أيضاً أنه أجازه جميع مروياته<sup>(٥)</sup> وذكره اليافعي فقال : ( رأيت سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م يحدث في المسجد الحرام ، وحضرت شيئاً من الأحاديث المقروءة عليه )<sup>(٦)</sup> ، وكان التوزري يحدث في المسجد الحرام « بالموطأ » رواية يحيى بن يحيى ، و « صحيح مسلم » و « الشفا » للقاضي عياض « صحيح البخاري » و « جامع الترمذي » و « الشمائل » للترمذي<sup>(٧)</sup> و « الملخص للقابسي » وهو ملخص في الحديث لابن الحسن القابسي ( ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ) ، جمع فيه ما اتصل به إسناده من حديث مالك في الموطأ<sup>(٨)</sup> و « الثقيفيات » لأبي عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي ، مسند أصبهان ورئيسها شيخ السلفي ( ت ٤٨٩هـ /

(١) التحيي : مستفاد الرحلة والاعترا ب ، ص ٤١٥ .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ / ص ١٥٠٢ .

اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ / ص ٢٥٢ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤٣ .

(٢) التحيي : برنامج التحيي ، ص ٦٨ .

(٣) التحيي : برنامج التحيي ، ص ٨٨ .

(٤) التحيي : برنامج التحيي ، ص ٩٦ .

(٥) التحيي : مستفاد الرحلة والاعترا ب ، ص ٤٣٢ .

(٦) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ / ص ٢٥٣ .

(٧) شروحاته كثيرة ومطبوعة ومحققة .

بروكلمان ( كارل ) : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ، ومراجعة رمضان عبد التواب ، القاهرة — دائرة المعارف ، الطبعة الثانية ، ( د . ت ) ، ٣ / ١٩٢ .

المنجد ( صلاح الدين ) : معجم ما ألف عن الرسول ﷺ ، بيروت — دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ /

١٩٨٢م ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٨) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨١٨ .

بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ / ص ٢١٧ .

(١) ١٠٩٥ م) ، و « الخلعيات » تخريج القاضي أبي الحسين علي بن حسن بن حسين الخلعي الموصللي  
( ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ) (٢) ، و « الغيلانيات » وهي فوائد حديثية من رواية أبي طالب محمد بن محمد  
بن إبراهيم بن غيلان البزاز ( ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ) (٣) و « سنن أبي داود » وغيرها (٤) .  
كما شهد الحرم المكي من مدرسي الحديث إبراهيم بن محمد بن إبراهيم رضي الدين الطبري ( ت ٧٢٢ هـ /  
١٣٢٢ م ) حيث سمع « صحيح البخاري » كاملاً بالمسجد الحرام على الشيخين الجمال يعقوب بن أبي  
بكر الطبري ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) (٥) ، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم المعروف بابن العجمي ( ت  
٦٧٠ هـ / ١١٧١ م ) ، كما سمع « صحيح مسلم » على بعض العلماء بالمسجد الحرام وكان مع اتساعه  
في رواية الحديث له معرفة بالفقه والعربية ، وله عدة مؤلفات في الحديث حدّث بها في المسجد الحرام ، كما  
حدّث بأغلب الكتب المؤلفة في الحديث ، وسمع عليه الكثير من العلماء (٦) .  
كما تصدر للاشتغال في العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون  
( ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م ) الذي درّس وحدّث بالحرم النبوي الشريف أكثر من خمسين سنة ، وانفرد في

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ / ص ١٨ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٧٢٢ .

(٣) ( الكتاني ) محمد بن جعفر : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي

الكتاني ، بيروت - دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٨٧ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٢٩٦ ، ج ٢ / ص ١٩ ، ج ٣ / ص ١٦٦ ، ج ٣ / ص ١١٦ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٤٧٣ .

(٦) التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٣٨٠ .

اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٤ / ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤٢ .

التجيبي : برنامج التجيبي ، ص ٧٨ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ / ص ٥٤ .

ابن فهد : لحظ الألفاظ ، ص ١٠٠ .

آخر عمره بعلو الإسناد ، فلم يكن في المدينة أعلى سنّاً وسنداً منه <sup>(١)</sup> .  
ومن أكثر الكتب قراءةً في الحرمين الشريفين كتاب « الصحاح » للحافظ أبي علي سعيد بن عثمان بن  
السكن البغدادي البصري ( ت ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ) <sup>(٢)</sup> ، وكتب « السنن » <sup>(٣)</sup> و « الموطأ » في الحديث  
للإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني إمام الهجرة ( ت ١٧٩ هـ / ٧٩٦ م ) ، وهو كتاب قدّم  
مبارك قصد فيه جمع الصحيح <sup>(٤)</sup> ، والمسانيد والمعاجم ، وشاع في ذلك العصر كتب الأربعينيات ، ومن  
أشهرها « الأربعون النووية » للإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الدمشقي محيي الدين أبو  
زكريا ( ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ) <sup>(٥)</sup> ، و « الأربعون البلدنية » للإمام الحافظ الرحال وجيه الدين أبو  
المظفر بن سليم بن منصور الهمداني الشافعي ( ت ٦٧٧ هـ / ١٢٨٧ م ) <sup>(٦)</sup> ، و « الأربعون المختارة » في  
فضائل الحج والزيارة لمحمد بن يوسف بن موسى الأزدي الأندلسي الغرناطي المعروف بابن مسدي ( ت  
٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ) <sup>(٧)</sup> وغيرها .  
ومن الأجزاء التي كانت تدرّس في هذه الحلقات « جزء الغطريف » هو الجزء المنسوب إلى أبي أحمد محمد

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ / ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٠٧٥ .

(٣) السنن : لسعيد بن منصور الخرساني ( ت ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م ) .

ولأبي مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكحي البصري ( ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ) .

والإمام أبي بكر محمد بن يحيى الهمداني الفقيه الشافعي ( ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ) .

ولابن لال أحمد بن محمد بن علي الهمداني الشافعي ( ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م ) .

وليوسف بن يعقوب القاضي البغدادي ( ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م ) .

خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٠٠٧ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٩٠٨ .

(٥) المارديني ( بدر الدين محمد بن محمد ت ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م ) : شرح الفصول المهمة في موارث الأمة ، تحقيق :

أحمد بن سليمان بن يوسف العريني ، دار العاصمة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ج ١ / ص ٢١١ .

(٦) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ / ص ١٧٢ .

(٧) الزركلي : الأعلام ، ج ٧ / ص ١٤٩ - ١٥٠ .

بن أحمد بن الحسين بن الغطريف ( ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م )<sup>(١)</sup> ، و « جزء ابن عرفة » وهو الجزء المنسوب إلى الحسن بن علي بن عرفة العبدي البغدادي ( ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م )<sup>(٢)</sup> ، و « جزء البطاقة » أملاه حمزة بن محمد بن علي الكتاني ( ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م )<sup>(٣)</sup> ، و « جزء الأنصاري » لقاضي البصرة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن المنى الأنصاري ( ت ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م )<sup>(٤)</sup> و « جزء أبي الجهم » لأبي الجهم العلاء بن موسى بن عطية الباهلي البغدادي ( ت ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م )<sup>(٥)</sup> ، و « جزء ابن فارس » هو جزء من أمالي الحديث التي أملاها يوسف بن القاسم بن يوسف بن فارس ، المعروف بالمياجي ( ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م )<sup>(٦)</sup> ، و « جزء البانياسي » لأبو عبد الله مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم المالكي ابن الفراء ( ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م )<sup>(٧)</sup> وغيرها من الأجزاء .

أما نشاط حلقات اللغة العربية ، فقد اهتم بها معظم علماء الحجاز ومجاوريه ، حيث كانت علوم اللغة العربية تدرس ضمن حلقات ، كما كان بالحرم المكي والمسجد النبوي حلقات خصصت لتدريس علوم اللغة العربية من لغة ونحو وصرف وشعر بالإضافة إلى المعاني ، ولا يكاد يخلو عالم أو فقيه من اهتمام بالنحو ، وبلغ اهتمامهم باللغة والنحو حفظ أمهات الكتب وبخاصة المختصرات المشهورة التي بدأت تظهر في هذا العصر ، كما كان لمحمد بن فرحون بن فرحون ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) حلقة في النحو بالمسجد النبوي<sup>(٨)</sup> وخلفه ولده علي ( ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ) الذي لزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ / ص ١٢٠ .

(٢) الكتاني: الرسالة المستطرفة ، ص ٨٧ .

(٣) الكتاني: الرسالة المستطرفة ، ص ٨٧ .

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ / ص ٢٧٢ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مصدر سابق ، ١٠ / ٥٢٥ .

(٦) كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٣ / ص ٣٢٣ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٨ / ص ٥٢٧ .

(٨) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٧١٠ .

النبوي<sup>(١)</sup>، أما الكتب التي تدرّس في الحلقات فهي «الكافية الشافية» في النحو لابن مالك محمد بن عبد الله النحوي المتوفى ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م<sup>(٢)</sup>، و«المفصل» في النحو للعلامة جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى ٥٣٨هـ / ١١٤٤م<sup>(٣)</sup>، و«الألفية» في النحو للشيخ العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجبائي المعروف بابن مالك النحوي المتوفى ٦٧٢هـ / ٢٧٤م، سماها الألفية لأن فيها ألف بيت من الرجز<sup>(٤)</sup>، و«البردة» قصيدة للشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي البوصيري المتوفى ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م، وهي مئة وستون بيتاً<sup>(٥)</sup>، و«التسهيل» وهو تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك النحوي المتوفى ٦٧٢هـ / ٢٧٤م، وهو كتاب جامع لمسائل النحو بحيث لم يترك مسألة من مسائله وقواعده لذلك اعتنى العلماء بشأنه<sup>(٦)</sup> و«المقدمة الآجرومية» في النحو لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم ومعناه الفقير الصوفي المتوفى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، ألفها في مكة المكرمة، وهي مقدمة نافعة للمبتدئين<sup>(٧)</sup>، وغيرها من كتب اللغة العربية ومختصراتها وشروحاتها.

أما العلوم العقلية فلم تذكر المصادر وكتب التراجم في ذلك العصر حلقات خاصة لعلماء العلوم العقلية وإنما ذكرت المصادر أنهم درّسوا بمكة والمدينة، وكانت لهم دروس، ولا شك أن هذه الدروس كانت بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، خصوصاً أن هؤلاء العلماء لم يعرف عنهم أنهم درّسوا بالدروس المخصصة أو المدارس في الحرمين الشريفين، لذا كانت هذه الحلقات أقل الحلقات اشتغالاً ومنشطاً، و

(١) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج ٢ / ص ١٢٦.

(٢) خليفة: كشف الظنون، ج ٢ / ص ١٣٦٩.

(٣) خليفة: كشف الظنون، ج ٢ / ص ١٧٧٦.

(٤) خليفة: كشف الظنون، ج ٢ / ص ١٨٥.

(٥) خليفة: كشف الظنون، ج ٢ / ص ١٣٣١.

(٦) خليفة: كشف الظنون، ج ١ / ص ٤٠٦.

(٧) خليفة: كشف الظنون، ج ٢ / ص ١٧٩٧.

كانت تدرّس ضمن حلقات العلم الأخرى .

### ثانياً : المدارس <sup>(١)</sup> :

مكة المكرمة أول مركز علمي إسلامي لكونها مهبط الوحي ، وانبعث نور الهداية، فأول آية نزلت على الرسول ﷺ تدعو إلى العلم ، إذ قال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقد سلف القول أن الرسول الكريم ﷺ علّم أوائل المسلمين تعاليم الدين الحنيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي تعد أول مدرسة علمية في الإسلام ، وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وبناء المسجد النبوي الذي أصبح ثاني مدرسة لنشر العلم ، وهكذا اكتسبت مكة المكرمة والمدينة المنورة أهمية علمية إلى جانب الأهمية الدينية <sup>(٣)</sup> .

ولم تظهر المدارس النظامية في الحجاز إلا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي متأخرة عن المراكز الحضارية الأخرى بما يزيد على نصف قرن ، وبعد ذلك التاريخ تسابق السلاطين والأمراء والميسورين من العلماء في إنشاء المدارس ، فتعددت وزادت العناية بها ، وقد شغلت هذه المدارس دوراً اجتماعياً بارزاً بالإضافة إلى دورها العلمي ، حيث كانت ملجأً للمرتادين والمعوزين ، فكانت الغذاء الروحي والمادي والعلمي والمأوى للمنقطع والعالم والعابد والمعوز ، حيث تلقى بها الدروس العلمية ، وما كان يتقاضاه المدرسين والطلبة وبقية العاملين بها من رواتب نقدية وعينية ، وبفضل ما أوقفه

---

<sup>(١)</sup> المدارس والمدرّس : الموضوع الذي يُدرّس فيه ، والمدرّس الكتاب ، والمدارس الذي يقرأ الكتب ويُدْرَسها ، ودرس الكتاب ، يدرسه درساً ودراسة : انقاد لحفظه ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ( الأنعام آية ١٠٥ ) ، بمعنى تعلّمت وعلمت أو أقرأت ، وفي الحديث : ( وتدارسوا القرآن ) أي أقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه .

ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ / ص ٧٩ - ٨٠ .

<sup>(٢)</sup> سورة العلق : من آية ١ إلى آية ٥ .

<sup>(٣)</sup> عبد الله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٣٦ - ٣٧ .

مؤسسوها من أوقاف كانت تقدم المأوى والزاد للمعوزين والمنقطعين <sup>(١)</sup> .

وقد كان وجود العلماء والفقهاء والقضاة والمجاورين في الحجاز في هذا العصر بأعداد كبيرة ، و تعمقهم في مختلف الدراسات العقائدية والاجتماعية كان ذلك عاملاً مشجعاً لأصحاب السلطة ومحبي العلم والتعليم والمقتردين لإنشاء المدارس .

ومما شجع أيضاً إنشاء المدارس تأييد المذهب الذي يتبعه السلطان أو الأمير <sup>(٢)</sup> ، وبفضل نظام الوقف استطاعت هذه المدارس تأدية وظائفها التعليمية بانتظام ، وكان المدرسون يُختارون بعناية كبيرة ، ويتم تعيينهم من قبل الواقف ، ويلحظ ارتباط هذه المدارس بالمذاهب الإسلامية الأربعة ، فيخصص بعضها للفقهاء الشافعية وبعضها للفقهاء المالكية ، وبعضها للحنفية ، وبعضها للحنبلية .

إلى جانب ذلك كانت تضم هذه المدارس خزائن بما أمت الكتب في مختلف العلوم ، واحتوت بعض المدارس على كتب تكون من جملة الموقوف للتعليم في هذه المدارس ، كالمدارس الشراعية التي ضمت الكثير من الكتب ، وساعدت على إحياء الحركة العلمية عند الدارسين والمدرسين على حد سواء <sup>(٣)</sup> ، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المدارس كانت تؤدي وظائف اجتماعية مهمة ، فكانت في بعض الأحيان داراً للقضاء يفصل فيها بين القضايا التي تحدث بين العلماء والأعيان وغيرهم <sup>(٤)</sup> ، كما كانت مكاناً لانعقاد الصلح بين الأطراف المتنازعة ، وبخاصة أمراء مكة الأشراف <sup>(٥)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> طرخان ( إبراهيم ) : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

<sup>(٢)</sup> الحجي ( حياة نصر ) : السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، مع تحقيق ودراسة وثيقة ، وقف سرياقوس ، الكويت - مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٠٦ .

<sup>(٣)</sup> النهروالي : الأعلام ، ص ١٧٧ .

<sup>(٤)</sup> ابن فهد ( العز عبد العزيز بن عمر ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ) : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار ام القرى ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٧٣ تاريخ عن مكتبة الحرم المكي برقم ١ تاريخ ، ورقة ٧ ب .

<sup>(٥)</sup> ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

أما نظام التعليم في هذه المدارس فكان يسير على النهج الذي يراه المتبرع أو الواقف بإنشاء المدرسة ، فكان يقرر ما يراه للتدريس بها ، ويعيّن المدرسين والطلبة بها وفقاً لأحد المذاهب الأربعة ، كما كان يختار العلوم التي يدرس بها <sup>(١)</sup> .

كما أن نظام المتبع للتعليم بالمدارس لم تبينه المصادر ، ولكن هذه المصادر وبخاصة كتب التراجم اكتفت بوصف موجز لهذه المدارس ، يعثر الباحث في غضون هذه الأوصاف على عبارات تدل دلالة قريبة أو بعيدة على شيء من هذا النظام أو على شيء من مراتب العلماء ، فتذكر بعض المصادر عن أحد العلماء أنه ( تولى التدريس ) بإحدى المدارس على مذهبي مالك أو الشافعي ، وأن آخر ( تصدر للإقراء ) أي إقراء مذهب مالك أو الشافعي ، وأن ثالثاً كان يتولى الإعادة وهكذا ... ، وتدلل هذه النصوص على أن وظائف التعليم بهذه المدارس كان يعهد بها إلى معلمين على طبقات ثلاث : طبقة لها الصدارة وهي الطبقة التي يشغل فيها الأستاذ ( وظيفة الصدر ) لإقراء مذهب معين من مذاهب الفقه ، وطبقة تأتي بعد ذلك — طبقة المدرسين — وهم الذي يعينهم الصدر في شرح مادته ، ثم طبقة المعيدين ، وعددهم في المدارس أكثر من عدد غيرهم في الغالب .

ولا شك أن ثقافة القائمين على هذه المدارس ثقافة إسلامية خالصة ، فالفقه والحديث كانا يحتلان المكان الأول في هذه الثقافة ، فقد كان كثير من علماء الحجاز ومجاوريه عارفين كل المعرفة بهذه الثقافة الدينية ، مشهورين في كل مادة من موادها ، أو في المواد كلها متى أمكن ذلك ، وقد كان النحو والبلاغة ضرورة لدراسة الفقه فلا يكاد يمر ذكر فقيه إلا ويذكر أنه سمع شيء من النحو .

أما العلوم التي كانت تدرّس في هذه المدارس هي العلوم الدينية كتفسير القرآن وعلوم القراءات والفقه وأصوله والحديث وعلومه ، واللغة العربية بصرفها ونحوها ، مع شيء من الاهتمام بعلوم البلاغة والفلك والحساب ، والسؤال الذي يطرح نفسه ، لماذا كثر بناء المدارس ؟ ولماذا أوقفت الأوقاف الكثيرة عليها ؟ ولماذا كانت علوم الدين تدرس فيها دون غيرها من العلوم ؟ وهل المناهج التي تدرس بها تتعلق بالحالة السياسية السائدة ؟ بمعنى أنها تتعلق بالدروس الجهادية .

---

(١) ابن فهد : تحاف الوري ، ج ٤ / ص ٦٣ - ٦٤ .

وقد كان لمدارس مكة سمعتها العلمية الرائعة ، ليس في الحجاز فحسب بل خارجه أيضاً ، فالكثير من أفاضل علماء العصر درّس في هذه المدارس التي كانت تجذب بسمعتهم الكثير من التلامذة من الحجاز وغيره ، وأهم هذه المدارس التي سبق تعدادها في فصل سابق :

#### ١ - مدرسة الزنجبيلي :

أسسها الأمير فخر الدين عثمان بن علي المعروف بالزنجبيلي نائب صلاح الدين الأيوبي في عدن سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م<sup>(١)</sup> ، ووقفها على أتباع المذهب الحنفي ، وموقعها عند باب العمرة ، كما بنى بمكة رباطاً وسبيلاً ، وأوقف للمدرسة والرباط أوقاف كثيرة بعدن ، وتعرف هذه المدرسة أيضاً بدار السلسلة<sup>(٢)</sup> ، وذكر الفاسي أنها أصبحت بيد بعض الأشراف من أولاد أمراء مكة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٤ - ٣٥ .

ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

النعمي : المدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ / ص ٤٠٤ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٦ - ٤٧ .

معروف : مدارس مكة ، ص ١٠ - ١١ .

معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٧ - ١١٩ ، ج ٦ / ص ٣٥ .

ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ج ٢ / ص ٥٤٩ .

الفاسي : الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ٦٧ .

أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : محمد حلمي ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج ٢ / ص ٢٦ .

معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٨ .

معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٥ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

ومن دُرِّس بهذه المدرسة: أبو الوفاء صديق بن يوسف بن قريش الحنفي (المولود سنة ٥٧٣هـ / ١١٤٢م)<sup>(١)</sup> وأحمد بن علي بن يوسف السجزي الحنفي (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦١م) إمام مقام الحنفية بالحرم الشريف<sup>(٢)</sup>، وتعدُّ هذه المدرسة من المدارس التي أدت مهمتها العلمية فترة طويلة تقترب من ثلاثة قرون .

## ٢ - مدرسة طاب الزمان الحبشية :

تنسب إلى عتيقة الخليفة المستضيء العباسي ، وتسمى هذه المدرسة بدار زبيدة ، وقد أوقفها سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ، على عشرة من فقهاء الشافعية<sup>(٣)</sup> .

وقد دُرِّس بها الشيخ قطب الدين أبو بكر القسطلاني الشافعي ( ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م ) بحضور والده<sup>(٤)</sup>، ويذكر الفاسي أن يوسف بن أبي بكر يحيى بن أبي الفتح بن عمر السجستاني ( كان حياً سنة ٦٤٥هـ /

---

(١) يعد من العلماء المشهورين في ذلك العصر ، فقد أخذ عن الحافظ ابن طاهر السلفي ، ومن أبي القاسم البوصيري بمصر ، واستوطن الديار المصرية مدة ، وولي بها الحسبة ، ثم حج إلى مكة ، ودُرِّس بالمدرسة المذكورة .

الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٣٩ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٧ .

(٢) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ١١١ - ١١٢ .

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق:

محمد محمد أمين ، ١٩٨٤م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ١ / ص ٤٠٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٧ - ١١٨ و ج ٨ / ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، وذكر أنه لا يعلم متى توفيت .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٢ / ص ٥٥٣ .

معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٩ .

معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٧ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٢ .

(٤) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

١٢٤٧ م ) ، إمام الحنفية بالمسجد الحرام ، سمع من والده « تاريخ مكة » للأزقي في دار زبيدة بمكة <sup>(١)</sup> مما يعني أن هذه المدرسة كانت تعتني بتدريس الفقه والتاريخ ، بالإضافة إلى أنها لم تتقيد بالوقف ، حيث درّس بها أتباع المذهب الحنفي .

### ٣ - مدرسة الأرسوفي

نسبة إلى عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بعفيف الدين الأرسوفي التاجر العسقلاني <sup>(٢)</sup> ، وتقع هذه المدرسة بالقرب من باب العمرة بأسفل مكة إلى جهة الشبيكة ، ولم يعرف تقي الدين الفاسي متى أوقفت ولكنه قال : ( ألا أن لها أزيد من مئتي سنة ، ولعله وقفها في تاريخ وقف رباطه الذي بقربها المعروف برباط أبي رقية لسكنائه به ، ويقال له رباط العفيف الذي أوقفه سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ) <sup>(٣)</sup> .  
أما عمن درّس بهذه المدرسة فلم تذكر المصادر إلا ما ذكره الفاسي في ترجمة ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم المصري الشافعي العطار بمكة ( ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ) الذي كان معيداً بهذه المدرسة <sup>(٤)</sup> .

### ٤ - مدرسة النهاوندي :

ذكرها تقي الدين الفاسي فقال : ( مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له بالدريّة ، ولها نحو مائتي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) كان مهتماً بالعلم والتعليم ، وكانت له مدرسة بمصر بناها سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وقد توفي سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٠ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٨ .

الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ / ص ٢٣٠ .

الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٨ .

معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

معروف : مدارس مكة ، ص ٩ - ١٠ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ / ص ٣١٦ - ٣١٧ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٦ .

سنة فيما أحسب والله أعلم ( <sup>(١)</sup> ) ، ويعني ذلك أنها أنشئت في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بين سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م وسنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م .

#### ٥ - مدرسة ابن أبي زكريا:

سميت بذلك نسبة إلى علي ابن أبي زكريا ، وقد ذكرها الفاسي فقال عنها : ( تقع قرب المدرسة المجاهدية ، في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام وتعرف بأبي طاهر المؤذن وتاريخ وقفها سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ) <sup>(٢)</sup> .

#### ٦ - مدرسة ابن الحداد المهدوي :

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٨ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ / ص ٣٣٠ .  
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٧ .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٩ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .  
المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢١ .  
مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٢ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٨ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ / ص ٣٣٠ .  
الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٨ .  
النهرولي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ١٧٧ .  
الصباغ ( محمد بن أحمد بن سالم بن محمد ) : تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام والمشاعر العظام ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٢١٧ تاريخ ، ورقة ١٨٩ ب .  
ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٥٤ .  
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٩ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١١ .  
المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢١ .  
مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٢ .  
نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .

بناها عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدي ، المعروف بابن الحداد <sup>(١)</sup> ، وتاريخ وقفها سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ، وعرفت فيما بعد بمدرسة الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتقع بالقرب من الشبيكة ، وأوقفت على طلاب المذهب المالكي <sup>(٢)</sup> ، وقد درّس بها إمام المالكيين بالحرم أبو البركات القسطلاني ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ) <sup>(٣)</sup> ، الذي كام مشهوراً بتدريس الحديث والفقه <sup>(٤)</sup> ، كما كانت هذه المدرسة تحتوي على سكن للعلماء والمجاورين ، حيث سكن بها محمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي ( ت ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ) <sup>(٥)</sup> ، وظلت هذه المدرسة تؤدي عملها العلمي حتى استولى عليها الأشراف الأدارسة ، وأصبحت تعرف باسمهم <sup>(٦)</sup> .

#### ٧ - المدرسة المنصورية :

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٥ / ص ٣٣٥ . لم يذكر الفاسي المكي متى توفي .  
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٨ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٠ .  
الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٩٠ أ .  
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣٠٩ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٢ .  
المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢١ .  
مالك : بلاد الحجاز ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .  
نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٢ .  
(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٢٣٠ .  
المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢١ - ١٢٢ .  
(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٢٣٠ .  
(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ٤٥٤ .  
(٦) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ٣٣٥ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٢ .

أمر بإنشائها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن<sup>(١)</sup>، بالجانب الغربي من المسجد الحرام في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ، وكانت ملاصقة لمدرسة الزنجبيلي<sup>(٢)</sup>، مقابل مدرسة طاب الزمان الحبشية<sup>(٣)</sup> وأوقفها على الفقهاء الشافعية، وتولى عمارتها الأمير فخر الدين الشلاح نائب السلطان بمكة<sup>(٤)</sup>، وتسمى أيضاً بالمدرسة النورية نسبة إلى نور الدين لقب الملك المنصور<sup>(٥)</sup>، وتسمى أيضاً المظفرية نسبة إلى ولده المظفر يوسف بن علي لأنه عمل بها درس الحديث<sup>(٦)</sup>، وجعل في هذه المدرسة مدرساً ومعيداً وإماماً

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ / ص ٣٣٩ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٤٤ - ٨٨ .  
نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٠ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٧ .  
الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٧ .  
ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٦٠ .  
الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٨٩ ب .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣١٠ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٢ - ١٣ .  
(٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٨٩ ب .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣١١ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٣ .  
(٤) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٦٠ .  
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٨ / ص ١٧٥ .  
معروف : المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ص ٣١٠ .  
معروف : مدارس مكة ، ص ١٢ .  
مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٣ .  
(٥) الميروي ( أحمد بن علي بن أبي بكر ) : بحجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج ، كتاب ملحق بمخطوط : الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم ، لابن حجر الهيتمي ، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ورقة ١٢٩ .  
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٢٣١ .  
(٦) الفاسي المكي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ١١٧ .  
الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٧ . =

ومؤذناً ومقيماً ومعلماً ، وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ووقف على الجميع أوقافاً تقوم بكفائتهم جميعاً<sup>(١)</sup> ، ويقال : إن الخليفة العباسي المستنصر أمر بإنشاء مكتبة في هذه المدرسة سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، وأرسل الأموال من بغداد لأجل ذلك ، وعندما جاء الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول هو زوجته لأداء فريضة الحج سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م أقام بها فترة الحج ، وفي هذه السنة أمرت زوجته بحفر بئر للانتفاع بها في سقيا من ينزل بها من العلماء والطلبة والحجاج<sup>(٢)</sup> .

وكان لهذه المدرسة أثر كبير في تدريس العلوم الشرعية حيث حدثت بها علماء ومحدثون كبار من مكة المكرمة وخارجها ، فقد حدث بها جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر السلمي الصقلي البجائي ( ت ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م ) ، وسمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي<sup>(٣)</sup> ، وقد تولى تدريس الحديث بها محمد ابن عمر بن محمد ضياء الدين القسطلاني ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ) لأن درس الفقه كان على مذهب الإمام الشافعي<sup>(٤)</sup> ، والإمام محب الدين الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) الذي حظي بمكانة كبيرة لدى الملك المظفر ، وكان يحسن إليه كثيراً ورتب له كل شهر خمسين ديناراً لقاء تدريسه بهذه المدرسة<sup>(٥)</sup> ، ومن الكتب الذي كان يحدث بها كتاب « المسلك النبیه في تسليک التنبيه »<sup>(٦)</sup> ، وخلفه في التدريس بها ابنه الجمال ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م )<sup>(٧)</sup> ، والشيخ أمين الدين بن قطب الدين القسطلاني ( ت ٧٠٤ هـ /

= نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٠ .

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٨٤ .

الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٠ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٦٠ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ / ص ٨٤ .

الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٨٩ ب .

(٣) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٤٢٦ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٢٣١ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٦٥ .

(٦) المبروقي : بهجة المهج ، ورقة ١٢٩ .

(٧) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ١ / ص ٢٩٥ .

١٣٠٤ م) الذي كان شيخ الحديث بها <sup>(١)</sup> ، وولي تدريس الحديث بها أيضاً : أحمد بن عبد العزيز ابن القاسم النويري ( ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م ) <sup>(٢)</sup> ، ومن سكن بهذه المدرسة الرحالة ابن بطوطة <sup>(٣)</sup> . وهكذا يتبين من خلال هذه التراجم أن هذه المدرسة كان لها أثر كبير في تدريس العلوم الشرعية وبخاصة علم الفقه والحديث .

#### ٨ - المدرسة الشرايية : <sup>(٤)</sup>

أسسها الأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشراي <sup>(٥)</sup> أحد مماليك الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ، وتقع شرق المسجد الحرام على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام <sup>(٦)</sup> . وذكر النهروالي أنه : ( أوقف بها كتباً كثيرة تفرقت شذر مذر ، والمدرسة باقية إلى الآن ، وقد صارت رباطاً بعد ذلك ، وفيها محل للتدريس ، وأوقف بها أهل الخير كتباً كثيرة ) <sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٢ / ص ٢٧٨ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ / ص ٧٩ .  
السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١٨٦ .  
(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٤٨ .  
مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٩٣ .  
(٤) لم يذكرها الفاسي بل ذكر أنه بنى رباطاً . الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣١ . وكذلك ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٦٠ .  
(٥) له بمكة مآثر كثيرة ، توفي سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م ببغداد .  
الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .  
(٦) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ١٧٧ .  
الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٣٣ - ورقة ٣٤ .  
ابن الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٥٦ أ - ورقة ١٥٦ ب .  
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١١٩ .  
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ .  
المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢٢ .  
(٧) النهروالي : الإعلام ، ص ١٧٧ .

واستمرت هذه المدرسة تبذل العطاء للطلبة حتى القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي <sup>(١)</sup> .  
أما المدينة المنورة فلم تعرف القدر الكبير من المدارس حتى أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر  
الميلادي وهي :

#### ١ - المدرسة الشيرازية :

لم يعرف منشئها ولا تاريخ ابتداء عمارتها ، ولكنها كانت قائمة بين عامي ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م و ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م ، يتبين هذا من ترجمة السخاوي لإبراهيم الرومي ( ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م ) حيث ينقل عن ابن فرحون قوله : ( إبراهيم الرومي الأصل نزيل المدينة ، ويعرف بالعريان ، أصله من الروم ، وقدم المدينة ، فأقام بها أزيد من خمسين سنة بالمدرسة الشيرازية ، على قدم التجرد في وسطه بلاس ، وعلى رأسه قيع صوف ، ودام كذلك حتى اشتهر بين الناس وأهل البلاد ) ، وله في المدينة آثار حسنة أكثرها في مدرسة سكنه ، ولولاه لسقطت طباقها ، فإنه أقام أساطينها حتى حملت السقف والرواشين ، بل كانت محترمة في أيامه فلا يدخلها ولا يسكنها إلا الصلحاء والأخيار ، واشترى نخلاً ووقفه واجتهد في عمارته بنفسه وماله <sup>(٢)</sup> ، وبما أن إبراهيم المذكور توفي سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م ، وأنه سكن المدرسة الشيرازية أكثر من خمسين سنة فهذا يعني أنه ابتداء إقامته بها حوالي سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م .

#### ٢ - المدرسة الجوبانية :

بناها في المدينة المنورة سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م جويان بن تداون أبو سعيد بن خريندا ( ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م ) ، وليس بالمدينة مدرسة ولا رباط ولا دار أحسن بناءاً منها <sup>(٣)</sup> .  
وخلاصة القول أن هذه المدارس عنيت بالعلوم الشرعية عناية فائقة ، حيث كان الشغل الشاغل لهذه

<sup>(١)</sup> المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢٣ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤٨ - ٤٩ .

<sup>(٢)</sup> السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١٥٤ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٢٩ .

<sup>(٣)</sup> السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ١٣٠ .

المدارس تدريس تلك العلوم ، وكانت تدرّس الفقه على واحد أو أكثر من المذاهب الأربعة كمدارس بني رسول التي اعتنت بتدريس الحديث الشريف وفقه المذهب الشافعي ، مما أدى إلى عدم التركيز على العلوم الأخرى ، ففي الوقت الذي وجد في مدينة دمشق ثلاث مدارس للطب لم يوجد في الفترة ذاتها في الحجاز مدرسة واحدة للطب ، كما كان عدد المدارس قليلاً في الحجاز بالمقارنة مع باقي حواضر العالم الإسلامي كدمشق التي عرفت خلال العصر المملوكي ما يزيد على ستين مدرسة .

### ثالثاً : الكتاتيب <sup>(١)</sup> :

يعد الكتاب من أقدم مؤسسات التعليم عند المسلمين وأسبقها وجوداً في العالم الإسلامي منذ العهد النبوي ، لتقوم بتربية صغار المتعلمين ، ولقد كان له دوراً في الحركة التعليمية والثقافية في بلاد الحجاز ، ولكن انتشاره والتوسع فيه تمّ على رأي بعض الباحثين عندما قطع المسمون في الفتوحات أشواطاً كبيرة ، وبعد الاتصال بغيرهم من الأمم <sup>(٢)</sup> ، إذ نشأت الحاجة إلى نشوء الدواوين كي تنظم إدارة الدولة على أسس سليمة وبالتالي احتاجت إلى أعداد كبيرة ممن يعرف القراءة والكتابة للقيام بمهام الدولة <sup>(٣)</sup> ، فضلاً عن الحاجة إلى المتفقهين بأمر الدين .

وفي الكتاب يتم تعليم الكتابة والقراءة وشيء من مبادئ العلوم الدينية واللغة وقصص الأنبياء ، فقد ظهرت في المجتمع الإسلامي أنواع متعددة من الكتاتيب ، فهناك كتاتيب تعني بمبادئ القراءة والكتابة وأخرى لا تعلم إلا الخط ، وفئة ثالثة معنية بتعليم القرآن الكريم ، ومما يؤكد ذلك قول ابن بطوطة : ( ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها ، ولا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً له ، فينصرف

---

(١) الكتاتيب : مفرداً كُتِّبَ : وكتب الرجل وأكْتَبَهُ كِتَاباً : علمه الكتاب ، ورجل مُكْتَبٌ : له أجزاء تُكْتَبُ من عنده ، والمُكْتَبُ : المعلم الذي يعلم الكتابة ، والمُكْتَبُ : موضع الكُتَّاب ، والمكتب والكُتَّاب : موضع تعليم الكُتَّاب ، والجمع : الكتاتيب والمكاتب .

ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ / ص ٦٩٩ .

(٢) فهمي ( أسماء ) : مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٣٨ .

الصبي من التعليم إلى الكتاتيب لأن معلم الخط لا يعلم غيره (١)، وقد تحدد مفهوم الكتّاب إذ أصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان ، ويرى بعض الباحثين أن الكتّاب نشأ مع نشوء المسجد (٢)، والغاية من إقامة هذه الكتاتيب تحفيظ السور القصار من القرآن الكريم وعرضها وكتابتها ، فضلاً عن معرفة الخط والاستخراج والضبط والفهم للمسائل ، وبعض متون الأحاديث وعقائد السنن ، وأصول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات والأشعار (٣)، وقد وجد الكتّاب جنباً إلى جنب مع المسجد ، وأسهم في نشر نور العلم والمعرفة ، وكان كثيراً من المعلمين بالحرمين الشريفين يتخذون من زوايا المسجد الحرام والمسجد النبوي وأطرافها مكاناً لمكاتبهم ، وهذا يتضح من حديث الفاسي عن أحمد بن أبي الخير القسطلاني (٤) إذ يقول : ( وجوّد الكتابة ، وصار يكتب الوثائق . . . مع تأديبه للأطفال تحت مئذنة باب علي ) (٥)، كما كانت بعض هذه الكتاتيب ملحقة بالمدارس .

ومن خلال دراسة مصادر ومراجع هذا البحث تبين إغفال المؤرخين لذكر أسماء أولئك الكتّاب وأماكن مكاتبهم خلال فترة هذه الدراسة ، في حين أنهم أوردوا معلومات كثيرة عنهم في القرون اللاحقة أي خلال العصر المملوكي ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وجود الكتاتيب مع إهمال المؤرخين لهم .

(١) عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٣٩ .

(٢) الحسيني ( عبد العزيز محمد ) : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، الكويت - وكالة المطبوعات ١٩٧٣م ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) ابن مسكويه ( أبو علي أحمد بن محمد ) : تهذيب الأخلاق ، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٥١ - ٥٥ .

الشييزي ( عبد الرحمن بن نصر ) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، بيروت - دار الثقافة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٠٣ .

ابن الأخوة ( ضياء الدين محمد ) : معالم القرية في أحكام الحسبة ، نشر روبن ليفي ، كمبردج ١٩٣٨م ، ص ١٧٠ .  
(٤) أحمد بن أبي الخير محمد بن حسين بن الزين محمد بن الأمين محمد بن القطب بن أبي العباس القسطلاني ( ت ٨٠٣هـ / ١٤٠١م .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٣٦ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٣٦ .

عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٤١ .

#### ٤ - الربط <sup>(١)</sup> :

كانت الأريطة في أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المجاهدون للتعبد ، والاستعداد للجهاد ، والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على بلادهم <sup>(٢)</sup> ، وقد اشتق اسمها من الآية الكريمة : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وكذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ثم أصبحت الأريطة مجرد مأوى يقيم بها الفقراء والمتصوفة المنقطعون للعبادة ، وهذا هو النوع من الأريطة الذي كان موجوداً في الحجاز خلال العصرين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وخاصة خلال العصر المملوكي حيث انتشر التصوف في الدولة المملوكية ، وأطلق الصوفية <sup>(٥)</sup> على أنفسهم اسم ( الفقراء ) <sup>(٦)</sup> ، ويتضح ذلك من اشتراط وقفية الرباط على الفقراء والمنقطعين .

وبانتشار التصوف زاد عدد البيوت التي خصصت للصوفية التي أطلق عليها خوانق وربطاً وزوايا <sup>(٧)</sup> . وفي الحجاز كان هناك الكثير من الأريطة ويتبين ذلك من خلال ذكر تقي الدين الفاسي أكثر من خمسة عشر رباطاً كانت موجودة بمكة حتى نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي <sup>(٨)</sup> .

---

(١) الرباط : من ربط ، والمرابطة : ملازمة ثغر العدو ، وأصله : أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً ، والرباط في الأصل : الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، والرباط هو أحد الأبنية. ابن منظور : لسان العرب ، ج ٧ / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) الباشا ( حسن ) : المدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٩٠م ، ص ١٣٣ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

(٤) سورة آل عمران: آية ٢٠٠ .

(٥) لمزيد من المعلومات انظر نقد مسالك الصوفية : ابن الجوزي ( جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ) : تلبس إبليس ، بيروت - دار الفكر ( د . ت ) ، ص ١٦١ - ١٦٨ .

(٦) ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ١٦١ .

(٧) عاشور ( سعيد عبد الفتاح ) : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، النهضة العربية ١٩٦٢م ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٨) الفاسي المكي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٠ - ٣٣٦ .

وكان أهل مكة حتى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي يستقبلون الحجاج في دورهم من غير أجر ، فلما ضعفت الخلافة العباسية وقلّت الأعطيات التي كانت ترسل من قبل الخلفاء إليهم بدأوا يطلبون أجراً عن سكن الحجاج في دورهم ، مما دفع أثرياء المسلمين من تجار ووزراء وسلاطين إلى بناء أربطة في مكة ليقيم فيها فقراء الحجاج والفقراء من أهلها <sup>(١)</sup> .

وقد أشار الرحّالة المسلمون إلى هذه الأربطة وأثرها المهم في الحياة الاجتماعية لسكان الحرمين الشريفين ، حيث عملت هذه الأربطة على توفير وسائل الراحة لطلاب العلم الوافدين إلى الحرمين الشريفين من البلاد الإسلامية ، وللفقهاء والمجاورين في مكة والمدينة المنورة ، وكان هؤلاء المجاورون يجدون في هذه الأربطة راحة لهم ، مما شجعهم على زيادة نشر العلوم والثقافة .

بالإضافة إلى ما تقدمه الأربطة من راحة للطلاب والمجاورين ، كان الحجاج يجدون فيها مأوى لهم حيث يسكنون فيها ، وتقدم لهم المأكل والمشرب ، كما ضمت هذه الأربطة مساكن لسكن المجاورين <sup>(٢)</sup> ، وكل رباط مقسم إلى غرف ، وكذلك يضم الرباط بئراً يمد الساكنين بالماء <sup>(٣)</sup> ، ومطبخاً لتقديم الأطعمة لساكنيها ، ولذلك كان لها أكبر الأثر في زيادة عدد الوافدين إلى مكة والمدينة ، وكان لها الفضل في رفع المستوى العلمي والثقافي بسبب ما تقدمه من خدمات طبية لساكنيها ، فتسابق طلاب العلم إلى السكن فيها ، خاصة بعد أن أوقفت عليها أوقافاً كثيرة من قبل السلاطين والأغنياء وغيرهم ، كما حظيت هذه الأربطة برعاية أهل الحجاز ، فقد كان أهل الطائف على سبيل المثال يخرجون العشر من منتجات بساكنيهم لرباط ربيع بمكة <sup>(٤)</sup> .

أما بالنسبة إلى إدارة شؤون الأربطة ، فقد كانت في يد أحد ساكنيها المجاورين ممن يطلق عليه شيخ

---

<sup>(١)</sup> المالكي ( سليمان عبد الغني ) : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من

الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٢٩ - ١٣٨ .

<sup>(٢)</sup> ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٤٠ - ١٥٤ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ١٣٧ .

<sup>(٣)</sup> الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٤٠ .

<sup>(٤)</sup> ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٥٤ .

الرباط<sup>(١)</sup> ، إضافة إلى شيخ يتولى النظر في الأربطة كلها ويتفقددها ، كعز الدين يوسف الزرندي<sup>(٢)</sup> الذي تولى مشيخة الربط بالمدينة المنورة ، وتولى تعمير رباط<sup>(٣)</sup> الأصبهاني<sup>(٤)</sup> ، وكانت الإدارة العليا لهذه الأربطة بيد قاضي الحرمين الشريفين ، الذي كان من ضمن اختصاصه نظر المسجد والأوقاف والربط<sup>(٥)</sup> . كما احتوت بعض هذه الأربطة على مدافن للموتى ، إذ يذكر ابن كثير : ( أن جمال الدين محمد الأصبهاني وزير زنكي ، جعل في رباطه الذي أنشأه بالمدينة المنورة تربة ، ولما توفي دفن بها )<sup>(٦)</sup> . كما كان لهذه الأربطة مدافن معروفة بمقبرة المعلاة في مكة ، مثل رباطي ربيع و الموفق . وعلى الرغم من كثرة الأربطة التي عرفتها مكة والمدينة ، ونوهت بذكرها المصادر ، فإن تلك المصادر لم تتناول تفاصيل النشاط العلمي والاجتماعي الذي كان يدور فيها .

فهناك معلومات تؤكد أن الأربطة كان لها بعض الأثر في تنشيط الحركة الفكرية ، فقد كان يسكنها الكثير من طلبة العلم ، والعلماء والفقراء ، وما كان يحدث فيها من سماع ومناقشات وإجازات ، ومجالس للتدريس

(١) الجاسر : مقتطفات من رحلة العياشي ، ص ١٣١ .

(٢) يوسف بن الحسن بن محمد محمود بن الحسن الأنصاري عز الدين أبو المظفر الزرندي ، سمع ببغداد ثم رحل إلى الشام ومصر وحج أربعين حجة ، وكان عدلاً فاضلاً عابداً توفي سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م ، وله ذرية في المدينة الشريفة .

العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٦ / ص ٢٢٣ .

(٣) ابن فرحون ( عبد الله بن محمد ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م ) : نصيحة المشاور وتسليية المجاور ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٥٤١ ، عن مكتبة الحرم المكي برقم (٥) دهلوي ، ورقة ٧٨ .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني ، الليث الملقب بالجمال ، وزير صاحب الموصل ( ت ٥٥٩هـ / ١١٦٣م ) ، كان كثير المعروف و الصدقة والبر ، وله آثار بالحرمين الشريفين ، منها بناء سور حول المدينة المنورة ، واعتنى بمسجد الخيف وعمارته ، مات بالموصل وحمل إلى المدينة ودفن بها .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ / ص ٢٦٧ .

(٥) الفاسي المكي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٧٢ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٤٠٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ / ص ٢٦٧ .

المرغي : تحقيق النصر ، ص ٧٦ .

والوعظ ، إلى جانب كونها أربطة خاصة بالصوفية ، وأعمال التصوف ، وما يتبعها من أمور متعلقة بها من الأذكار وغير ذلك ، وعلاوة على ذلك فإن بعض الأربطة كانت تضم بين جنباتها أعداد غير قليلة من الكتب على سبيل الوقف ، مما أتاح لنزلاتها فرصة المطالعة ضمن تلك الأربطة .

والملاحظ على تلك الأربطة أن بعضها كان موقوفاً على المسلمين كافة من جميع الأجناس والمذاهب ، وبعضها كان موقوفاً على الرجال ، والآخر على النساء ، وبعضها كان موقوفاً على طائفة الصوفية أو على أحد المذاهب الإسلامية ، بعضها خاص بجنس معين أو أهل بلد معين ، وبعضها خاص بالغرباء والمجاورين<sup>(١)</sup> ، وكان واقف الرباط يوقف عليه أحياناً بعض الدور أو الضياع أو الأماكن للإنفاق عليه ، كما كان يوقف به بعض الكتب ليتلقى سكانها بعض العلوم ، لأنها تشبه المدرسة ، وتقوم مقامها أحياناً. فقد أوقف لبعض الأربطة أوقافاً متعددة لتكون مصادر دخل لها ، مثل رباط الشرايبي الذي عمّر بمكة سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٣م ، وأوقف عليه عدة أوقاف منها : مياه على بعض الأودية في مكة وكتب علمية مختلفة<sup>(٢)</sup> ، كما أوقف على رباط الأصبهاني الحجرتان اللتان في أعلى الرباط وأسفله ، يصرف من كرائهما على عمارته وسقايته وما يحتاج إليه<sup>(٣)</sup> .

هذا وسوف يتعرض البحث للأربطة حسب سني إنشائها التي كان لها أثر في الحركة العلمية ، وبخاصة الأربطة التي كانت مخصصة لطلب العلم ، وكذلك الأربطة التي كانت تحتوي على مكتبات علمية ، والأربطة التي نوهت بذكرها المصادر ، وذكرت إشارات بسيطة إلى النشاط العلمي فيها .

#### — أربطة مكة المكرمة :

##### رباط السدرة :

(١) الفاسي المكي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٠ - ٣٣٦ .

(٢) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٢ / ص ٤٦٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤٠ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

أوقف سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، ويقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام بجوار باب بني شيبه<sup>(١)</sup> ، وهو أحد الأربطة التي كان لها أثر فعال في رفع المستوى العلمي في مكة .

وذكر ابن بطوطة أن هذا الرباط كان يقصده أهل الشام وأهل مصر ، ويقدمون لقاطنيه المساعدات ويتصدقون عليهم<sup>(٢)</sup> ، ومن أشهر شيوخ هذا الرباط : خضر بن محمد بن علي الإربلي الصوفي ( ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م )<sup>(٣)</sup> ، ومن نزلاء هذا الرباط : عبد الواحد بن إسماعيل العسقلاني ( ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م )<sup>(٤)</sup> ، إضافة إلى أن هذا الرباط كان يوجد به كتاب لتعليم الأطفال القرآن الكريم<sup>(٥)</sup> .

#### رباط الدمشقية :

أنشأه تجار من مدينة دمشق ، ولذا سمي برباط الدمشقية ، وأوقف سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م ، وشرط في وقفه على تخصيصه للفقراء من أهل الشام والعراق والعرب والعجم<sup>(٦)</sup> ، كما أوقف على الصوفية والعلماء والقراء<sup>(٧)</sup> .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٠٤ .

الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٠ .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٥٢١ - ٥٢٢ .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٥٣ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٥ .

الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ - ورقة ٧١ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٠٤ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ص ٤٤١ .

(٧) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٥٥ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٠٤ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ص ٤٤١ .

### رباط رامشت :

أوقفه الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين بن شيرويه بن جعفر الفارسي المشهور برامشت ( ت ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ) ، ويقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام عند باب الحزورة ، وقد أوقفه سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م على الرجال الصوفية دون النساء <sup>(١)</sup> ، وعُرفَ ذلك من النص المكتوب على باب الرباط ، ومن كتاب الوقف الذي عثر عليه التقي الفاسي <sup>(٢)</sup> .

ومن شيوخ هذا الرباط : حيدر بن الحسين بن حيدر الفاسي ( ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م ) <sup>(٣)</sup> .

ومن أشهر المقيمين في هذا الرباط : شمس الدين محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعي الحنفي ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) <sup>(٤)</sup>

رباط أم الخليفة زمرد خاتون <sup>(٥)</sup> :

والدة الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الخليفة العباسي ( ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ) ، وتاريخ

---

<sup>(١)</sup> كان من أعيان التجار والعجم ، وله مآثر بمكة وإصلاحات بالحرم والكعبة .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٠٤ .

عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ص ٤٤١ .

<sup>(٢)</sup> الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٨٥ .

<sup>(٣)</sup> الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٢٥٤ .

<sup>(٤)</sup> الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٤١٤ .

<sup>(٥)</sup> زوجة المستضيء العباسي ، حجت سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، وقامت بصدقات كثيرة في الحرم المكي الشريف ، وقد

أوقفت هذا الرباط على عشرة أشرف ، وتوفيت سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ / ص ٤٠ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٣٨ .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٦ / ص ١٨٢ .

عمارته سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م<sup>(١)</sup> ، ويعرف كذلك برباط العطيفية لسكن أمير مكة عطيفة به<sup>(٢)</sup> .  
 وكان لهذا الرباط نشاط علمي خاصة في علم الحديث ، فقد حدث به نزيل مكة أبو بكر بن عمر الصوفي  
 ( ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ) وسمع منه الحافظ شرف الدين الدمياطي ( ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م ) « فضائل  
 العباس »<sup>(٣)</sup> ، وذكر الفاسي كذلك أن الرحالة أحمد بن معد بن عيسى التجيبي ( ت ٧٣٠ هـ /  
 ١٣٢٩ م ) سمع « جامع الترمذي » بهذا الرباط في أثناء مجاورته بمكة<sup>(٤)</sup> .

### رباط ربيع :

أوقفه السلطان الملك الأفضل نور الدين علي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي صاحب دمشق سنة  
 ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، ويقع هذا الرباط في أحياد<sup>(٥)</sup> ، وتولى عمارته ربيع بن عبد الله بن محمود المارديني  
 الحنفي<sup>(٦)</sup> ، واشترط في وقفه أن يكون وفقاً على الفقراء والغرباء<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٨ .  
 ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٥٢ .  
 عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ص ٤٥٨ .  
 (٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٥٢ .  
 عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ص ٤٥٨ .  
 (٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ١٦ .  
 (٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ١٨٢ .  
 (٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٢١ - ١٢٢ ، ج ٨ / ص ١٥٢ .  
 الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ .  
 الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٥ .  
 ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٦٤ .  
 نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩٢ .  
 (٦) هو أحد الرجال الصالحين ، جال في البلاد ودخل بغداد والموصل والكوفة والإسكندرية ودمشق وحلب ، وجاور في  
 الحرمين ، وأقام بالمدينة اثني عشر عاماً ، وكان أمياً لا يعرف الخط ويقرأ القرآن ، وتوفي سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م .  
 السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٦١ .  
 (٧) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٥ =

وكان أهل الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيماً شديداً ، وينذرون له النذر ، ويخرجون العشر من محاصيل بساينهم لهذا الرباط ، اعتقاداً منهم أنه إذا لم يفوا بذلك خسروا تجارة أرضهم ونتاجها في السنة التي تليها، كما أشار ابن بطوطة إلى وجود بئر عذبة بهذا الرباط<sup>(١)</sup> .

ومن أشهر شيوخ هذا الرباط : محمد بن داود بن ناصر السنبسي الدمشقي ( ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ) وكان مشهوراً في علم الحديث فقد حدث بمكة وسمع عليه الكثير من شيوخ مكة<sup>(٢)</sup> .

هذا بالإضافة إلى المكتبة العلمية التي كانت بهذا الرباط التي أوقف فيها الكثير من أهل الخير العديد من الكتب ، وكان لشيخ الرباط الحق في إعارتها لنزلاء هذا الرباط وغيرهم<sup>(٣)</sup> .

#### رباط الموفق :

أوقفه الموفق علي بن عبد الوهاب الإسكندري<sup>(٤)</sup> سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م على الفقراء المتعبدین والمحتاجين ويقع في أسفل مكة بالقرب من باب إبراهيم<sup>(٥)</sup> ، وذكر ابن بطوطة أنه يعدُّ من أحسن الأربطة في مكة المكرمة<sup>(٦)</sup> .

---

= ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٢ / ص ٥٦٤ .

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٣٩٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ١٥ - ١٦ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٧٦ .

(٤) له مبرات وصدقات بمكة ، وتوفي سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٥ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٦ .

الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٢٢ .

(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٦١ .

ومن سكن بهذا الرباط : سعادة المغربي ( ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م )<sup>(١)</sup> ، كما نزل به من الرحالين المسلمين: ابن بطوطة<sup>(٢)</sup> ، والتجيب السبتي<sup>(٣)</sup> .

### رباط الخوزي :

أوقفه الأمير زين الدين قرامرز محمود بن قرامرز الأفري الفارسي<sup>(٤)</sup> سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، ويقع عند باب إبراهيم ، وأوقفه على الصوفية الغرباء المتجدين<sup>(٥)</sup> . وعرف برباط الخوزي لأن عمر بن مكي الخوزي<sup>(٦)</sup> ( ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م ) سكن بهذا الرباط<sup>(٧)</sup> ، وسكنه أيضاً العالم النحوي والأديب محمد بن علي المعروف بابن قطرال الأندلسي ( ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م )<sup>(٨)</sup> ، ويبدو أن هذا الرباط استمر زمناً طويلاً ، فقد أدى وظيفته العلمية لمدة ثلاثة قرون تقريباً ،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٥٣٠ .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٣٤ .

(٣) التجيب : مستفاد الرحلة والاعترا ب ، ص ٤٥٥ .

(٤) لم يعثر له على ترجمة .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١١٩ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٣١ - ٣٢ .

وذكر الصباغ أنه أوقف سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ، ويبدو أنها من الناسخ .

الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٩٠ أ .

(٦) عمر بن مكي بن علي الخوزي أبو حفص الملقب بالسراج الفقيه الشافعي ، حج وجاور بمكة إلى أن توفي بها .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٦٢ .

(٧) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٢ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٣١ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٣٦٢ .

وكان ذا معرفة بالمذهب الشافعي والخلاف والجدل ، متعبداً سالكاً طريق الزهد .

الإسنوي ( عبد الرحيم بن الحسن ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م ) : طبقات الشافعية ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، الرياض ،

دار اليمامة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ١ / ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٨) ولد بمراكش وانتقل إلى فاس وسمع بها على عدد من العلماء ، وانتقل إلى مكة وسكن بها حتى مات .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

وساعد على ذلك وفرة الكتب التي كانت موقوفة عليه مما شجع العلماء والطلاب على تفضيله على غيره.

#### رباط الشرايبي :

أوقفه الأمير شرف الدين إقبال الشرايبي ( ت ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م ) سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ، ويقع عند باب شيبية <sup>(١)</sup> ، على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام ، وأوقف عليه كتباً في فنون العلم ، وأقره رباطاً لسكن الصوفية ، وأوقف عليه أوقافاً بأعمال مكة ، منها مياه تعرف بالشربيات بوادي مر ، ووادي نخلة <sup>(٢)</sup> .

#### رباط غزري :

أسسه علي بن محمد المصري <sup>(٣)</sup> سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، واشترط في وقفه أن يكون وقفاً على الفقراء والمساكين الرجال المجردين من أي جنس كان من المسلمين <sup>(٤)</sup> . ومن أشهر شيوخ هذا الرباط : محمد بن صبيح بن عبد الله الحسامي ( المولود سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م ) الذي كان ملازماً لسماع الحديث وإسماعه بمكة <sup>(٥)</sup> .

#### - أربطة المدينة المنورة :

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٢٤ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ١٣٣ .

الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣١ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٦٠ .

الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٩١ .

الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٤ .

(٣) ترجمه الفاسي ولم يذكر معلومات عنه سوى وقفه لهذا الرباط .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٦٠ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٦١ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٢١ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٨ - ٢٩ .

### رباط سيدنا عثمان بن عفان :

أنشأ سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م حيث اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى لسيدنا عثمان بن عفان وجعلوها رباطاً لطلبة العلم من بلاد المغرب<sup>(١)</sup> ، وتمت توسعة هذا الرباط وخصصوا غرفة منه لتكون مكتبة من أهم المكتبات التي احتوت على أعظم كتب الفقه المالكي ، وسكنه العلماء وطلبة العلم وكان يقوم فيه حلقات الدروس<sup>(٢)</sup> .

### رباط الناصر لدين الله :

أمر ببنائه الخليفة العباسي الناصر لدين الله في المدينة المنورة سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م ليكون سكناً لطلبة العلم والغرباء المقيمين في المدينة ، ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوي الشريف<sup>(٣)</sup> . كما شاركت المرأة في بناء الأربطة والزوايا وأعمال الخير والإنفاق عليها في الحجاز ، وعلى الرغم من أن المصادر لم تقدم المعلومات الوافية عن أثر الأربطة التي خصصت للنساء من الناحية العلمية ، فيمكن استنتاج ذلك من شرط وقف تلك الأربطة ، وأهم هذه الأربطة :

رباط الساحة الذي كان موجوداً في أثناء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وقد أوقفته جماعة من النسوة منهن والددة الشيخ قطب الدين القسطلاني على الفقراء الغريبات المتدينات<sup>(٤)</sup> . ورباط الفقاعية الذي أوقفته قهرمانة المقتدي الخليفة العباسي سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م على المنقطعات

---

(١) المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٦٧ .

الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٤٩ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٥ . ١٥٦ .

(٢) مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٦ .

(٣) المراغي : تحقيق النضرة ، ص ١٧٨ .

الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٥٤ .

مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٥٦ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

الأرامل<sup>(١)</sup> .

كما أوقف رباط بنت التاج<sup>(٢)</sup> على النساء الصوفيات الأخيار<sup>(٣)</sup> .

كما أوقف رباط ابن السوداء سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م على النساء الصوفيات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب<sup>(٤)</sup> .

ومما تقدم من دراسة مراكز التعليم في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين يمكن القول :

١ - المسجد الحرام والمسجد النبوي كانا أعظم جامعتين في تلك الفترة ، يرد إليهما الكثير من العلماء وطلبة العلم ، كما حويا حلقات عديدة ومتنوعة في مختلف العلوم وفي جميع المذاهب ، بالإضافة إلى وجود أكبر مكتبتين بهما عرفهم الحجاز على الإطلاق .

٢ - التعليم في المساجد عمومي وشمولي حيث يحدد صاحب الحلقة الكتاب الذي يدرسه ، وطلاب العلم في المساجد هم الذين يختارون المدرس الذي يدرسهم والكتاب الذي يريدون دراسته دون تقييد صاحب الحلقة بعدد المريدين له .

٣ - شغلت المدارس الدور البارز بعد المساجد في تنشيط الحركة العلمية ، وكان لها الفضل في تخريج عدد كبير من العلماء الذين صار لهم دور علمي بارز وإسهامات كبيرة في مختلف أقاليم العالم الإسلامي .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٤٨٩ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١١٩ .

الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣١ .

(٢) هي تاج النساء بنت رستم بن أبي الرجاء الأصبهانية ، أخذت عن العلماء وروى الأحاديث ، وتوفيت سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ١٩١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٥ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٦ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٢ / ص ٥٦١ .

٤ - كان التعليم في المدارس يميل إلى التنظيم من حيث أوقات الدراسة والمذهب المتبع والمنهج الذي يحدده واقف المدرسة .

٥ - ظهرت المدارس النظامية في الحجاز متأخرة نصف قرن عن مثيلاتها في العالم الإسلامي .

٦ - رأى الكثير من العلماء أن التدريس في الحرمين الشريفين أفضل من التدريس في المدارس ، لأن التدريس في المساجد لا يحتاج إلى تكليف أو تعيين ، والطالب الذي يدرس في المساجد ليس عليه قيود أو شروط فالمساجد مفتوحة أمام كل طالب علم يقرأ ويدرس ما يريد .

٧ - ضم الحجاز العديد من الكتاتيب التي كانت ملحقة بالمساجد والمدارس والأربطة ، وكذلك وجود بعض المكاتب الخاصة لبعض العلماء ، وقد أهمل المؤرخون ذكر معلومات عن تلك الكتاتيب ، على حين أنهم ذكروا وجودها .

٨ - كان للأربطة دوراً هاماً في الحركة العلمية بما قدمته من خدمات للمجاورين والفقراء سواء كانوا معلمين أو طلبة ، كما كانت هذه الأربطة مراكز تعقد فيه حلقات للتعليم ، بالإضافة إلى احتوائها عدد من المكاتب .

٩ - حوت مكة المكرمة العدد الأكبر من المدرس والأربطة في حين قلَّ عديدها في المدينة المنورة ، وذلك لأسباب سياسية تتلخص في تنافس العباسيين و الفاطميين و الأيوبيين والرسوليين والمماليك على مدِّ النفوذ والسيطرة عليها .

١٠ - إن مكانة الحجاز الدينية شجعت الكثير من الأمراء والميسورين في العالم الإسلامي على بناء المراكز العلمية وإقامة الأوقاف الخاصة لضمان استمراريتها ، وذلك بتقديم الأجور للمدرسين والعاملين عليها ، ومختلف المساعدات للقاطنين بها .

١١ - كانت مراكز التعليم في الحجاز خلال فترة هذه الدراسة العامل الرئيسي في نهوض الحركة الفكرية بما قدمته لطلاب العلم المجاورين الذين تفرقوا في الأمصار ونبغوا في أنواع عديدة من المعرفة ، وبعض هذه المراكز أدت رسالتها لقرنين أو ثلاثة قرون متتالية .

١٢ - ضعف النشاط العلمي في القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين وذلك  
بمجرة جلّ علمائه إلى مختلف أمصار العالم الإسلامي ، في حين شهد القرنين السادس والسابع الهجريين /  
الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عودة النشاط الفكري بمحاورة عدد كبير من العلماء في الحرمين  
الشريفيين .

١٣ - انتج الحجاز الكثير من العلماء في شتى العلوم الذين تفرقوا في أمصار العالم الإسلامي ، وحملوا  
الإجازات بالمسموعات والمرويات وحدثوا عنها وبها ، وكان لهم دوراً ريادياً في النهوض في الحركة الفكرية في  
مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

١٤ - لم تذكر المصادر وكتب التراجم في ذلك العصر تفاصيل عن حلقات خاصة لعلماء العلوم العقلية .

## الفصل الرابع

### العلماء والإنتاج العلمي

لا شك أن البحث والدراسة في تاريخ العلوم والحركة العلمية في الإسلام من أمتع البحوث التي يمكن تناولها في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بل وفي التراث الإسلامي عامة وأنه الموضوع الذي يمثل الوجه المشرق في حضارات الأمم ، وتأتي دراسة العلوم التي اشتهر بها علماء الحجاز خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين متوجةً لهذا البحث كي يصبح بالإمكان اعتماده بحثاً شاملاً يتناول كافة جوانب الحركة الفكرية ، ولعله من المهم جداً تناولها حسب أهميتها والاهتمام بها ، فكون الحجاز إقليماً ذا طابع ديني تأتي أهمية العلوم الشرعية بالمقام الأول والحديث عنها باستفاضة مع تناول كافة العلوم التي اشتهرت فيها ، بالإضافة إلى ذكر علمائها وحصيلته إنتاجهم العلمي ، وتليها في الأهمية علوم اللغة العربية التي كان للحجاز دور هام في خط ملامح جديدة أسهمت في ازدهار تلك العلوم . أما العلوم الإنسانية والعقلية فكان الاهتمام بها نادراً ولم تكن بالمستوى الذي كان موجوداً في العلوم الأخرى على الرغم من أهميتها في تاريخ العلوم الإسلامية ، وذلك للطبيعة الدينية التي اتسم بها هذا الإقليم ، وطبيعة العصر ، والأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك .

#### أولاً : العلوم الشرعية :

من الثابت أن العلوم الدينية انتشرت في جميع أمصار الدول الإسلامية ، فالجزيرة العربية شاركت واشتركت في نشر هذه العلوم والمعارف ، إذ أنه لا توجد فوارق بين بلد وبلد ، ولم يكن طلاب العلم مكتفين بالأخذ من علماء بلدهم ، بل كانوا يرحلون للقاء العلماء في مصر والشام والعراق ليتلقوا العلم عنهم ، وحيث أن الحج والزيرة كانا ملتقى العلماء وطلاب العلم من جميع الأقاليم ، فقد كان للحجاز مكانة لم تكن لتحظى بها أي منطقة أخرى في العالم الإسلامي ، فتنوعت فيه العلوم على مختلف أشكالها ، ويأتي تحت عنوان العلوم الشرعية مجموعة من العلوم ذات علاقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وباستنباط الأحكام منهما أي الفقه وأصوله ، وفيما يأتي عرض لأحوال تلك العلوم في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين .

## ١ - علم القراءات :

فجّر القرآن الكريم طاقات الأمة العربية والإسلامية ، وبعثها بعد الرقاد وحركها بعد الثبات وأحيائها بعد الموت ، ونقلها من مؤخرة الأمم إلى قيادة العالم ، وكلفها حمل أمانة الدعوة لشعوب الأرض ، فقامت بذلك خير قيام ، ورفعت مشعل الحضارة والمدنية على أرجاء المعمورة .

لذلك ترجع جميع العلوم إلى القرآن الكريم الذي له الفضل الأساسي في إيجادها ونشأتها ورعايتها والعناية بها ، وتحقيق الخير والفائدة منها ، سواء كانت علوم شرعية أم غيرها<sup>(١)</sup> ، وقد تفرّع عن دراسة القرآن الكريم عدد من العلوم مثل قراءات القرآن وتجويده وتفسيره وأحكامه وأسباب نزوله وغير ذلك من العلوم<sup>(٢)</sup> فقد بدأ الاهتمام بعلم القراءات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام ويرجع السبب في ذلك إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول عدد كبير من الأعاجم في الإسلام ووقوعهم في أخطاء لغوية ونحوية أثناء تلاوتهم القرآن الكريم مما جعل الخليفة علي عليه السلام يكلف أبا الأسود الدؤلي<sup>(٣)</sup> بوضع القواعد اللغوية والنحوية ليسير عليها كل قارئ أو دارس للقرآن الكريم ، وقد سار على نهج الخليفة علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان ومن بعده خلفاء المسلمين<sup>(٤)</sup> ، ولم تظهر مدارس القراءات المختلفة حتى منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، حيث أصبح لكل قارئ مدرسة خاصة به فعلى سبيل المثال اشتهرت مدرسة

---

(١) العتر ( نور الدين ) : القرآن الكريم والدراسات الأدبية ، دمشق - المطبعة الجديدة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٧ .

(٢) الزحيلي ( محمد ) : تعريف عام بالعلوم الشرعية ، دمشق - طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨ م ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ، ويقال عثمان بن عمرو ، وقيل عمرو بن ظالم أبو الأسود الدؤلي ، أول من نقط المصحف ووضع للناس علم النحو ، وتوفي سنة ٦٩ هـ / ٦٨٩ م .

المزي : تهذيب الكمال ، ج ٣٣ / ص ٣٧ .

(٤) خورشيد ( أحمد ) : القرآن وعلومه في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص

١١٢ .

المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢١٧ .

الكوفة بقراءة عاصم<sup>(١)</sup> ، وحمزة<sup>(٢)</sup> والكسائي<sup>(٣)</sup> كانت تشتهر بهما مدرسة البصرة، وقد انتقلت القراءات إلى أقاليم الدولة الإسلامية فقراءة عاصم أخذها القرّاء المصريون الذين بدأوا ينتشرون في كل مكان ، ويسير على نهجهم قراء عديدين في أماكن مختلفة<sup>(٤)</sup> ، وقد انتشرت القراءات السبع مع بداية القراءات في كل من الحرمين الشريفين<sup>(٥)</sup> ، ففي مكة كانوا يفضلون قراءة نافع<sup>(٦)</sup> ، وفي المدينة كانوا يفضلون قراءة ابن كثير<sup>(٧)</sup> ، وظلت القراءتان متداولتان جيل بعد جيل<sup>(٨)</sup> .

ويعدُّ علم القراءات من أهم العلوم التي اهتم بها علماء الحجاز ومجاوريه ، وذلك امتداداً للعناية به منذ نزوله وجمعه ، فقد تهيأ لهم ما لم يتهيأ لأي بلد آخر ، حيث المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فكان ذلك دافعاً

- 
- (١) هو عاصم بن أبي النجود الإمام الكبير مقرئ العصر أبو بكر الأسدي الكوفي ، كان مقدماً في زمانه مشهوراً بالفصاحة معروفاً بالإنقان ، تصدر للإقراء بالكوفة ، وكان أحسن الناس صوتاً ، توفي سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م .  
الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٩ / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٧ .
- (٢) هو حمزة بن حبيب الزيات ، كان ثقة فاضلاً صاحب قراءة وفرائض صالحاً صدوقاً ، توفي سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م .  
البغدادى ( أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي ) : السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة . دار النشر / دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ، ص ٧١ - ٧٢ .
- (٣) هو علي بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب الزيات ونظر في وجوه القراءات ، وكانت العربية علمه وصناعته ، وكان إمام الناس في القراءة في عصره ، توفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م .  
البغدادى : السبعة في القراءات ، ص ٧٨ .
- (٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (٥) خورشيد : القرآن وعلومه ، ص ١١٢ .
- الحسيني ( محمد ) : الحياة العلمية والأدبية في الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٢١٨ .
- المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢١٨ .
- (٦) هو أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، كان عالماً بوجوه القراءات ، توفي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م .  
البغدادى : السبعة في القراءات ، ص ٥٣ - ٦٣ .
- (٧) هو عبد الله بن كثير المتوفي سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م .
- البغدادى : السبعة في القراءات ، ص ٦٤ - ٦٦ .
- (٨) خورشيد : القرآن وعلومه ، ص ١١٢ .
- المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢١٨ .

كبيراً لهم على تعليم أبنائهم القرآن وكيفية تلاوته وأدائه أداءً مجوداً سليماً بعيداً عن اللحن والتصحيف وكانت غاية الآباء أن يحفظ أبنائهم القرآن الكريم جميعه عن ظهر قلب ، فإذا نال التوفيق يصنع له والده وليمة ابتهاجاً بذلك وتشجيعاً له على تعلم القرآن<sup>(١)</sup> ، ويؤيد هذا القول قول رسول الله ﷺ : ( خيركم من تعلم القرآن وعلمه )<sup>(٢)</sup> ، وكان من عادة أهل مكة إذا ختم الصبي القرآن الكريم أن يؤم به في صلاة التراويح في رمضان ، وإذا ما ظهر من الصبي نبوغ وأحب طلب العلم برع في بقية القراءات على يد شيخ بصير بها<sup>(٣)</sup> .

وقد حرص علماء الحجاز على حفظ كتاب الله تعالى والعناية به ، وتلاوته وقراءته ، وتصنيف الكتب في دراساته ، كتدوين القراءات وضبط أصولها ، وبيان أئمتها وحققاؤها ورواتها ، وسندها والفروق بينها ، والاختلاف في أدائها ، حتى حظي الحرف الواحد من القرآن الكريم بالرعاية الكاملة والضبط التام<sup>(٤)</sup> . ونشطت القراءات القرآنية في هذا العصر في الحجاز ، وظهر عدد كبير من علماء القراءات الذين كانت إليهم رحلة طلاب العلم من أقطار العالم الإسلامي ، وعلى الرغم من العدد الكبير من العلماء الذين قاموا بتدريس القراءات في الحرمين الشريفين ، فإن المصنفات والمؤلفات في هذا العلم لم تصل إلى مستوى نشاطه لأن أكثرهم كانوا يقومون بتدريس هذا العلم ، وتفرغوا له دون التصنيف فيه . ومن مشاهير قراء هذا العصر :

١ - الحسن بن عبد الله بن عمر بن علي بن خلف القيرواني ، أبو علي بن أبي محمد المكّي ، المعروف

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، القاهرة

- دار الفكر ( د . ت ) ، ج ٩ / ص ٧٤ ، حديث رقم ٥٠٢٧ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٥٢٧ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٨ .

زاده ( طاش بكري ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م ) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ،

بيروت - دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٢ / ص ٤٧ .

بابن العرجاء المقرئ الفقيه ( ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م ) :

تفقه على المذهب الشافعي ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحرم المكي الشريف ، وكان يفتي ويسمع الحديث<sup>(١)</sup> .

٢ - محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن نعيم الأنصاري أبو عبد الله القرطبي الفقيه المالكي المقرئ ( ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م ) :

أخذ القراءات بالمغرب ومصر ودمشق ومكة ، قرأ عليه القطب القسطلاني بالمدينة النبوية وسمع منه ، وكان شيخ الحرمين في زمانه لزهده وعلمه ورفعة مكانه وكان كثير الاعتكاف والمجاورة للحرمين الشريفين ، وقد أمَّ بالحرم النبوي الشريف<sup>(٢)</sup> .

٣ - بشير بن حامد بن سليمان التبريزي ( ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ) :

صاحب كتاب « الغنيان في تفسير القرآن » ، عُيِّنَ شيخاً للحرم والنظر في مصالحه وعمارته ، وكان حاوياً للعلوم ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء في العراق ، ومن أشهر تلامذته المحب الطبري والقطب القسطلاني<sup>(٣)</sup> .

٤ - أحمد بن عبد الله بن محمد ، المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :

كان له نشاط في مجالات متعددة من العلوم ، ومن مؤلفاته في علوم القرآن كتاب « مرسوم المصحف العثماني المدني » و « الكافي في غريب القرآن الجامع بين العزيزي والبيان » وكتاب « القراء »<sup>(٤)</sup> .

٥ - عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد بن علي المخزومي المصري أبو محمد ، عفيف الدين الدلاصي ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) مقرئ مكة :

ذكره الذهبي وترجمه : ( الإمام القدوة شيخ الحرم ) ، حج عدة مرات واستوطن بمكة أكثر من أربعين سنة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٣٧٢ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٣٧٢ .

(٤) الفاسي المكي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٣ .

كان خلالها متصديراً للإقراء ، كما برع في المذهبين الشافعي والمالكي<sup>(١)</sup> ، وذكره التحيبي واصفاً إياه :  
( الشيخ الفقيه الصالح الزاهد العابد الورع الناسك المشهور بعلم القراءات ، تصدر لإقراء القرآن الكريم  
بالحرم الشريف طوال إقامته )<sup>(٢)</sup> .

٦ - محمد بن عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد ابن علي المخزومي المكي المقرئ ، قطب  
الدين بن الشيخ عفيف الدين الدلاصي المكي ( ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ) :  
سمع على الفخر التوزري ، وسمع على والده وخلفه في التصدر للإقراء بالحرم الشريف ، وذكر البرزالي أنه  
اجتمع به بعرفة وسمع بقراءته<sup>(٣)</sup> .

٧ - عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه المعروف بنجم الدين الواسطي ( ت ٧٤٠ هـ أو التي بعدها /  
١٣٣٩ م ) :

كان له عناية كبيرة في علم القراءات ، أقرأ بمكة وغيرها ، وألف عدة مؤلفات منها « الكنز في القراءات  
العشرة » جمع فيها للسبعة بين « الشاطبية - ط » و « الإرشاد - ط » ثم نظم « الكنز - ط » وسماه  
« الكفاية - ط » وله أيضاً « مآدب القرآن - ط » و « تحفة البررة في نشر الكفاية المحررة في القراءات العشرة  
- ط » و « المختار في القراءات - ط »<sup>(٤)</sup> .

٨ - عمر بن محمد بن فتوح الدمنهوري ( ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) :  
درّس القراءات في الحرمين الشريفين<sup>(٥)</sup> .

٩ - موسى بن مسعود الموصللي ( ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) :

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١٩٦ - ١٩٧ .

الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، ج ٢ / ص ٧١٨ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) التحيبي : مستفاد الرحلة والاعترا ب ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ / ص ٢٧٠ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٤ .

نزول الحرم المكي الشريف ، وكان له مجلس يقرئ فيه القرآن الكريم ، وهو ممن شرح « أرجوزة الشيخ علم الدين السخاوي في متشابه القرآن »<sup>(١)</sup> .

١٠ - صالح بن محمود بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله الكرومي الأصبهاني أو محمد ( ت ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م )<sup>(٢)</sup> :

العلامة الزاهد أحد المقرئين بالسبع والمدرس بالحرم المكي الشريف الإمام المحدث المجاور ، أقام مجاوراً بمكة سنين يُقرأ فيها القرآن<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - علم التفسير :

يعرف علم التفسير بأنه : ( علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها و أقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها ، خاصها وعامها ، مطلقها ومقيدها ، ومحملها ومفصلها ، حلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، أمرها ونهيها وأمثالها )<sup>(٤)</sup> .

وعلم التفسير من أجلّ علوم الشريعة ، وأرفعها قدراً ، وهو من أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه ، لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية ، وإنما اشتدت الحاجة إليه ، لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد أن يكون موافقاً للشرع ، وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله<sup>(٥)</sup> .

وخلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة كانت المصنفات في التفسير بالنسبة إلى التأليف في علم القراءات قليلة جداً ، ومن أهم العلماء الذين برزوا في هذا العلم ودّرّسوا فيه :

١ - محمود بن عمر المعروف بالزحخشري ( ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م ) :

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٢٩ - ٣٠ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٨١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٢٩ .

(٤) التهانوي ( محمد بن علي ) : كشف اصطلاحات الفنون ، بيروت - دار صادر ( د . ت ) ، ج ١ / ص ٢٤ .

(٥) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، بيروت - دار الندوة ، ( د . ت ) ، ج ٢ / ص ٨١ .

جاور في مكة ، ووصفه الفاسي المكي أنه : ( الإمام الكبير في التفسير ) ، صنف كتاب « الكشف في تفسير القرآن العظيم » (١) .

٢ - محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي ، المعروف بابن أبي الفضل المرسى السلمي ( ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م ) (٢) :

هو من العلماء المجاورين بمكة ، وكانت له معرفة بالحديث وعلوم القراءات والفقه ، والخلاف والأصلين والنحو واللغة ، وله مصنفات في هذه العلوم كلها ، ومن مؤلفاته « التفسير الكبير » يزيد على عشرين جزءاً سماه « ربيّ الظمان » و « التفسير الأوسط » عشرة أجزاء و « التفسير الصغير » ثلاثة أجزاء (٣) .

٣ - قطب الدين القسطلاني ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :

من مؤلفاته : « رسالة في تفسير آيات من القرآن الكريم » مخطوط بدار الكتب المصرية (٤) .

٤ - المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :

كان رمزاً للحركة العلمية في بلاد الحجاز ، وقد خدم الطبري التفسير خدمات جليلة وأهمها « الجامع لتفسير القرآن » لم يتمه (٥) .

٥ - محمد المعروف بأبي طرطور ( ت ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م ) :

اشتهر بمعرفته في التفسير ، فقد كان يفسر القرآن الكريم عن ظاهر قلبه بين الحجر الأسود والركن

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٧ / ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٨١ .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٥ / ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٨٢ .

(٤) الزركلي : الأعلام ، ج ٥ / ص ٣٢٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦١ .

ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ / ص ٣٤٧ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٦ .

اليمني<sup>(١)</sup>.

### ٣ - علم الحديث :

يعدُّ علم الحديث ثاني مصادر الشريعة الإسلامية ، ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم ، وقد احتلت السنَّة النبوية وعلموها مكانة عالية ، وتبوأت مكان الصدارة من الثقافة الإسلامية آنذاك ، وقد اهتم المسلمون بالحديث اهتماماً عظيماً ، وتجلَّى ذلك الاهتمام في معاجم الرجال التي صُنِّفَتْ في تراجم الألوْف من رواة الحديث وطلابه الذين اهتموا بدراسة الحديث في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، وكان للحجاز حظاً من النشاط بعلم الحديث ، وقد كانت طريقة علماء هذا العصر في رواة الحديث تتمثل غالباً بالإجازة والمكاتبة أما الرواية مشافهة فقد انقرضت ، وصار الإسناد في الحديث بقصد التبرُّك إلا في أفراد قليلين يظهرون من وقت إلى آخر ، فيجددون ما خلف ، ويحيون ما اندثر<sup>(٢)</sup> ، ومرد ذلك أن كتب السنة قد أُلِّفَتْ وجمعت ، وانتشرت الكتابة في جميع البلدان ، كما كان للأحداث التاريخية أثر في بلبله الأفكار ، وتوهين هم العلماء عن الرحلة إلى الأقطار في طلب العلم والحديث .

ومن مشاهير رجال الحديث في هذا العصر :

١ - محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزدي المهلبي الغرناطي ، ويعرف بابن مسدي ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ) :

نزىل مكة وخطبها وإمام المقام الشريف فيها ، سمع بمصر ودمشق وحلب ومكة ، وأجازته جماعة من علماء مكة وبغداد ودمشق ، وحدث وروى عنه جماعة من الأعيان ، وأثنى عليه عدد من العلماء ووصفوه بالحفظ فقال الذهبي : ( كان من محور العلم ، ومن كبار الحفاظ ، له أوهام وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه )<sup>(٣)</sup>

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٤١٤ - ٤١٥ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٦ .

(٢) أبو زهو ( محمد ) : الحديث والمحدثون ، دمشق - دار الفكر ( د . ت ) ، ص ٤٣٧ .

(٣) الذهبي ( شمس الدين ) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي البجاوي ، بيروت - دار المعرفة ، ١٣٨٢ هـ .

/ ١٩٦٣ م ، ج ٤ / ص ٧٣ .

وذكره ضمن من يعتمد قوله في الجرح والتعديل<sup>(١)</sup> ، ومما يعاب على ابن مسدي حرصه على أخذ الأجرة على التحديث ، وتشيعه الذي أودى بحياته<sup>(٢)</sup> ، وقد ترك ابن مسدي مؤلفات في الحديث منها : « الأربعون المختارة في فضائل الحج والزيارة » توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية<sup>(٣)</sup> و « مسند في الحديث » و « خصائص النبي ﷺ » و « الفوائد المسلسلات الأسانيد » مصور بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في سبع ورقات برقم ٤٧٩ حديث ، وقد انفرد بذكر هذا الكتاب ابن رشيد في رحلته<sup>(٤)</sup> و « الفوائد المدنية من حديث ابن الجمزي »<sup>(٥)</sup> و جزء ذكر فيه من كسائه الخرقه<sup>(٦)</sup> من الشيوخ ، واتصال السند فيه إلى رسول الله ﷺ ، وسماه « المقدمة المحسبة والمحتسبة بتوصية ذوي الخرق المنتسبة »<sup>(٧)</sup> .

٢ - محمد بن أحمد بن علي ، قطب الدين القسطلاني ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :  
كان من كبار الأئمة في الحديث وعلومه ، ومن مؤلفاته في الحديث « الورد الزائد في بر الوالد » و « مجلس في فضل رمضان » ، و « المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع » ، ومختصر في الأسماء المبهمة في الحديث سماه « الإفصاح عن المعجم الغامض والمبهم » ورتبه على حروف

(١) الذهبي : أربع رسائل في علوم الحديث ( رسالة من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي ) تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت - دار القرآن الكريم ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٣) انظر : فهرس المخطوطات العربية الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية سنة ١٩٢١ م ، ج ٩ / ص ٨٧ ورقة أ ١١ .

(٤) ابن رشيد : ملء العيبة ، ج ٢ / ص ٣٦٤ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٤٥ .

(٦) الخرقه : قطعة من اللباس . وعند الصوفية : اللباس الذي يلبسه الصوفية ، وهو عندهم قسمان ، الأول : اللباس الذي

يلبسه المشايخ للسلالك بعد تربيته تماماً ، ويسمونه خرقه الإرادة والتصوف . والثاني : اللباس الذي يلبسونه للسلالك في أول خطوة ، حتى ينجو ببركته من المعاصي ، ويسمونه خرقه التبرك وخرقة التشبه .

التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٢ / ص ٢٢٤ .

ومعروف أن هذا الأمر من البدع المحدثه ، وقد شاع كثيراً في عصر المماليك .

(٧) ابن رشيد : ملء العيبة ، ج ٢ / ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

المعجم<sup>(١)</sup> .

٣ - ابن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن الدمشقي ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :  
جاور بمكة أربعين سنة ، وله مؤلفات في الحديث ، أهمها « أحاديث عيد الفطر » سمعه منه ابن رشيد في  
رحلته بمصر<sup>(٢)</sup> ، و « فضل رمضان » و « فضل أم المؤمنين خديجة » و « خبر حراء »<sup>(٣)</sup> و « جزء فيه  
أحاديث السفر »<sup>(٤)</sup> .

٤ - المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :

كان من أشهر علماء الحديث في عصره ، إضافة إلى معرفته بالفقه والتفسير والتاريخ ، وله في ذلك  
مؤلفات من أشهرها : « كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة »<sup>(٥)</sup> الذي يعدُّ كتاباً في الحديث والتاريخ  
في آن واحد ، لأنه ترجم للخلفاء الراشدين ومناقب كل واحد منهم ، وترجم كذلك لبقية العشرة المبشرين  
بالجنة ، وقد ذكر المحب الطبري سبب تأليفه لهذا الكتاب في مقدمته ، وهو التعريف بشرف قدر هؤلاء  
الصحابة ، وعلو مراتبهم ، وتدوين ما روي من عظيم مآثرهم ، وإيراد طرف ما ذكر من عميم

---

(١) اليافعي : مرآت الجنان ، ج ٣ / ص ٣١٠ .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ / ص ٤٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ / ص ٣٧٣ .

(٢) ابن رشيد : ملء العيبة ، ج ٥ / ص ١٥٨ .

(٣) اليافعي : مرآة الزمان ، ج ٢ / ص ٢٠٢ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٣٢ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ١٨ .

(٤) مخطوط في ١٣ ورقة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥٧٧ ب .

(٥) طبع هذا الكتاب عدة طبعات . فقد ذكر بروكلمان في الجزء السادس ص ٢١٩ أنه طبع دون ذكر مكان الطبع ولا  
تاريخه ، كما طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ في مجلدين ، ثم أعادت بعد زمن مكتبة الخانجي طبعه سنة ١٣٧٢ هـ . وقدم له  
مدرس وخطيب المسجد الأحمدى بطنطا : سليمان حسن عبد الوهاب ، وطبع في أربعة أجزاء صغار بتحقيق الشيخ  
محمد مصطفى أبو العلا عام ١٩٧٠ م بمكتبة الجندي بالقاهرة ، ثم أعادت دار الكتب العلمية ببيروت طباعة هذه الطبعة  
في مجلدين سنة ١٤٠٥ هـ ، وحذفت منه مقدمة المحقق والخاتمة .

مفاخرهم<sup>(١)</sup> ، وذلك للرد على طوائف الشيعة الذين يكفرون قسماً كبيراً من الصحابة خصوصاً أن أمراء مكة كانوا يتبعون المذهب الزيدي .

وقد أوضح الطبري في المقدمة أنه استقى هذا الكتاب ( من كتب ذوات عدد ، على وجه الاختصار وحذف السند ، ليسهل على الناظر تناوله ، ويقرب على الطالب فيه ما يحاوله ، عازياً كل حديث إلى الكتاب المخرج منه ، منبهاً على مؤلفه أو من أخذ عنه )<sup>(٢)</sup> ثم ذكر هذه المصادر فبلغت مائة واثنين وسبعين مؤلفاً<sup>(٣)</sup> منها مما لا يعلم عنه شيء الآن .

وقسم الكتاب قسمين ، القسم الأول : وهو نحو ستين صفحة في مناقب الأعداد ، وهو في فضائل العشرة والأربعة الخلفاء ، وفيما ورد في فضائل ما دون العشرة<sup>(٤)</sup> ، والقسم الثاني : في مناقب كل واحد منهم على حدا<sup>(٥)</sup> ، ويمتاز الكتاب بأنه حشد طائفة من الآثار والأحاديث في حق كل واحد من العشرة في مكان واحد ، ولأهميته بقي معروفاً بعد وفاة مؤلفه يقرأ ويتداول ويختصر ويزداد عليه ، فقد ذكر حاجي خليفة : أن الشيخ عمر بن أحمد بن الشماخ الحلبي ( ت ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م ) انتقى كتابه « الدر الملتقط » من « الرياض النضرة »<sup>(٦)</sup> ، وللكتاب مختصرات أخرى<sup>(٧)</sup> .

وللمحب الطبري أيضاً كتاب « القرى لقاصد أم القرى »<sup>(٨)</sup> ، وهو كتاب مشترك في الحديث والفقه والحوادث التاريخية وأخبار بعض الزهاد الذين قدموا مكة ، وفي آخره فصل يتعلق بفضائل البلدان كالمدينة

---

(١) الطبري ( محب الدين ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) : الرياض النضرة في مناقب العشرة ، بيروت - دار الكتب العلمية ،

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ١ / ص ٧ .

(٢) الطبري : الرياض النضرة ، ج ١ / ص ٧ .

(٣) الطبري : الرياض النضرة ، ج ١ / ص ٨ - ١٢ .

(٤) الطبري : الرياض النضرة ، ج ١ / ص ١٥ - ٦٠ .

(٥) الطبري : الرياض النضرة ، ج ١ / ص ٦٠ حتى نهاية ج ٤ / ص ٣٥٩ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٩٣٧ - ٩٣٨ .

(٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ / ص ٢١٩ .

(٨) طبع بتحقيق مصطفى السقا - مكتبة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

وبيت المقدس ودمشق واليمن ومصر<sup>(١)</sup> .

ومن مؤلفاته أيضاً « السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين »<sup>(٢)</sup> وهذا الكتاب يتحدث عن تراجم زوجات الرسول ﷺ والأحاديث الواردة فيهن ، وله كذلك « ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى »<sup>(٣)</sup> و « أحاديث مشكلة »<sup>(٤)</sup> ، و « صفوة القرى في صفة حجة ﷺ وطوافه بأمر القرى »<sup>(٥)</sup> ، و « غاية الأحكام في أحاديث الأحكام »<sup>(٦)</sup> الذي اشتهر في كثير من البلدان ، و « ترتيب جامع المسانيد لابن الجوزي » و « الأحكام الوسطى » و « الأحكام الصغرى » ويتضمن ألفاً وخمسة عشر حديثاً ، و « المحرر للملك المظفر » جمع فيه أحكام الصحيحين ، و « العمدة مختصر المحرر » و « أربعون في الحديث » و « الأحاديث العوالي » و « عواصف النصر في تفضيل الطواف على العمرة »<sup>(٧)</sup> .

٥ - رضي الدين الطبري ( ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ) :

- 
- (١) الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٦٦٧ - ٦٩٢ - ٦٩٤ .
- (٢) ذكر بروكلمان أن راغب الطباخ نشره في حلب سنة ١٩٢٨ م .
- بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ / ص ٢٢٠ . وقد طبع ثانية في حلب ، ونشرته مكتبة التراث الإسلامي .
- (٣) نشرته مكتبة القدسي سنة ١٣٥٦ هـ بالقاهرة عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الخزانة التيمورية ، ويقع الكتاب في ٢٦١ صفحة من دون الفهرس ، كما نشرته دار الكتب العراقية سنة ١٩٦٧ م ببغداد .
- (٤) ذكر بروكلمان أنه موجود بالمدينة المنورة .
- بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ / ص ٢٢٠ .
- (٥) ذكر بروكلمان أنه موجود بالقاهرة .
- بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ / ص ٢٢٠ .
- (٦) مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، وهو في ستة أجزاء ، ذكر ذلك : العيني ( بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ٣ / ص ٢٨٤ ، ناقص منه الجزء الأول والجزء الخامس ، ميكروفيلم أرقامه ، ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٧ حديث مصور عن الخزانة العامة بالرباط .
- (٧) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .
- العيني : عقد الجمان ، ج ٣ / ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .
- السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٤٨٥ .

له كتاب في الحديث « الأربعون التساعية الصحاح العوالي »<sup>(١)</sup> .

٦ - محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي المعروف بالبهاء الخطيب ( ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م ) :

خطيب مكة وابن خطيبها ، سمع الحديث من جده المحب الطبري بعدة روايات ، ودرس الفقه على الفقيه التوزري ، وسمع من أبيه بعض صحيح البخاري وعنه أخذ خطابة الحرم سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م ، وقد كان محدثاً وشاعراً<sup>(٢)</sup> .

#### ٤ - علم الفقه وأصوله :

هو من أجل العلوم الإسلامية وأهمها ، وأبعدها أثراً في التكوين العقلي ، فهو ( العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ) ، وموضوعه الحكم على كل جزئية من أعمال الناس بالحل أو التحريم أو الكراهة أو الوجوب ، ودليل كل واحد من هذه الأمور<sup>(٣)</sup> .

أما أصول الفقه ، فهو العلم الذي يبين المناهج التي انتهجها الأئمة المجتهدون في استنباطاتهم . وهو مجموعة القواعد التي تبين للفقيه طرائق استخراج الأحكام من الأدلة الشرعية<sup>(٤)</sup> ، وهؤلاء 'الأئمة هم أئمة المذاهب الأربعة التي انتشرت مذاهبهم في العالم الإسلامي منذ العصر العباسي ، والمعروف أنه منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما تلاه من قرون ندر وجود العلماء الذين اشتهروا بالتجديد والاجتهاد ، وزادت حدة التقليد والإتباع لهذه المذاهب ، إلى أن جاء عصر الماليك ، وقد رسخت فكرة التقليد والانتساب إلى حد أنه ينذر أن تجد مجتهداً مستقلاً في الفروع ، بل إن كبار العلماء في ذلك العصر كانوا منتمين إلى أحد هذه المذاهب ، ولم يصل أحد بعد الأئمة الأربعة إلى مرتبتهم ، فيؤسس مذهباً خاصاً به ، ويجد أتباعاً ينتسبون إليه .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٤٦ - ٤٧ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) أبو زهرة ( محمد ) : أصول الفقه ، القاهرة - دار الفكر العربي ، ( د . ت ) ، ص ٥ .

(٤) البرديسي ( محمد زكريا ) : أصول الفقه ، بيروت - دار الفكر ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٨ م ، الطبعة الثالثة ، ص ٢١ .

والحجاز لم يشذ عن البلدان الإسلامية الأخرى ، فكان علماؤه في ذلك العصر ينتسبون إلى تلك المذاهب ويدرسون كتبها ، ويستنبطون الأحكام وفق أصولها ، فلم تنهياً لأي بلد من بلدان العالم الإسلامي مثلما تمهياً للحجاز من وجود المذاهب الإسلامية جميعها بسبب وجود الحرمين الشريفين فيها .

كما أن وجود أئمة الصلاة الأربعة في الحرم المكي الشريف وأحياناً خمسة ، ساعد على انتشار المذاهب في الحجاز ، بالإضافة إلى ذلك فإن حكام الحجاز كان لهم تأثير كبير في انتشار المذهب الذي يتبعونه في المناطق التي يسيطرون عليها ، ولأن سلاطين المماليك من أتباع المذهب الشافعي ، فقد انتشر هذا المذهب معظم أنحاء الأمصار التي سيطروا عليها ، ومنها الحجاز التي لوحظ أن مؤلفات الفقهاء الشافعية ومصنفاتهم فيها أكثر من مؤلفات المذاهب الأخرى ومصنفاتها .

كما قام كثير من السلاطين والأمراء وغيرهم من أصحاب الأموال الذين يتبعون مذاهب معينة بالتأثير في بعض العلماء وطلبة العلم وغيرهم من عامة الناس ، حتى يتحولوا إلى المذهب الذي يتبعونه ، وهذا التأثير يكون إما بإنشاء المؤسسات التعليمية وإما بتولية المناصب ، كالقضاء والحسبة . لذا وجد في بعض الأسر المكية أو المدنية من تحول عن مذهبه الذي كانت تتبعه أسرته إلى مذهب آخر <sup>(١)</sup> .

وكانت أهم الكتب التي ألفها علماء الحجاز ومجاوروه والتي اهتموا بتدريسها تختص بكتب المناسك لأن كثيراً من الحجاج والمعتمرين يحتاجون إلى تلك الكتب لتوضيح مناسك الحج ، وما ينبغي للحجاج أن يفعلوه ، وكان نشاط المذهب الشافعي ظاهراً على بقية المذاهب في الحجاز ، ويتجلى ذلك في إمامة المقام ، إذ أن إمام مقام الشافعية هو الذي يبدأ أولاً بالصلاة في الحرم المكي الشريف ، كما أن أشهر العلماء وأكبر الأسر في مكة توارثت إمامة المقام والخطابة بالحرم المكي الشريف ، مثل أسرة الطبري ، وأسرة ابن ظهيرة والقسطلاني والعسقلاني .

ومن كتب المذهب الشافعي التي تناولها أتباع المذهب بالاختصار والشرح والتعليق :

١ - كتاب « التنبيه في فروع الشافعية » للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

- ( ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ) ، وهو أحد الكتب المشهورة المتداولة بين الشافعية ، وأكثرها تداولاً <sup>(١)</sup> .
- ٢ - كتاب « المذهب في الفروع » للشيرازي أيضاً <sup>(٢)</sup> .
- ٣ - كتاب « الورقات » لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي ( ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م )  
وسمي بالورقات ، لأنه قال في مقدمته : ( هذه ورقات قليلة تشتمل على معرفة فصول من أصول الفقه  
ينتفع بها المبتدئ ) <sup>(٣)</sup> .
- ٤ - كتاب مختصر أبي شجاع في الفروع ، لأحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني الشافعي ( ت ٥٠٠ هـ /  
١١٠٦ م ) <sup>(٤)</sup> .
- ٥ - كتاب « الحاوي الصغير في الفروع » للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي  
( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) ، وهو من الكتب المعتمدة بين الشافعية <sup>(٥)</sup> .
- ٦ - كتاب « منهاج الطالبين » في مختصر « المحرر » في فروع الشافعية للإمام محيي الدين أبي زكريا بن  
شرف النووي الشافعي ( ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ) <sup>(٦)</sup> .
- ٧ - كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » مختصر للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله ابن عمر  
البيضاوي ( ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) ، وقد شرحه الإمام جمال الدين عبد الرحيم ابن حسن الإسفوي  
( ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م ) صاحب « المهمات » ، وسماه « نهاية السؤل في شرح الأصول » <sup>(٧)</sup> .
- ويأتي بعد المذهب الشافعي أتباع المذهب المالكي ، وأغلب المنتمين إلا هذا المذهب ترجع أصولهم إلى

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٤٨٩ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٩١٢ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ٢٠٠٥ .

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٢٥ .

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٦٢٦ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٧٣ .

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٧٨ .

الأندلس والمغرب العربي<sup>(١)</sup> ، أما الكتب والمؤلفات التي تناولها فقهاء المالكية بالشرح والاختصار فهي :

١ - كتاب المدونة في فروع المالكية ، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي ( ت ١٩١ هـ / ٨٠٦ م ) وهو من أجل الكتب في مذهب مالك<sup>(٢)</sup> .

٢ - كتاب « المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام » مجلد ضخيم في الفروع على مذهب مالك للقاضي أبي الوليد هشام بن عبد الله الأزدي المالكي ( ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ) ، ورتبه على عشر فصول<sup>(٣)</sup> .

٣ - كتاب « منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل » للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي ( ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ) صنفه أولاً ثم اختصره وهو المشهور المتداول بـ « مختصر المنتهى » و « مختصر ابن الحاجب »<sup>(٤)</sup> ، وغيرها من كتب المالكية .

ويأتي بعد ذلك أتباع المذهب الحنفي ، الذي يوازي أتباع المذهب المالكي ، وأهم الكتب والمؤلفات التي تناولها فقهاء الحنفية هي :

١ - كتاب « الكافي في فروع الحنفية » للحاكم محمد بن محمد الحنفي ( ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م )<sup>(٥)</sup> .

٢ - كتاب « المقدمة الغزنوية في فروع الحنفية »<sup>(٦)</sup> للشيخ أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي ( ت ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ) ، وهي تأليف مختصر في العبادات ، ذكر فيها الفرائض والواجبات والسنن والآداب ، ورتبه على ثمانية أبواب : الأول في طلب العلم ، وفيه أربع فصول في مناقب الإمام أبي حنيفة ، وفيما يتعلق

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٨٣ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٤٤ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٧٧٨ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٥٣ .

(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٣٧٨ .

(٦) مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، أربع نسخ ، ميكروفيلم ، أرقامه ٤٢٢ -

٤٩١ - ٥٠٦ - ٥١٧ .

بالتوحيد ، وفي التقدير والاستنحاء ، وغير ذلك من الأمور الفقهية <sup>(١)</sup> .

٣ - كتاب « مجمع البحرين وملتقى النهرين » في فروع الحنفية للإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب ، المعروف بابن الساعتي البغدادي الحنفي ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) <sup>(٢)</sup> .

٤ - كتاب « كنز الدقائق » في فروع الحنفية للشيخ أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي ( ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ) <sup>(٣)</sup> وله كذلك « الوافي في الفروع » <sup>(٤)</sup> .

ويأتي بعد ذلك أتباع المذهب الحنبلي ، وهم أقل المذاهب الأربعة إتباعاً في الحجاز ، ولذلك كان نشاطهم أقل من بقية المذاهب في الفقه وعلومه ، ومن أهم الكتب التي تناولها فقهاء هذا المذهب بالشرح والاختصار ، كتاب « الكافي في فروع الحنبلية » للشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ( ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ) <sup>(٥)</sup> ، وله كذلك « مختصر الخرقى » ، ويسمى كذلك « المغني » <sup>(٦)</sup> وله كذلك « المقنع » <sup>(٧)</sup> .

وإلى جانب هذه المذاهب كان المذهب الزيدي الذي وجد مناصرة من أشراف مكة دهرًا من الزمان ، وأتباع هذا المذهب غالبهم من اليمن ولم تذكر المصادر أي مؤلفات لهذا المذهب خلال فترة هذه الدراسة . وبرز في هذا العصر الكثير من الفقهاء في المذاهب الأربعة ، وتحلى ذلك في وجود أئمة أربعة وأحياناً خمسة في الحرم ، وكذلك وجود أربع قضاة ، مما يدل أن اهتمامات علماء الحرمين كانت تشمل مختلف المذاهب ، فقد كان تدريس الفقه في الحرمين الشريفين يتم حسب كل مذهب من المذاهب المعروفة ، ولكل مذهب من المذاهب ركن خاص في كل من المسجد الحرام يلقي فيه الإمام الدروس ويصلي بجماعته في ركنه

(١) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٠٢ - ١٨٠٣ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٠٠ - ١٦٠١ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٥١٥ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٩٩٧ .

(٥) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٣٧٨ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٦٢٦ .

(٧) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٨٠٩ .

المخصص له ، فقد كان إمام الشافعية يتخذ مكانه خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، والإمام المالكي مكانه عند الركن اليماني ، والإمام الحنفي مكانه أمام الميزاب ، أما الإمام الحنبلي فيتخذ مكانه بين الحجر الأسود والركن اليماني<sup>(١)</sup> ، وأشار ابن جبير إلى إمام خاص لفرقة الزيدية غير الأئمة السنيين ، وأن أشرف مكة كانوا على هذا المذهب<sup>(٢)</sup> ، ولا شك أن هؤلاء الأئمة للمذاهب السنية الأربعة كانوا أعلاماً لهذه المذاهب ، وربما كانوا يدرسون الكتب ويستنبطون الأحكام من خلال فقه المذاهب التي قاموا بتدريسها ، وأكثر حلقات العلم تدريساً حلقات علماء الشافعية والحنفية ، وفي عصر المماليك كانت الشافعية هي الأكثر شيوعاً لأن السلاطين كانوا على ذلك المذهب ، وكان السلطان يستشير القاضي الشافعي عند تولية قضاة المذاهب الأخرى .

ومن أشهر علماء الفقه الذين تواجدوا في الحجاز خلال فترة هذه الدراسة :

١ - أحمد بن أبي بكر بن محمد بن محيي الدين أبو جعفر الطبري المكي الشافعي ( ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) :

ولد بمكة ، وتفقه فيها وسمع من علمائها ، درّس وأفتى وكتب بخطه كتباً علمية ، ولي قضاء مكة وترجم على قبره القاضي الإمام العالم الزاهد المدرس بالحرم الشريف محيي السنة ناصر الشرع شرف القضاة القاضي الحرمين الشريفين والمفتي بهما<sup>(٣)</sup> .

٢ - الإمام الفقيه سليمان بن خليل العسقلاني ( ت ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م ) :

خطيب الحرم ، جمع المنسك الكبير المعروف بين فقهاء مكة بـ « مناسك الفقيه سليمان »<sup>(٤)</sup> ، وذكر الفاسي : أنه رأى هذا الكتاب في مجلدين ، وأثنى على صاحبه بقوله : ( واشتغل بالتنبيه على مذهب

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٤٣ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٩ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٤ / ص ١٥٩ - ١٦٠ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ١٧٩ .

الشافعي ، وكان مثابراً على خدمة العلم وأهله ، وبسبب ذلك تعطل دكان العطارة الخاصة به ، وجلس للتدريس (١) .

٣ - الإمام ضياء الدين أبو عبد الله بن الإمام تقي الدين أبي البركات القسطلاني المكي المالكي إمام المالكية بالحرم الشريف ( ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ) (٢) :

ذكره المحب الطبري فقال : ( إمام المالكية بالحرم الشريف ومفتيها ومدّرسها قرأ وأقرأ أفاد واستفاد ، روى الكثير وارتحل إلى مدينة السلام وغيرها من البلاد ، وغلب عليه الفقه والفتوى ) ، وكان عالماً بالأصول والفقه والعربية والحديث ، سمع وحَدَّث ودرّس وكان شاعراً حسناً (٣) .

٣ - أحمد بن عبد الواحد بن مَرَى بن عبد الواحد ، أبو العباس الزاهري المقدسي الأصل الحوراني الشافعي نزىل مكة ( ت ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ) (٤) :

سمع منه الكثيرون ، وقال عنه الذهبي : ( أنه درّس وأفاد وحَدَّث وأعاد بمستنصرية بغداد وكان جامعاً في العلم والعمل ) ، ووصفه المحب الطبري : ( طاووس الحرمين مفتي الطائفتين ونجيب الطبقتين الفقيه الإمام الرباني الخبر المحدث الوجداني ) ، توفي بالمدينة النبوية (٥) .

٤ - محمد بن عيسى بن سالم بن علي بن محمد الأزدي الدوسي المفتي جمال الدين المعروف بابن خشيش

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣١ - ٢٣٦ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٨٩ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٣٢ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٨٣ - ٨٦ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١١٧ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ٩٨ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ١٣٩ .

(٥) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ١١٨ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ١٣٩ .

الشافعي ( ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م )<sup>(١)</sup> :

درّس وأفتى بمكة المكرمة ، ومن مؤلفاته كتاب «المقتضب في الفقه» ونظمه لكتاب التنبية لأبي إسحاق الشيرازي وشرحه له في أربع مجلدات وقفا في رباط ربيع بمكة المكرمة<sup>(٢)</sup> ، وله كراسة في علم الحديث سماها «صفوة علم الحديث في الميز بين الطيب والخبيث» ، وكانت وفاته بالمدينة المنورة<sup>(٣)</sup> .

٥ - قطب الدين القسطلاني ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) :

ألف كتاب «المناسك»<sup>(٤)</sup> و «تتميم التكريم لما في الحشيش من التحريم» ، و «تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة»<sup>(٥)</sup> ، ويعد من أوائل المؤلفين في تحريم الحشيشة .

٦ - المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :

له في الفقه مبسوطات ومختصرات ، ومن المبسوطات كتابه في الأحكام ، أجاد فيه وأفاد ، وجمع الصحيح والحسن ، وبين فيه الكثير من الأمور الفقهية ، ومن تأليفه في الفقه «تأليفه على شرح التنبية» في عشرة أجزاء ، و «النكت الكبرى على شرح التنبية» و «النكت الصغرى» ، وكتاب «مختصر التنبية الأكبر» في مجلد ، و «مختصر الأصغر» و «المسلك النبيه إلى تلخيص التنبية» وكتاب «تحرير التنبية لكل طالب نبيه» ، وكتاب «مختصر المذهب» في مجلدين ، وكتاب «الطراز المذهب للملك المظفر» وذكر أن هذا

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ / ص ١٠٥ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٥٥٨ .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٥٥٨ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢٤٦ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٥٥٨ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ / ص ٢٠٢ .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ / ص ٤٣ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

(٥) طبع بتحقيق الدكتور ياسين بن ناصر الخطيب الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ونشرته

المكتبة التجارية بمكة المكرمة .

الكتاب لم ينقح ، ولم يخرج من المسودة ، و «مجموع الخلاف على طريق المتأخرين»<sup>(١)</sup> مجلد لم يتم ، و «استقصاء البيان في أحكام الشاذروان»<sup>(٢)</sup> ، وألف كتاباً في المناسك<sup>(٣)</sup> وذكر الياضي أن كتب المحب الطبري لم تنشر في البلدان إلا كتاب الأحكام فهو معروف في البلدان الإسلامية<sup>(٤)</sup> .

٧ - محمد بن أحمد بن عبد الله ، جمال الدين ابن المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :  
قاضي مكة ، له كتاب في المناسك سماه «التشويق إلى البيت العتيق»<sup>(٥)</sup> ، وهو كتاب في الفقه والتاريخ معاً ، لأنه يتضمن الشوق للحج آثاره وأسراره وما ينبغي للحاج أن يفعله ، وتحدث فيه أيضاً عن تاريخ البيت المعظم وبقائه وحدوده ، وقد قسمه ثلاثين باب وخاتمة .

٨ - محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن أبي عبد الله العسقلاني المكي ، رضي الدين أبو عبد الله المعروف بابن خليل الشافعي ( ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م ) أو التي بعدها<sup>(٦)</sup> :

- 
- (١) ذكره الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٤ .  
وذكر جميع مؤلفاته ، السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٧ / ص ١٦٢ - ١٦٤ .  
ابن فهد : معجم الشيوخ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .  
(٢) الشاذروان : بفتح الذال المعجمة وسكون الراء المهملة - بناء لطيف جداً ملصق بمجدار الكعبة ، وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً ، ويسمى تأزيراً لأنه كإزار البيت .  
النووي ( يحيى بن زكريا ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ) : تهذيب الأسماء و اللغات ، القاهرة - إدارة المطبعة المنيرية ( د . ت ) ، ج ٢ / ص ١٧١ .  
المقري ( أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ) : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الطبعة الخامسة ، القاهرة - المطبعة الأميرية ، ١٩٢٢ م ، ص ٤١٨ .  
(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٢ / ص ١٧٩ .  
(٤) الياضي : مرآة الجنان ، ج ٤ / ص ٢٢٤ .  
(٥) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقمها ٨ / ٢١٢ ب في ١١٣ ورقة ، انظر فهرس المخطوطات التي اقتنتها الدار من عام ١٩٣٦ م إلى ١٩٥٥ م ، تصنيف فؤاد السيد ، ج ١ / ص ١٥٩ .  
(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٥٩ .  
الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٨٤٧ .  
البرزالي : المقتفي ، ج ٢ / ص ٥٣٢ =

شيخ الحرم ومفتيه ، سمع منه جماعة من الأئمة منهم الرحالة ابن رشيد ومدحه بقوله : ( فقيه الحرم الشريف ومفتيه الصالح المبارك )<sup>(١)</sup> ، والرشيد العطار وعلم الدين البرزالي وذكره في معجمه فقال : ( كان شيخاً جليل القدر عالماً متديناً له معرفة بالفقه على مذهب الشافعي وعليه مدار الفتوى بمكة معتمداً فيها )<sup>(٢)</sup> ، وقال عنه الذهبي : ( كان فقيهاً عالماً مفتياً ذا فضل ومعارف وعبادة وصلاح وحسن أخلاق )<sup>(٣)</sup> .

٦ - محمد بن علي الأندلسي أبو عبد الله الغرناطي ( ت ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ) :

ذكر البرزالي : ( أنه أقام بالحرمين نحو خمسة عشر سنة ومعظم إقامته بالمدينة المنورة ) ، وترجمه الذهبي بالإمام العلامة المتفنن ، وقال : ( كان بارعاً في مذهبي مالك والشافعي ، عارفاً بالنحو وعلم الفلك ، وله شعر رائق واشتغل بالعربية زماناً ) ، أقرأ وحَدَّث بالموطأ للإمام مالك ، كما درَّس شيء من نظمه<sup>(٤)</sup> ، ومن شعره :

جُرْ فِي عَظِيمٍ وَإِنِّي      بِمُحَمَّدٍ أَرْجُو التَّسَامُحَ فِيهِ  
فَبِهِ تَوَسَّلْ آدَمُ فِي ذَنْبِهِ      وَقَدْ اهْتَدَى مَنْ يَقْتَدِي بِأَبِيهِ<sup>(٥)</sup> .

٧ - نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفهاني ( ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م )<sup>(٦)</sup> :

= العامري : غريال الزمان ، ص ٥٤٢ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٧ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٥٩ .

نواب : الرحلات المغربية الأندلسية ، ص ٢٦٧ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٠ .

البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٢ / ص ٥٣٢ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٠ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٨٤٧ .

(٤) البرزالي : المقتفي على كتاب الروضتين ، ج ٤ / ص ١٧٩ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢١٩ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤١٦ =

سمع الحديث على جماعة ، وتفقه على المذهب الشافعي ، وقرأ الأصول ، والعربية والفرائض والجبر والمقابلة ، وقرأ القراءات السبع ، وله مصنفات منها « مختصر الروضة »<sup>(١)</sup> في فروع الفقه الشافعي في مجلدين ، اشتهر في الكثير من البلدان . أثنى عليه ابن حجر قال : ( مختصر جيد نفيس )<sup>(٢)</sup> ، وذكر السبكي أن بعضه في الحجرة النبوية<sup>(٣)</sup> .

## ٥ - التصوف :

لم يكن في الحجاز في ذلك العصر اهتمام بعلم العقائد ، لذلك قلَّ المشتغلون به والراغبون فيه ، أما التصوف فهو موجود عند الكثيرين ممن أرادوا المجاورة بقصد العبادة فقط ، ومعظم هؤلاء كانوا يسكنون الأريطة المعدة للغرباء والمجاورين ، والقليل من هؤلاء أُلِّف في هذا الفن ، ومن كان له أثر في هذه العلوم : خاتون بنت محمد بن علي الخطيني الأصبهاني أم محمد المكية ( ت بعد ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ) أُلِّف في التصوف كتاباً في خمسة مجلدات أسمته « الرموز من الكنوز »<sup>(٤)</sup> .

وعبد الحق بن إبراهيم بن محمد المرسي المعروف بابن سبعين الصوفي ( ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م )<sup>(٥)</sup> ، وذكر الفاسي : ( أن ابن سبعين مازال مشرداً في البلاد ينفي من بلد إلى بلد وأصحابه مذمومون مبغوضون ) ، حكى عنه مقالات تدل على كفره بقوله ( لا نبي بعدي ) ، وذكر ابن كثير : أن ابن سبعين أقام بجبل

---

= ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ / ص ٣٥٠ .

اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٤ / ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ / ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(١) ذكر الزركلي أنه مخطوط في جزئين في فروع الشافعية ، ضمن مخطوطات الظاهرية بدمشق .

الزركلي : الأعلام ، ج ٣ / ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ / ص ٣٥٠ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ١٠ / ص ٨١ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ / ص ٢٠٢ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ٢٧٦ .

الفاسي المكي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٣٢٦ .

حراء بمكة مدة ينتظر الوحي <sup>(١)</sup> ، وكان قد عقد مجلساً بمكة يدرس ويلقي على الناس آراءه ، سمعه ابن دقيق العيد <sup>(٢)</sup> بمكة وقال : ( رأيت ابن سبعين بمكة وهو يتكلم للناس بكلام ألفاظه معقولة المعنى ، وحين تركبها لا تفهم لها معنى ) ، ووقع بينه وبين علماء مكة خلاف بسبب آرائه الشاذة وطعنوا فيه <sup>(٣)</sup> ، ومن دافع عنه تلميذه يحيى بن محمد بن سليمان المغربي الصوفي ( ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) نزيل الحرمين في كتابه « الوراثة المحمدية والفصول الذاتية » <sup>(٤)</sup> .

ولقبط الدين القسطلاني ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) في التصوف كتاب « اقتداء الغافل باهتداء العاقل - خ » <sup>(٥)</sup> و « لسان البيان عن اعتقاد أهل الجنان » ثم اختصره ، و سماه « ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة » <sup>(٦)</sup> . كما اختصر الحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) « عوارف المعارف » في التصوف للسهروردي <sup>(٧)</sup> .

### ثانياً : العلوم اللغوية والأدبية :

إن الهدف الأساسي في اللغة هو وضع القواعد اللغوية التي من شأنها المحافظة على أصول اللغة العربية السليمة ، وقد وضعت أسسه الأولى في البصرة والكوفة ، وقد كان الهدف الأساسي من وضع تلك

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٣٣٤ .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب ، تقي الدين القشيري أبو الفتح المنفلوطي المصري ( ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م ) ، كان زاهداً عالماً عارفاً بالمذهب المالكي والمذهب الشافعي ، متقناً لأصول الدين وأصول النحو واللغة والفقه ، صاحب التصانيف الكثيرة .

ابن النجار ( تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي ت ٩٧٢ هـ / ١٥٦٤ م ) : شرح الكوكب المنير ، تحقيق : محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ج ١ / ص ٤٦٦ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٣٢٩ .

(٤) البغدادي : هدية العارفين ، ج ٢ / ص ٥٢٥ .

كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٣ / ص ٢٢١ .

(٥) الزركلي : الأعلام ، ج ٥ / ص ٣٢٣ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

(٧) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٤ .

القواعد حفظ القرآن الكريم وسلامته من اللحن عند قراءة المسلمين له ، لا سيما أبناء الشعوب الأعجمية الذين دخلوا في الإسلام<sup>(١)</sup> ، وقد اشتركت جميع أمصار الدولة الإسلامية في التراث اللغوي والنحوي ، حيث لم يظهر كتاب في حاضرة من حواضر العالم الإسلامي إلا كان موجوداً في معظم المدن على اختلافها ، وهذا يبين مدى الاتساع في رقعة الاهتمام بالعلوم اللغوية ، وذلك من خلال رحلات التجوال التي قام بها العلماء من مدينة إلى أخرى للتعليم ونشر العلم<sup>(٢)</sup> ، إضافة إلى موسم الحج الذي كان بمنزلة فرصة للاطلاع وتبادل الكتب وتلاحم الأفكار<sup>(٣)</sup> ، فلا يكاد الباحث يقرأ عن سيرة عالم ما إلا وُكِّب عنه أنه تنقل بين بغداد ودمشق والقاهرة ومكة والمدينة ، وما شابه ذلك من المدن الإسلامية مصطحباً معه بعضاً من إنتاجه العلمي أو ما قرأ فيه وتعلمه ، وكان العلماء يرون أن علومهم لا تكتمل إلا إذا رحلوا شرقاً وغرباً لمناظرة العلماء أمثالهم أو لقراءة الكتب المختلفة الخاصة بالعلم الذي يراد التعمق فيه ، بالإضافة إلى أمر هام وجوهري أن كل العلماء الذين استعرضهم البحث وحتى الذين لم يستعرضهم عرفوا إلى جانب اهتمامهم بفرع من العلوم علوم اللغة العربية .

أما نشاط حلقات علوم اللغة العربية فقد اهتم بها معظم علماء الحجاز ومجاوريه ، حيث كانت علوم اللغة العربية تدرّس ضمن حلقات العلم الأخرى ، كما كان بالحرم المكي والحرم المدني حلقات خصصت لتدريس علوم اللغة العربية من لغة ونحو وصرف وشعر بالإضافة إلى المعاني والبيان ، وبلغ اهتمامهم باللغة والنحو حفظ أمهات الكتب وبخاصة المختصرات المشهورة التي بدأت تظهر في هذا العصر ، وفيما يلي استعراض لأهم العلوم اللغوية التي عرفها الحجاز خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين :

## ١ - النحو واللغة :

اهتم المسلمون بدراسة علم النحو كونه أهم علوم اللغة العربية وأبرزها ، وذلك لاتصاله الوثيق بعلوم الدين

(١) الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ص ٧٢ .

(٢) المالكي ، بلاد الحجاز ، ص ٢١٩ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٣٩٢ .

ولكن قيادته ظلت للعراق ، إلا أن دراسة النحو كانت موضع اهتمام المتعلمين في كل مكان .  
فلما جاء الإسلام وانتشر خارج الجزيرة العربية ، اضطرب العرب للاختلاط بغيرهم ، وزاد اتصالهم بالأعاجم  
في سائر الأمصار ، وتبادلوا معهم التجارة والمنافع ، فأخذ الفساد يدب في تلك السليقة العربية وظهر  
اللحن بين العرب علاوة على الدخلاء من الأعاجم ، وساعد على ذلك أن اللغة العربية لغة مُعربة ،  
سرعان ما يتسرب إليها اللحن والفساد<sup>(١)</sup> ، وقد ظهر اللحن في العهد النبوي ، إذ يروى عبد الله بن  
مسعود أن رجلاً لحن في حضرة الرسول الكريم ﷺ فقال : ( أرشدوا أحاكم فقد ضلّ )<sup>(٢)</sup> ، وقد شاع  
اللحن بين أواسط الناس وجرى على ألسنة العجم المستعربين فهال ذلك أولي الأمر ، وخافوا أن يتسرب  
إلى القرآن الكريم والحديث الشريف ، فأسرع المفكرون والعلماء إلى وضع قواعد يُهتدى بها لحفظ اللغة من  
هذا الخطر الداهم ، وقد هداهم تفكيرهم إلى وضع علمي النحو واللغة<sup>(٣)</sup> ، وفي ذلك إشارة واضحة على  
أن نشوء النحو كان مبكراً ، ومما يجدر الإشارة به أن فترة الدراسة شهدت وجود عدد من علماء اللغة  
والنحو كان لأكثرهم شهرة واسعة في العالم الإسلامي ومنهم :

١ - عبد الله بن طلحة الأندلسي ( ت ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م ) :

اشتهر بإحسانه لتدريس كتاب « سيبويه »<sup>(٤)</sup> على الطلاب في الحرم المكي الشريف<sup>(٥)</sup> ، مما جعل  
الزخشي ( ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ) يرحل في شببته من موطنه خوارزم ليأخذ عنه العلم<sup>(٦)</sup> .

(١) النجار ( محمد عبد العزيز ) : ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ /

٢٠٠١ م ، ج ١ / ص ٨ .

(٢) أبو الطيب اللغوي ( عبد الواحد بن علي ) : مراتب النحويين ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - دار النهضة

١٩٧٤ م ، ص ٢٣ .

النجار : ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ج ١ / ص ٨ .

(٣) النجار : ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ج ١ / ص ٨ .

(٤) لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه النحوي البصري الحارثي المتوفى سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م .

خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٤٢٨ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١٨٢ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ١٣٨ .

٢ - محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ) :

مفسر نحوي لغوي بياني أديب ، رحل إلى مكة المكرمة فسمي بجار الله لطول مجاورته بمكة ، أُلّف فيها الكثير من كتبه وأُلّف فيها مؤلفات اشتهرت بين الناس في الحجاز والأقاليم المجاورة ، وكان لا يُبارى في اللغة والنحو ، ومن أشهر مؤلفاته معجمه المشهور «أساس البلاغة - ط» وكتاب «المفصل في النحو - ط» و«الإنموذج في النحو - ط» وكتاب «الكشاف في تفسير القرآن - ط» و«أساس البلاغة في اللغة - ط»<sup>(١)</sup> ، ولا ريب أن هذا العالم النحوي اللغوي العظيم بعث في الحجاز عامة حركة علمية في فنون اللغة والنحو ، ولا بدّ أن كثيراً من طلاب العلم شدّوا الرحال إليه في مكة ليتلقوا عنه مصنفاته ، ويحملوا منه الإجازات ، وذكره ابن خلكان في تاريخه فقال : ( الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان فكان إمام عصره غير مدافع تشد إليه الرحال في فنونه )<sup>(٢)</sup> ، ومن شعره :

إِلَهِي إِلَيْكَ الْمِشْتَكَى نَفْسٌ مُسِيئَةٌ      إِلَى الشَّرِّ تَدْعُونِي ، عَنْ الْخَيْرِ تَنْهَانِي  
وما يشتكى الشَّيْطَانُ إِلَى مُعَقِّلٍ      أَلَا إِنَّ نَفْسَ الْمِشْتَهِي أَلْفُ شَيْطَانٍ<sup>(٣)</sup> .

٣ - الحسن بن محمد بن الحسن الرضي الصغاني ( ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ) :

جاور بمكة ورحل إلى بغداد في طلب العلم ، وتلمذ على أئمة علماء مكة في اللغة ، والفقه والحديث ، وأُلّف كتباً عديدة في معاجم اللغة منها «مجمع البحرين» في أثني عشر مجلد وكتاب «الشوادر في اللغات» و «المنتهى في علم اللغة» وأُلّف كتباً عديدة في معاجم اللغة من أمثال «التكميلة» و«الذيل» و

(١) ياقوت الحموي ( بن عبد الله أبو عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) : معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب في معرفة

الأديب ، بيروت - دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ج ٥ / ص ٤٩٤ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٨ .

العامري : غريبال زمان ، ص ٤٢٣ .

اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ / ٢٦٩ .

كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٢ / ص ١٦٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ١٤٥ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ / ص ١٣٩ .

« الصلة » وكتاب « النوادر في اللغة » وكتاب « العباب الزاخر واللباب الفاخر » وكتاب « العروض »<sup>(١)</sup>.

٤ - محمد بن أحمد بن عبد الله الجمال ابن الحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :

قاضي مكة ، ترجمه الحافظ الذهبي : ( كان متفنناً بالفقه والعربية ) ، ومن تأليفه في علم اللغة « عمدة المتلفظ بتنظيم كفاية المتحفظ » في اللغة<sup>(٢)</sup>.

٥ - محمد بن محمود بن علي الكاشغري ( ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م ) :

جاور بمكة أربع عشرة سنة صنف فيها كتاباً سماه « مجمع الغرائب ومنبع العجايب » في أربع مجلدات ، وكان ماهراً في النحو واللغة والتفسير والوعظ<sup>(٣)</sup>.

٦ - أبو عبد الله محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي ( ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م )<sup>(٤)</sup> :

المعروف بابن آجرؤم النحوي المقرئ ، ألّف بمكة « المقدمة الآجرؤمية »<sup>(٥)</sup> في النحو درّست لطلاب العلم المبتدئين<sup>(٦)</sup>.

## ٢ - الأدب :

لم يقتصر اهتمام العلماء بعلوم الدين والنحو واللغة بل كان لهم اهتمام كبير بالأدب ولا سيما الشعر،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ١٧٦ - ١٧٧ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٠ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٢٩٤ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٥ / ص ٧٩٤ .

البرزالي : المقتفي ، ج ٢ / ص ٤٠٨ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ١٠٤ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٣١٦ - ٣١٧ .

المزني : الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن ، ص ٢٠٣ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ / ص ٦٢ .

(٥) طبع سنة ١٨٤٤م في باريس .

الفاضلي ( عبد الهادي ) : فهرس الكتب النحوية المطبوعة ، الطبعة الأولى ، الزرقاء - الأردن ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٩٧ .

(٦) خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٧٩٦ .

فكان المسلمون ينشدونه في المساجد ، ومنها مسجد الرسول ﷺ والمسجد الحرام فكان ابن عباس يستنشد عمر بن أبي ربيعة <sup>(١)</sup> ، فينشده عمر من شعره وجلساء ابن عباس يستمعون <sup>(٢)</sup> .

وامتاز القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين بنمو اللغة وكثرة تفرعاتها المختلفة، والملاحظ أن اللغويين في هذا العصر بدؤوا مرحلة تبسيط اللغة من قواعد النحو والصرف ، ودونوا دواوين الشعراء كي يتفقه الناشئون ، وشارك الشعراء في هذا الصنيع ، ويعود السبب في مشاركتهم إلى أنهم شعروا بصعوبة اللغة وبدؤوا يسطون الشعر ، ولا يخوضون في غرائب اللغة كي تكون سهلة التناول من قبل المتلقين لها ، وقد ساعد على ذلك كله الناشئين على إتقان العربية والوقوف على الكثير من أسرارها .

ومن المعلوم أن الأدب العربي له بنيته الراسخة وأساليبه الموروثة ، ولا ينبغي أن يخرج عن معايير الذاتية إلى معايير أخرى ليست من طبيعته أو بيئته ، وهذا المبدأ التزمه علماء العربية في سائر أقطار الدولة الإسلامية، فاستخدموا الأساليب التي توافقت العصر آنذاك وتلائم الزمن ، فبرز الكتاب في جميع المجالات المختلفة ، ونشأ نظام المقامات وكتاب الإنشاء والرسائل والشعر وعلماء اللغة ، وأهم مظهر من مظاهر الأدب تجلّى في ظهور الشعر في هذه الفترة الزمنية <sup>(٣)</sup> .

#### أ - الشعر :

ظل الشعر في الجزيرة العربية طوال الحقبة الزمنية لهذا البحث ينهل من ينابيعه القديمة التي امتازت بها الجزيرة العربية شرقها وغربها شمالها وجنوبها . فنشط الشعر في الحجاز وفي كل أنحاء الجزيرة العربية وبخاصة مكة التي استقر فيها عدد كبير من الشعراء وامتلاّت كتب التراجم بأشعارهم حتى أن أمراءها من الحسينيين كانوا يجيدون الشعر والتغني به <sup>(٤)</sup> ، فقد كان الشعر غذاء المجالس ، وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين

<sup>(١)</sup> هو عمر بن المغيرة بن عبد الله المخزومي أحد فحول الشعراء في الحجاز المتوفي سنة ٩٣هـ / ٧١٢م .

الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٧ / ص ١٨٣ .

<sup>(٢)</sup> الأصفهاني ( أبو الفرج علي بن الحسين ) : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٧م ، ص ٧٦ - ٧٨ .

<sup>(٣)</sup> ضيف : تاريخ الأدب ، ج ٥ / ص ٧٤ .

المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٣ .

<sup>(٤)</sup> ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ / ص ١٤٢ =

وامتاز هذا الشعر بالتزامه باللغة العربية الفصحى<sup>(١)</sup> ، ولم يأخذ علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين اللغة والشعر عن مكة والمدينة ، والسبب يعود إلى أن هاتين المدينتين نزع إليهما الكثير من الموالي<sup>(٢)</sup> ، مما جعل علماء العربية لا يعتمدون عليهما في وضع قواعد اللغة العربية ، وبسبب أعجميتهم واستمرارهم بالمجاورة في مكة والمدينة ، واشتغالهم بالتدريس وإجادتهم اللغة ونظم الشعر زاد من أهمية هاتين المدينتين في هذا العصر . وكذلك لمناظرتهم علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج أدى إلى نبوغهم في اللغة<sup>(٣)</sup> ، وكان منهم أساتذة كثيرون يعلمون الناس اللغة العربية في الحرمين المكي والمدني ، وكان منهم من يقوم بتعليم الصبية في الكتاتيب مما أدى إلى تمكنهم في العربية ، وإدخال عبارات أعجمية في ألفاظ عربية<sup>(٤)</sup> ، إلا أن عمارة اليميني يقدم في كتابه « المفيد في أخبار زيد » رؤية خاصة تقول أن هؤلاء الوافدين الأعاجم كانوا يجيدون العربية ، وقد تتلمذ على أيديهم ، ولم يشعر بأن واحداً منهم لحن في شيء من الكلام<sup>(٥)</sup> ، ومن الجدير بالذكر أن الشعر في هذه الحقبة الزمنية كان يمثل ألواناً مختلفة ، وكان يدور على ألسنة الناس ، والشعر الذي انتشر في جميع أقاليم الجزيرة العربية هو الشعر النبطي<sup>(٦)</sup> ، والشعر النبطي هو نثر منظوم ولم يكن شعراً ، وكان علماء اللغة آنذاك لا يعتبرون الشعر النبطي شعراً لكثرة اللغة العامية فيه وخلوه من الفصحى ، وعلى الرغم من ذلك فإنه يعتبر شعراً له ازدهاره

= الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ١٠٢ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٤ .

(١) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٤ .

(٢) ضيف : تاريخ الأدب ، ج ٥ / ص ٨٩ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ / ص ١٤٥ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٢٠٨ .

السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٤٨ .

(٥) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٥ .

(٦) ضيف : تاريخ الأدب ، ج ٥ / ص ٩٤ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٥ .

فقد انتشر هذا الشعر في البوادي<sup>(١)</sup> ، وقد اشتهر الشعر في مدن الجزيرة وبين قبائلها وهم مجموعة من المكيين والمدنيين والتقيين واليمنيين وجميعهم يمثلون شعراء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وبعض هؤلاء الشعراء رحلوا إلى بغداد وأنشدوا بين يدي وزير السلاجقة نظام الملك<sup>(٢)</sup> فأعطى لهم الأعطيات والهبات المختلفة<sup>(٣)</sup> .

كما نبغ في هذه الفترة شعراء كثيرون في الحجاز واليمن ، والسبب في ذلك قيام دول صغيرة في اليمن ، وتقديم الأعطيات والهبات لهم من قبل أمراء اليمن<sup>(٤)</sup> ، وقد برز من أمراء الحجاز العديد من الشعراء ومنهم شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر ( ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ) الذي كان من أعلام الشعراء ومنها قوله :

وَصَلَّتْني الهُمُومُ وَصَلَ هَوَاكَ      وَجَفَّاني الرُّقَادَ مِثْلَ جَفَاكَ  
وَحَكَّى لي الرُّسُولُ أَنَّكَ غَضَّيْ      يَا كَفَى اللهُ شَرَّ مَا هُوَ حَاكَ<sup>(٥)</sup> .

وله قصائد في الشجاعة والمواقف الحاسمة والشعور بالكرامة ورفضه للضميم ومن هذا الشعر قوله :

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَلَى أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا      وَجَانِبِ الدُّلِّ إِنَّ الدُّلَّ يُجْتَنَّبُ  
وَارْجُلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقُصَةً      فَأَلْمَنْدُلُ الرِّطْبِ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبٌ<sup>(٦)</sup> .

(١) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ / ص ١٩٣ .

(٢) نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي أبو علي صاحب المدرسة النظامية ببغداد ( ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ) عاقل سائس متدين عامر المجلس بالقراء والفقهاء .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ / ص ٥٣ .

(٣) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٧ .

(٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٧ .

السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ / ص ٢٩٧ .

(٥) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٢٢٢ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ١٥ .

المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٨ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ١٦ =

وينضم إلى هؤلاء الأمراء علي بن محمد الصليحي ( ت ٤٧٣ هـ / ١٠٨١ م ) مؤسس الدولة الصليحية في اليمن ، وكان يجيد شعر الفروسية ومن شعره :

زَوَّجْتُ بِيضَ الْهِنْدِ شَمْرَ رِمَاحِهِمْ      فَرَّوْهُمْهُمْ عَوْضُ النَّارِ نِثَارِ  
وَكَذَا الْغُلَا لَا يُسْتَبَاحُ زَوَاجُهَا      إِلَّا بِحَيْثُ تُطْلَقُ الْأَعْمَارُ<sup>(١)</sup>

يصور في هذه القصيدة معاركه مع خصومه الذين هزمهم وترتب على انتصاره بسط نفوذه على بلاد اليمن والدعوة للفاطميين ونشر المذهب الإسماعيلي<sup>(٢)</sup> .

ودهمش بن وهاس ( ت ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م ) أحد أمراء المخلاف السلمي الذي جاور بمكة بسبب خلافه مع أبناء عمومته أمراء المخلاف ، وقد ذهب إلى الأمير صلاح الدين وهو مقيم في حلب ، وقال قصيدة أمامه يمدح فيها أمير المدينة قاسم الحسيني مطلعها :

سَمَا بِكَرَامٍ فِي ذَوَائِهِ هَاشِمٍ      عَطَارِيفُ مَا جَدِينَ حَجَّاجِ<sup>(٣)</sup>

وامتاز بعض أمراء مكة بنظم الشعر والتفاخر بأنفسهم في نظمه ، وأبرز شعرائهم الشريف قتادة بن إدريس ( ت ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ) الذي نظم الشعر وافتخر بنفسه وبأسرته على غيره حيث يقول في إحدى قصائده :

وَلِي كَفُّ ضَرْغَامٍ أَذْلُ بَيْسِطِهَا      وَأَشْرَى بِهَا عَزَّ الْوَرَى وَأَبْيَعُ  
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَلْتُمُ ظَهْرُهَا      وَفِي بَطْنِهَا لِلْمُجَدِّبِينَ رَيْعُ  
أَجْعَلُهَا بَيْنَ الرَّحَى ثُمَّ ابْتَغِي      خَلَاصًا لَهَا إِنِّي إِذَا لَوْضِيعُ  
وَمَا أَنَا إِلَّا الْمِسْكُ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ      يَصْنُوعُ وَأَمَّا عِنْدَكُمْ فَيَضِيعُ<sup>(٤)</sup>

= المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٨ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ / ص ٢٧٤ .

ضيف : تاريخ الأدب ، ج ٥ / ص ١٠٢ .

(٢) ضيف : تاريخ الأدب ، ج ٥ / ص ١٠٣ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) الفاسي المكي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١٤٨ =

ولابد في هذا المقام ذكر الشاعر عمارة بن علي بن زيدان الحكمي أبو محمد اليميني الشافعي ( ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ) وقصائده في مدح الخلافة الفاطمية ومدح أمراء مكة ، أرسله أمير مكة قاسم بن فليته رسولاً إلى الفائز<sup>(١)</sup> بمصر فامتدحه بهذا الشعر :

|                                                 |                                                                |
|-------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------|
| الحمْدُ لِلْعَيْشِ بَعْدَ الْعَزْمِ وَالْهِمَمِ | حَمْدًا يَقُومُ بِمَا أَوْلَتْ مِنَ النِّعَمِ                  |
| لَا أَجْحَدُ الْحَقِّ عِنْدِي لِلرَّكَابِ يَدُ  | تَمَنَّتِ اللَّحْمَ فِيهَا رُبَّتُهُ الْخُطَمِ                 |
| فَرَّيْتُ بَعْدَ مَزَارِ الْعَزِّ مِنْ نَظَرِي  | حَتَّى رَأَيْتُ إِمَامَ الْعَصْرِ مِنْ أُمَمِ                  |
| فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ | مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَى حَرَمِ                            |
| حَيْثُ الْخِلَافَةُ مَضْرُوبٌ سُرَادِقُهَا      | بَيْنَ النَّقِیْضَيْنِ مِنْ عَفْوٍ وَمِنْ نَقَمِ               |
| وَلِلْإِمَامَةِ أَنْوَارٌ مَقْدَسَةٌ            | تَجْلُو الْبَغِیْضَيْنِ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظَلَمِ              |
| وَلِلنُّبُوَّةِ آيَاتٌ تَنْصُرُنَا              | عَلَى الْخَفِيِّينِ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ حِكْمِ <sup>(٢)</sup> . |

وانتشر شعر المدائح النبوية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة بلاد الحجاز في هذا العصر ، ليس هذا غريباً ، لأن ذلك ناشئ من وجودهم في المشاعر المقدسة ، فلا يكاد عالم من علماء الحجاز ومحاوره البارزين إلا وله نظم ومدح في سيد المرسلين ﷺ .

والمدائح النبوية فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف ، فهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من أبواب الأدب الرفيع ، وهذه المدائح النبوية نظمت في الرسول ﷺ ، والشعر الذي يقال في الميت ( رثاء ) ، ولكنه في الرسول ﷺ ( مديح ) ، وكأن في استبدال كلمة ( رثاء ) بكلمة ( مديح ) إشارة إلى أن النبي ﷺ كأنه موصول الحياة ، وذلك لأن شريعته حية<sup>(٣)</sup> .

= المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٣٢ .

(١) الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ستة سنين وشهرين وتوفي سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ / ص ٤٣٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ / ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(٣) شيخ أمين ( بكري ) : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، الطبعة الرابعة ، بيروت - دار العلم للملايين =

ومن أشهر شعراء الصوفية الذين قدموا إلى الحجاز وأقاموا بها فترات متقطعة ، أمثال محمد بن علي بن محمد الحاتمي محيي الدين بن عربي ( ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ) الذي أقام بالحجاز مدة ، وله الكثير من المؤلفات مثل « الفتوحات المكية - ط » ، و « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » و « فتح الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق » وديوان شعر - ط ، وغير ذلك من المؤلفات ، وذكر الفاسي أنه له شعراً كثيراً جيداً من حيث الفصاحة <sup>(١)</sup> ، إلا أنه شابه بتصريحه فيه بالوحدة المطلقة ، وصرح بذلك في كتبه <sup>(٢)</sup> ، ومن شعره :

|                                                  |                                                                 |
|--------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|
| يا غَايَةَ السُّؤْلِ والمَأْمُولِ يَاسَنَدِي     | شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ لَا إِلَى أَحَدٍ                       |
| دُبْتُ إِشْتِيَاقًا وَوَجَدًا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ | فَآهٍ مِنْ فَرْطِ شَوْقِي آهٍ مِنْ كَمَدِي                      |
| يَدِي وَضَعْتُ عَلَى قَلْبِي مَخَافَةً أَنْ      | يَنْشَقَّ صَدْرِي لَمَّا خَانَنِي جَلْدِي                       |
| مَا زَالَ يَرْفَعُهَا طَوْرًا وَيَخْفِضُهَا      | حَتَّى وَضَعْتُ يَدِي الْأُخْرَى لَشَدِّ يَدِي <sup>(٣)</sup> . |

ومحمد بن سعيد بن حماد البوصيري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) <sup>(٤)</sup> ، صاحب القصيدة المشهورة « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » المعروفة بـ « البردة » ، ونالت هذه القصيدة شهرة كبيرة في أنحاء

= ١٩٨٦ م ، ص ٢٦١ .

مبارك ( زكي ) : المدائح النبوية ، القاهرة - دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م ، ص ١٧ .

<sup>(١)</sup> الصفدي (صلاح الدين ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) : الوافي بالوفيات ، باعتناء : سو يدرينغ ، الطبعة الثانية ،

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ج ٤ / ص ١٧٣ - ١٧٨ .

المكي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ١٦٠ ، ١٩٩ .

<sup>(٢)</sup> للمؤلف تقي الدين الفاسي رسالة خاصة عن ابن عربي وحاله وعقيدته وآرائه ، وما أفتى العلماء به في عقيدته ومؤلفاته

سمها « تحذير النبيه والغبي من الافتنان بابن عربي » ، وقد لخص هذه الرسالة في كتابه العقد الثمين في ترجمة ابن عربي ج

٢ من ص ١٦٠ - إلى ص ١٩٩ .

<sup>(٣)</sup> الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ١٨٦ .

<sup>(٤)</sup> الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ / ص ١٠٥ - ١١٣ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤٣٢ .

شيخ أمين : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

العالم الإسلامي لما رافقتها من أخبار وروايات أثرت في جمهور المسلمين ، فحفظها الناس ورووها ، وحفظوها إلى أبنائهم وأحفادهم وقرؤها في المناسبات ، وأثرت في حركة التأليف ، فكثر شارحوها والمعلقون عليها ، وبهذه الشروح والتعليقات وجدت ملحوظات علمية ولغوية قيمة ما كانت لولا وجود القصيدة ، وأثرت في الدراسات التاريخية ، إذ أظهر المؤلفون ما تضمنته من إشارات تاريخية ودينية ، وأثرت في الحركة الأدبية ، فكثر تشطيرها وتخمينها وتسبيحها وتعشيرها ومعارضتها ، وأوجدت فناً جديداً عرف باسم « البديعيات » (١) .

ومن علماء الحجاز الذين كان لهم اهتمام بهذا اللون من الشعر وغيره محب الدين الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) وله « القبس الأسنى في كشف غريب المعنى » و « الدرة الثمينة في مدحه ﷺ » (٢) وله « ديوان شعر » رآه الفاسي في مجلد ، وفيه قصيدة نحو مائة وستين بيتاً ، ذكر فيها المنازل بين مكة والمدينة ، ومن شعره :

|                                           |                                             |
|-------------------------------------------|---------------------------------------------|
| مَرِيضٌ مِنْ صُدُودِكَ لَا يُعَادُ        | بِهِ أَمَّ لِعَيْرِكَ لَا يُعَدُّ           |
| وَقَدْ أَلِفَ التَّدَاوِي بِالتَّدَانِي   | فَهَلْ أَيَّامٌ وَصَلِكُمْ تُعَادُ          |
| وَلَوْ لَحَظُوا مِنَ الْأَحْبَابِ مَعْنَى | لَمَّا أَبَدُوا هُنَاكَ وَلَا أَعَادُوا     |
| أَسْلَوْ مِنْ عَرَامِي فِيهِ دَيْنٌ       | أَدَيْنُ بِهِ وَلِي فِي الْحَشْرِ زَادُ (٣) |

وللشيخ رضي الدين الطبري ( ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ) قصيدة في مدح النبي ﷺ سماها « العقد الثمين في مدح سيد المرسلين » ، وله شعر في الغزل الصوفي ومنه :

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ / ص ١٠٥ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤٣٢ .

شيخ أمين : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٣ .

اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ / ص ٢٢٤ .

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ / ص ١٨ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٦٨ - ٦٩ .

غَرَامِي بِسُكَانِ الْعُدَيْبِ مُقِيمٌ      وَصَبْرِي عَدِيمٌ وَالْفَوَادُ كَلِيمٌ  
وَقَلْبِي مِنْ طَوْلِ الْبَعَادِ مُعَدَّبٌ      وَإِنَّ عَذَابَ الْعَاشِقِينَ أَلِيمٌ  
فَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ لِنَفْسِي مُرَادَهَا      لَكُنْتُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ أَشِيمٌ  
يُشَاهِدُكُمْ قَلْبِي عَلَى الْبُعْدِ دَائِمًا      وَيَهْوِي دُنُوًّا وَالدُّنُوُّ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup> .

وَمَنْ اشتهر بالشعر الصوفي والمديح النبوي عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م) نزيل مكة المكرمة وشيخ الحرم ، وله في الصوفية وتراجمهم كتاب « روض الرياحين في حكايات الصالحين » ، ومن شعره :

فَقَا حَدِيثَانِي فَالْفَوَادُ عَلِيلٌ      عَسَى اللَّهُ يَشْفِي بِالْحَدِيثِ غَلِيلٌ  
أَحَادِيثُ نَجْدٍ تَمْلَأُنِي بِذِكْرِهَا      فَقَلْبِي إِلَى نَجْدٍ أَرَاهُ يَمِيلُ  
وَلَا تَذْكُرَا لِي الْعَامِرِيَّةَ إِنَّمَا      يُوْهِيهِ عَقْلِي ذِكْرُهَا وَيَزِيلُ

وله مدائح نبوية كثيرة منها قوله في إحدى مدائحه :

نَبِيٍّ عَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ مَنْصِبًا      بَدَأَ نُورُهُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ  
بِهِ الدَّهْرُ أَضْحَى ضَاحِكًا مُتَبَسِّمًا      عُبُوسًا عَلَى أَعْدَائِهِ غَيْرَ بِأَسَمَ<sup>(٢)</sup> .

### ثالثاً : الدراسات الاجتماعية :

#### **١ - علم التاريخ :**

لقد تضمن القرآن الكريم إشارات تاريخية كثيرة ، إذ تحدث عن عدد من الأمم التي سادت ثم بادت ، كما تحدث عن الرسل والأنبياء وأقوامهم ، وقد احتاج المفسرون إلى معرفة الخلفية التاريخية لتلك الأمم والأقوام ، لكي يأتي التفسير صحيحاً وافياً بالغرض المنشود ، ومن هنا نشأ اهتمام المسلمين بالتاريخ ، ثم إنهم احتاجوا لمعرفة أفعال الرسول ﷺ وأقواله ليتخذوها قدوة ويسيروا على هديها مما حدا بهم إلى جمع أخبار السيرة النبوية ، وأن الرسول الكريم ﷺ حثَّ المسلمين على تعلم الأنساب لغرض صلة الرحم ، والاهتمام

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ / ص ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٧ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ١١١ - ١١٤ .

بالأنساب فرع من فروع التاريخ ، أما السيرة النبوية فإن الاهتمام بها قد ظهر في وقت مبكر .  
وقد روي أن عروة بن الزبير بن العوام<sup>(١)</sup> أول من جمع أخبار السيرة النبوية عن أبيه وأمه أسماء بنت أبي بكر وعن خالته عائشة رضي الله عنهم ، وقد اهتم بعض الصحابة بالسيرة النبوية فقاموا بجمع المعلومات التاريخية ، وغالباً ما كانت عملية جمع المعلومات تتم عن طريق الرواية ولقاء الرواة شخصياً<sup>(٢)</sup> .  
وامتاز التاريخ عند المسلمين على سواه عند سائر الأمم التي تحضرت قبلهم بكثرة ما كتبوه من التراجم ، وعنهم أخذ مؤرخو العالم تأليف المعجمات التاريخية ، فالمسلمون ألفوا في التاريخ الكثير من الكتب التي تناولت التاريخ المحلي والإقليمي والعالمي، وما من أمة قبل العصر الحديث بلغت في هذا العلم ما بلغه المسلمون<sup>(٣)</sup> ، وفي فترة هذا البحث كان لكثير من العلماء ومحبي التاريخ مشاركات فعّالة في كتابة التاريخ المحلي والعالمي ، والتأليف في تراجم الرجال والعلماء وإن اتسمت الكتابة التاريخية في هذه الفترة بالموسوعية، والنقل عن مؤرخي الإسلام في العصور السابقة ، وعلى كل حال فإن الكتابة التاريخية وكتابة التراجم تعينان أن المسلمين مازالوا مؤثرين وفاعلين في التاريخ ، كما أن ذلك يعني ثقة بالنفس ووعياً بالذات وبما تحقق من انتصارات<sup>(٤)</sup> .

غير أن الحجاز وخصوصاً المدينتين المقدستين تعرض للإهمال التاريخي ، ولم يلاق الاهتمام الكافي من المؤرخين ، فهناك فجوات وثغرات مجهولة في تاريخه العلمي والحضاري .

(١) هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد الله العزي بن قصي القرشي الأسدي المدني التابعي الجليل ، فقيه المدينة ، كان ثقة كثير الحديث ، فقيهاً عالماً مأموناً ومناقبه كثيرة ومشهورة ، توفي سنة أربع وتسعين ، وقيل تسع وتسعين .

المزي : تهذيب الكمال ، ج ٢٠ / ص ١١ - ١٢ - ١٥ - ١٦ - ٢٣ .

(٢) الطناحي ( محمود محمد ) : الموجز في مراجع التراجم والمراجع والبلدان والمصنفات وتعريف العلوم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ١ / ص ٣٢ .

(٣) زيدان ( جرجي ) : تاريخ التمدن الإسلامي ، راجعها وعلق عليها : حسين مؤنس ، القاهرة - دار الهلال ١٩٦٨ م ، ج ٣ / ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) العمري ( ابن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٢ / ص ٢٩ - ٣٠ .

وقد شكنا من هذا الإهمال مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي بقوله : ( وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعه ، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القسطلاني ، لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن ، ولعمري لو جمع ذلك لبلده كان أحسن ، فإن الحاجة إليه داعية ، وفي ذلك فوائد غير خافية ) ، كما أن الفاسي استباح لنفسه العذر فيما كتبه من تاريخ مكة بسبب أنه لم ير مؤلفاً في تاريخ مكة يستضيء به <sup>(١)</sup> .

وإن أقدم ما ذكرته المعجمات في تاريخ مكة هي مؤلفات : محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م <sup>(٢)</sup> وعلي بن محمد المدائني ( ت ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م ) <sup>(٣)</sup> ، وأبي الوليد الأزرق ( ت نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ) <sup>(٤)</sup> والزيبر بن بكار ( ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ) <sup>(٥)</sup> ، وعمر بن شبة ( ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م ) <sup>(٦)</sup> ،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٠ - ١١ .

(٢) محدث ، حافظ ، مؤرخ أديب فقيه ، ولد بالمدينة المنورة ، وانتقل إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي ، ومن تصانيفه « تاريخ الفقهاء » و « السنة والجماعة » و « تفسير القرآن » و « أخبار مكة » .  
ابن الندم ( محمد بن إسحاق ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م ) : الفهرست ، بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر ( د . ت ) ص ١٤٤ .

ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٥ / ص ٣٩٤ .

(٣) مؤرخ ، راوية للشعر ، نشأ بالبصرة وسكن المدائن ثم انتقل إلى بغداد ، ومن تصانيفه « أخبار المنافقين » و « عهود النبي ﷺ » و « كتاب الردة » و « أمهات النبي ﷺ » .

ابن الندم : الفهرست ، ص ١٤٧ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ / ص ٤٠٠ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة الأزرق المكي ، مؤرخ جغرافي من أهل مكة ، يماي الأصل من تصانيفه « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » .

ابن الندم : الفهرست ، ص ١٦٢ .

(٥) عالم نسابة ، أخباري من أهل المدينة ، ولي قضاء مكة ، وقدم بغداد وحدث بها ، وتوفي بمكة وهو قاضي عليها ، ومن تصانيفه « أنساب قريش وأخبارها » ، و « أخبار العرب وأيامها » و « نوادر المدنيين » و « الأوس والخزرج » .

ابن الندم : الفهرست ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٣ / ص ٣٤٨ .

(٦) أديب نحوي ، لغوي مؤرخ ، نشأ بالبصرة ، من تصانيفه الكثيرة « طبقات الشعراء » و « أمراء المدينة » ، و =

ومحمد بن إسحاق الفاكهي ( ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م )<sup>(١)</sup> ، والمفضل الجندي ( ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م )<sup>(٢)</sup> .  
ويمكن القول : إنّ هذه المؤلفات سلسلة اعتمد لاحقتها على سابقتها ، ودونت في زمن واحد ، وقد فُقد  
أكثر هذه الكتب ، ولم يبق منها إلا تراث نفيس .

ومنذ نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حتى بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،  
لم يؤلف في تاريخ مكة سوى رزين بن معاوية العبدري الأندلسي ( ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م )<sup>(٣)</sup> إمام  
المالكية بالمسجد الحرام في مؤلفه « كتاب مكة - ط » وهو ملخص من كتاب الأزرقى أخبار مكة وما جاء  
فيها من الآثار<sup>(٤)</sup> .

وأرخ قطب الدين القسطلاني ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) لحريق المسجد النبوي الذي وقع في زمانه في  
كتابه « عروة الوثيق في النار والحريق » ، وله في تاريخ اليمن فواصل الزمن في فضائل اليمن و منهاج  
النبراس في فضائل العباس<sup>(٥)</sup> .

ولأبي اليمن بن عساكر ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ) ، كتاب « إتحاف الزائر »<sup>(٦)</sup> ذكر فيه فضائل الصلاة

---

= « تاريخ المدينة المنورة » و « كتاب مكة » .

ابن النديم : الفهرست ، ص ١٦٣ .

ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٤ / ص ٤٦٦ .

(١) مؤرخ ، من تصانيفه « تاريخ مكة » .

ابن النديم : الفهرست ، ص ١٥٩ .

(٢) مؤرخ يمني الأصل ، كان محدث مكة ، وبها توفي ، من كتبه « فضائل المدينة » ، و « فضائل مكة » .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٢ / ص ٢٥٣ ،

الزركلي : الأعلام ، ج ٧ / ص ٢٨٠ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ / ص ٣٩٩ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ١٠ .

السخاوي ( محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، عني بنشره القدسي ،

بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٣٠ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٣٢١ .

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية . الزركلي : الأعلام ، ج ٤ / ص ١١ .

على الرسول ﷺ (١) .

ولزيد بن هاشم بن علي بن المرتضى الحسيني ( كان حياً سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ) (٢) وزير المدينة النبوية كتاب « تاريخ المدينة » (٣) ، وكتاب « تاريخ مكة » ولم يعرف الفاسي هل كتابه في مكة في التراجم أو الحوادث (٤) .

وشارك المحب الطبري ( ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) في الاهتمام بعلم التاريخ ، فألف كتاباً عن فضل مكة (٥) وألف كتاب « السيرة النبوية » (٦) ، له كذلك « خلاصة سير سيد البشر - ط » بالإضافة إلى مؤلفاته في العلوم الشرعية ، التي هي مزيج بين الحديث والفقه والتاريخ .

كما قام محمد بن محمد الكاشغري ( ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م ) اختصار كتاب « أسد الغابة » لابن الأثير، وسماه « مختصر أسد الغابة » (٧) ، وله كذلك « طلبه الطلبة في طريق العلم لمن طلبه » (٨) .

وألف محمد بن أحمد بن أمين الأقسهري ( ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م ) كتاب عيّن فيه من دفن بأشرف البقاع والبقيع ، وسماه « الروضة الفردوسية والحضرة القدسية » (٩) .

---

(١) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص ١٣٠ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٣٠٦ .

كحالة : معجم المؤلفين ، ج ٤ / ص ١٩١ .

(٣) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص ١٣٢ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٩ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ / ص ١٨ - ١٩ .

(٦) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ١ / ص ٣٤٨ .

(٧) مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ميكروفيلم في أربعة أجزاء أرقامه ١٨٦١ -

١٩٤٨ - ١٩٤٧ - ١٨٩٣ ، عن مكتبة تشستريتي برقم ٣٢١٣ .

(٨) مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ميكروفيلم رقم ٣ / ٩٥٣ مجاميع تاريخ .

(٩) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ / ص ٢٨٦ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ / ص ٣٠٩ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٢٠ .

أما محمد بن أحمد بن خلف المعروف بالجمال المطري ( ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م ) ، فقد كان عارفاً  
بأنساب العرب <sup>(١)</sup> ، وألّف للمدينة تاريخاً سماه « التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة » مطبوع ،  
المدينة المنورة - المكتبة العلمية ، ١٤٠٢هـ ، وله كذلك « إتحاف الزائر » <sup>(٢)</sup> .

كما ألّف علي بن محمد بن القاسم بن فرحون ( ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥ م ) « تواريخ الأخبار والتعريف  
بنسب النبي المختار » <sup>(٣)</sup> .

ثم وقع انقطاع طويل حتى جاءت كتب تقي الدين الفاسي المكي ( ٨٣٢هـ / ١٤٢٩ م ) في القرن الثامن  
الهجري / الرابع عشر الميلادي متوجة لتاريخ الحجاز بشكل عام ومكة المكرمة بشكل خاص ، فألّف كتابه  
« شفاء الغرام » <sup>(٤)</sup> ، ثم صنف موسوعته التاريخية بعنوان « العقد الثمين » الذي يعد من كتب التراجم  
المهمة ، والنجم عمر بن فهد ( ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م ) الذي ألّف كتابه إتحاف الوري في أخبار أم  
القرى ، وسار على منوالهم الديار بكري <sup>(٥)</sup> الذي جاور بمكة وألّف كتابه « الخميس في أحوال أنفس  
نفس » ، ويهتم هذا الكتاب بالسيرة النبوية ، إلا أنه خصص جزءاً منه لتاريخ الكعبة المشرفة ، وقد  
عاصره قطب الدين النهروالي المكي ( ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢ م ) الذي كان يدرس علوم الحديث ، وقد  
صنف كتابه « الأعلام بأعلام بيت الله الحرام - ط » عن تاريخ مكة وحكامها ، بحيث كان لهم الفضل في  
معرفة الباحثين عن معلومات غنية وهامة عن الحجاز .

## ٢ - الجغرافيا :

لا شك أن مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين جعلت الكثير من الرحالين المسلمين يُقَدِّمون إلى

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٤٦٧ .

(٢) خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٦ .

البغدادي : هدية العارفين ، ج ٢ / ص ٩٥ .

(٣) مخطوط بخزانة الرباط برقم ١٣٤٨ . الزركلي : الأعلام ، ج ٥ / ص ٦ .

(٤) مطبوع في جزئين ، وقد نشر من قبل مكتبة النهضة الحديثة بمكة سنة ١٩٥٦ م .

(٥) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ، مؤرخ ولي قضاء مكة وتوفي فيها سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩ م .

الزركلي : الأعلام ، ج ٢ / ص ٢٥٦ .

هذين البلدين المقدسين ، وقاموا بتأليف كتبهم التي حوت تفاصيل للأماكن والآثار الإسلامية بالحجاز ، ومن هؤلاء : ابن جبير ، وابن بطوطة ، وابن رشيد ، وغيرهم الذين استفاد منهم علماء الحجاز ومؤرخوه ، مثل : الفاسي والسمهودي في كتبهم التي تضمنت كثيراً من التعريفات والأوصاف الجغرافية لمكة والمدينة . كما كانت كتب الأزرقى والفاكهي وياقوت من المصادر المهمة للمعلومات الجغرافية التي أوردها علماء الحجاز في تلك الفترة ضمن مؤلفاتهم التاريخية .

فكتاب جمال الدين المطري ( ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ) « التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة » ضمن وصفاً جغرافياً للمدينة المنورة وأوديتها ومساجدها وحدود حرمها <sup>(١)</sup> ، وهو من الكتب المهمة التي اعتمد عليها الكثير من العلماء الذين كتبوا عن جغرافية المدينة بعد المطري .

وكتاب « العقد الثمين » الذي تضمن الباب الأول منه ذرع مكة ، وجبالها ، وفي الباب الثامن ذرع الكعبة ، وفي البابين الحادي والعشرين والثاني والعشرين ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها ، وغير ذلك من التعريفات للأماكن والبلدان في أثناء التراجع التي أرخ لها الفاسي .

كما تضمن الباب الأول من كتابه « شفاء الغرام » دراسة طبوغرافية عن مكة المكرمة في عهده ، فأورد وصفاً شاملاً لمكة ، كما تحدث بإسهاب عن الأسوار التي تحيط بها ، وحالات الإصلاح والدمار التي أصابتها من جراء الصراع الأسري بين أمراء مكة الأشراف ، كما أشار إلى الامتداد العمراني الذي وقع لمكة منذ عهد الفاكهي أي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / الثامن الميلادي حتى أيامه ، وتوضح معاناة الفاسي في كتابة هذا الباب إذ أنه قام بذرع مكة من حدها الشمالي إلى حدها الجنوبي ، والجنوبي الغربي <sup>(٢)</sup> .

ويمكن أن تحمل النتائج المتوصل إليها في الدراسة عن العلوم الاجتماعية في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في النقاط الآتية :

---

(١) المطري ( محمد بن أحمد ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ) : التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة ،

المكتبة العلمية ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٣ - ٦٧ - ٧٠ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ١٤ .

١ - خلال فترة هذه الدراسة لم يؤلف أي من المؤرخين الحجازيين الذين عاشوا في تلك الفترة أي كتاب يختص بتاريخ المدينتين المقدستين .

٢ - إحساس مؤرخي العصر المملوكي بقصور من سبقهم في التأريخ للمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، فكانت جلّ مؤلفاتهم مركزة في تاريخهما ، ومع ذلك فإن مؤلفاتهم هذه كانت تحتوي على دراسات شرعية أكثر من تركيزها في النواحي الحضارية .

٣ - قيام أكثر العلماء والمؤرخين بتلخيص كتب الأزرقى والفاكهى خوفاً من ضياعها .

٤ - معظم هؤلاء المؤلفين شموليون أصحاب جمع تألّفي ، لم يقصروا كتاباتهم على التاريخ فقط ، بل كان للكثير منهم مشاركات في الكثير من العلوم ، فقد كان منهم أدباء وشعراء على أي منزلة من الجودة في الشعر ، بل كانوا أصحاب تأليف في الفقه واللغة العربية ، مثل المحب الطبري ، وقطب الدين القسطلاني ، والفاسي المكي .

٥ - ندرة المؤلفات الجغرافية في هذا العصر لدى علماء الحجاز ، كما أن المؤلفات التاريخية لا تخلو دائماً من التعريف ببعض الأماكن والبلدان ، خاصة تعريفاتهم للآثار والأماكن المقدسة بالحرمين الشريفين .

#### رابعاً : الدراسات العقلية والعلمية :

##### **١ - الطب والصيدلة :**

اهتم المسلمون اهتماماً بالغاً بالطب حيث أخذوا يترجمون الكتب اليونانية والهندية ويطورون عليها . كما أنشأ المسلمون البيمارستانات التي شيدها الخلفاء والسلطين والعلماء والأمرء وأهل الخير ، صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية ، وتخليداً لذكراهم .

ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى ، بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب ، يتخرج فيها المتطبّبون والجراحون <sup>(١)</sup> .

ولم يعرف الحجاز على الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي حكم فيها سلاطين المماليك له ، إلا بيمارستانان أنشأهما المستنصر العباسي في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولا شك أن هذا العدد يعد قليلاً

---

(١) عيسى بك ( أحمد ) : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٣ - ٤ .

أمام العدد الكبير من البيمارستانات التي أنشأها المماليك البيمارستانات في الحواضر الإسلامية الأخرى ، كما أن مكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا تحتاجان إلى أكثر من ذلك بسبب الكثافة السكانية التي تعمهما في أثناء موسم الحج .

فهناك البيمارستان المستنصري عمّره وأوقفه الخليفة المستنصر بالله جعفر بن الظاهر العباسي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ، في الجانب الشمالي من المسجد الحرام<sup>(١)</sup> ، واستمر هذا البيمارستان يؤدي وظيفته حتى زمن قطب الدين النهروالي ( ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م ) الذي كان يدّرس به الطب<sup>(٢)</sup> ، ولم تذكر المصادر أي من العلماء الذين عملوا أو درّسوا في هذا البيمارستان خلال فترة هذه الدراسة ، بل اقتصر على ذكر هذا البيمارستان ومن عمّره .

أما في المدينة المنورة فكان هناك البيمارستان المستنصري الذي أقامه كذلك المستنصر بالله جعفر بن الظاهر العباسي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م<sup>(٣)</sup> ، وقد قام الظاهر بيبرس بتجديده سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م ، وأرسل إليه المعاجين والأكحال والأشربة والمراهم والسكر<sup>(٤)</sup> ، وظلّ هذا البيمارستان يؤدي وظيفته حتى القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وتذكر المصادر أسماء بعض الأطباء المجاورين الذين كان لهم معرفة بالطب ، وكانوا يقومون بمعالجة المرضى وتقديم الدواء لهم ، ولم تشر إلى ارتباطهم بالبيمارستانات ، أمثال : إبراهيم بن أحمد بن محمد الأردبيلي ( ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ) ، الذي جاور نحو أربعين سنة بمكة ،

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ / ص ٣٣٧ .

الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢ .

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ / ص ٤٩ .

عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٢٦١ .

(٢) النهروالي : الأعلام ، ص ٣٥٣ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ / ص ٦٥ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ / ص ١٩٤ .

عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٢٦٥ .

وكان عارفاً بالطب والكيمياء ، وله محاضرات يومية بالمسجد الحرام <sup>(١)</sup> .

أما الصيدلة لم يكن في الحجاز علماء متخصصون في هذا العلم ، بل كان هناك عطارون يقومون ببيع العطرة والأعشاب التي تستخرج منها الأدوية ، ويتخذون أماكن دكاكينهم بالقرب من البيمارستان ، بالإضافة إلى بعض الأطباء الذين كانوا يقومون بإعطاء المرضى ما يحتاجون إليه من الأدوية ، كما كان بالبيمارستانات الأدوية والمراهم والمعاجين التي قدمها السلاطين والواقفون عليها .

كما قدّم السخاوي في ترجمته لدينار المغربي ( ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ) عن توافر الأدوية في المدينة المنورة ، حيث قال : ( وكان مسكنه بدار الشرايبي هياً فيه منزلاً للخاص والعام ، وجعل في منزله مارستاناً للمرضى ، وإذا وصف لمريض دواء مفقود بذل في تحصيله النقود ولا يبقى في ذلك شيئاً من المجهود ، وأما ما هو سهل الوجدان ، كالسكر والشربات فهي مبدولة لكل سائل ، محمولة إلى منازل المرضى المنقطعة الوسائل ، يبذل بذل الملوك ويعطي عطاء السلاطين ، وإذا سئل سكرة أعطى شيئاً كثيراً ، وإذا طلب ماء ورد أو خلافه ملأ الإناء ولو كان كبيراً ) <sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الرياضيات والفلك :

اهتم المسلمون بشتى أنواع العلوم العقلية ، ومن ذلك علما الرياضيات والفلك اللذان نالا قدراً عظيماً من اهتمامهم ، فقد برعوا في الحساب والجبر والمقابلة ، ووضعوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، كما اهتموا بعلم الفلك ، لأنه علم يعرف به سمت القبلة ، ووقت الزوال ، وأوائل الشهور القمرية وأواخرها ، لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد <sup>(٣)</sup> ، وفي الحجاز الكثير من العلماء والمجاورين كان لهم معرفة بالميقات ، وعلم الميقات يرتبط بعلم الفلك لأنه : ( علم تتعرف منه أزمانه الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها ، ومنفعة معرفة أوقات العبادات ، وتوحي جهتها ، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج ، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ومقادير الظلال والارتفاعات وانحراف الأبدان بعضها عن بعض

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ / ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

وسموتها (١) .

كما كان في الحجاز الكثير من العلماء الذين اشتهروا بمعرفة الحساب ، وكان لهم معرفة بالفرائض ، لأن علم الفرائض يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحساب ، على الرغم من كونه يدخل ضمن الدراسات الفقهية ، وهو علم يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة المستحقين (٢) ، حتى إن هناك فرعاً من فروع الحساب يسمى « حساب الفرائض » (٣) .

وفي الحجاز ندرت المؤلفات في العلوم العقلية ولم يهتم بها إلا القليل من أهلها والمجاورين بها ، وتوضح الدراسة من خلال المصادر أن أكثر هؤلاء العلماء كانوا أصحاب معرفة شمولية بهذه العلوم من حساب وجبر ومقابلة وفلك وهندسة وميقات وفرائض .... إلخ .

ومن علماء الرياضيات والفلك ممن كان لهم أثر في التدريس والتصنيف في الدراسات الرياضية والفلكية : محمد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي الغرناطي ( ت ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ) ، أقام بالحرمين الشريفين نحو خمس عشرة سنة ، وكان عارفاً بالنحو والفلك (٤) .

ونجم الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم الأصفهاني (٥) ( ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م ) حج عدة مرات ، آخرها سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م ، وأقام بعدها بمكة ، وكان فرضياً عالماً بالحساب من فقهاء

---

(١) النهاوندي : كشف اصطلاحات الفنون ، ج ١ / ص ٥٠ .

(٢) النهاوندي : كشف اصطلاحات الفنون ، ج ١ / ص ٣٢ .

حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ / ص ١٢٤٤ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ / ص ٦٦٤ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٢١٩ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ / ص ٦٨٤ .

(٥) الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ / ص ١٧٧ - ١٧٨ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ / ص ٣٥٠ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ / ص ١٦٧ . ولم تذكر المصادر كتابه .

الشافعية إلى أن توفي ، وصنف في الجبر والمقابلة كتاب « المسائل الجبرية في إيضاح المسائل الدورية »<sup>(١)</sup> .  
ومحمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني ( ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م )<sup>(٢)</sup> برع في  
المليقات ومهر فيه ونظم فيه أرجوزة أولها :

قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالسَّلَامِ      مُؤَذِّنُ الْكَعْبَةِ وَالْمَقَامِ<sup>(٣)</sup> .

كما اشتغل ابنه عبد اللطيف ( ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م ) بعلم الفلك وبرع فيه<sup>(٤)</sup> .

وخلاصة القول أن العلوم العقلية هي أضعف العلوم التي عرفت بالحجاز وذلك لسببين :

١ - اهتمام علماء الحجاز ومجاوريه بالعلوم الشرعية .

٢ - عدم استقرار العلماء المعروفين والمشهورين في العلوم العقلية في الحرمين الشريفين ، وذلك لمكانتهم

المرموقة في بلدانهم ، وعدم استغناء سلاطينهم وأمرائهم عنهم .

لذلك كان هؤلاء العلماء يأتون لأداء فريضة الحج ، ثم يعودون إلى بلدانهم دون أن يستفيد منهم طلاب

العلم بالحرمين الشريفين في أي علم من العلوم العقلية إلا نزرًا يسيرًا .

على الرغم من ذلك فإن المصادر تشير بين الفينة والأخرى إلى وجود شيء من هذه الدراسات ، فذلك

عالم كان يطبّب الناس ، وذلك اشتهر بالفرائض والحساب ، وذاك كان له دراية جيدة واهتمام بأحد هذه

العلوم ، وعليه يمكن تأكيد وجود هذه الدراسات وإن كانت في نطاق ضيق للسببين الآتين :

١ - وجود البيمارستانات في مكة والمدينة المنورة .

٢ - حاجة الحرم المكي الشريف والحرم النبوي إلى علماء عارفين بالمليقات ، وذلك لمعرفة أوقات الصلاة .

---

(١) مخطوط بمكتبة أوقاف بغداد ( ٢٧٢٤ ) .

الزركلي : الأعلام ، ج ٣ / ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ / ص ٤٧٨ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ / ص ٦٩ - ٧٠ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ / ص ٤٨٩ .

## خامساً : مميزات الحركة العلمية في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر

### والثالث عشر للميلاد :

نشطت حركة التأليف في هذا العصر ، وكثرت المؤلفات العلمية ، خاصة كتب التراجم ، وعلى الرغم من تعدد المقاييس التي تُقوّم الحركة الفكرية ، فإن مسألة التأليف تدل دلالة أكيدة على خصب الحياة الفكرية. ومما يدعو للاستغراب أن بعض الباحثين يتهّم هذا العصر بأنه : ( عصر جمع وشرح وتفسير لا عصر إبداع واستنباط ) ، وأنه ( كان عصر جمود عقلي وسياسي ، واشتغل المتأدبون فيه بتوافه الأمور )<sup>(١)</sup> ، ولا يُعرَفُ فيما هذا الاتهام ولم ، مع أن هذه الظاهرة طور طبيعي في مناهج التأليف ، إذ لا بد أن يعقب طور الإبداع والتخصص في التأليف طور يقرب العلم لطلابه وناشئته بعد تفرعه وتعقيده ، وتناوله بمنهجية جديدة تعتمد على عرض الفكر بطريقة أكثر سهولة وأقل جهداً ، وبخاصة صغار المثقفين .

ويجمع لهم حقائق العلم في متون يسهل حفظها فاستحضارها وقت الدرس لتكون موضع المناقشة والشرح ، ومن ثم يعتمد بعض المعلمين بعد ذلك إلى تناول المتون بالشرح مرة أخرى ليحلي ما قد يكون غامضاً منها ، ويفصل ما قد يكون مجملاً<sup>(٢)</sup> .

وهذا العصر صادفته بواعث هذه الظاهرة ، فهو عصر إحياء وتجديد وعصر تعليم ونشر للثقافة ، مع رغبة كامنة في تيسير طرقه ، ولهفة محتبئة للوصول إلى مظانه ، وهذا من شأنه أن يدفع إلى الاختصار ووضع المتن ، ثم الشرح والتحشية .

ولا شك في أن المتون والمختصرات قد حفظت من العلم جوهره ولبابه ، وقامت ولا تزال تقوم بوظيفتها في

---

(١) السيوطي ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحقيق : فيليب حتي ، بيروت ، دار المكتبة العلمية ( د . ت ) ، المقدمة ، ص ( ح ) و ( ط ) .

(٢) سليم ( محمود رزق ) : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مكتبة الآداب ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، ج ٧ / ص ٢٥٩ .

الشكعة ( مصطفى ) : مناهج التأليف عند العلماء العرب ، قسم الأدب ، الطبعة الرابعة ، بيروت - دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ م ، ص ٧٣٢ - ٧٣٣ .

العلمية التعليمية من ذلك العصر البعيد إلى هذا العصر الجديد <sup>(١)</sup> .

وإن الباحث في مؤلفات هذا العصر يجد على الرغم من كل ما يقال عدة أمور ، توجز بالآتي :  
أ - حفظها للتراث الفكري ، واعتمادها على كتب مفقودة في الوقت الحاضر ، وظهر ذلك بشكل واضح في الحجاز ، إذ لم يشهد الحجاز تلك الأعداد الهائلة من المؤلفين الذين زخر بهم العصر المملوكي ، إذا فهو يعدُّ بداية عصر تحديد وتدوين لمعارف الحجاز وعلومه .

ب - تصويب هفوات بعض المصنفين القدامى ، وبروز النقد والتحليل والمقارنة <sup>(٢)</sup> .

ج - الاجتهاد في العلوم الدينية .

د - إن هذه المؤلفات مهمة ، بدليل اعتماد الباحثين عليه في الوقت الحاضر في أبحاثهم ودراساتهم .  
ويتضح من خلال هذه الدراسة أن حركة التصنيف في العلوم الدينية ، كالفقه بمذاهبه ، والحديث بمختلف دراساته متناً ومصطلحاً ، وشيوخاً وشرحاً ، وكتب التفسير والقراءات و الفقه ، كانت أقوى من غيرها من العلوم .

ويأتي بعدها التصنيف في علوم العربية ، ككتب النحو والصرف والبلاغة واللغة ، وكتب الأدب والنقد .  
أما العلوم العقلية ، كمصنفات الطب والفلك والرياضة والطبيعية والمنطق ، لم يكن التصنيف فيها في المستوى المطلوب .

وقد اتسمت الحركة التأليفية في هذا العصر بسمتين هما :

الأولى : أن علم التاريخ على الرغم من أنه ليس له بروزاً معدوداً بين المواد الدراسية ، خاصة في المؤسسات التعليمية بالحرمين الشريفين ، فقد زخر العصر بكتبه ، وامتلاً بذخائره القيمة مع اختلاف اتجاهاتها وموضوعاتها ، ولعل سبب ذلك شعور علماء العصر بما أصاب المسلمين والعرب ومصنفاتهم من البوار والتلف ، وكتب التاريخ هي السجل الأول والمرجع الأصيل لمحمد الأمة ووقائع حياتها ومقومات شخصيتها

(١) سليم : عصر سلاطين المماليك ، ج ٧ / ص ٢٦٠ .

(٢) عبد المنعم ( شاكر محمود ) : ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، بغداد - دار الرسالة للطباعة ، ( د . ت ) ، ج ١ / ص ٥٢ .

وأخبار أفذاذها ، وهي بذلك أولى ببذل العناية والجهد ، وقد كانت نمطاً من هذا ، فضلاً عما اتصف به بعضها من الاتجاه إلى الضبط والنقد وإبراز المآخذ .

وقد تنوعت هذه المؤلفات التاريخية تنوعاً دَلَّ على النضج والفهم الدقيق لمقتضيات تاريخ الأمة ، وما ينبغي أن يكون عليه ، فمن كتب في التاريخ العام إلى تراجم الأعلام ، إلى كتب التراجم المفردة ، إلى كتب السيرة النبوية ، إلى كتب تاريخ الحجاز .

الثانية : أن محصول التأليف في علوم اللغة العربية قليل أيضاً بالنسبة إلى ما أُلفَ في العلوم الشرعية ، وهذه الظاهرة واضحة في كتب الأدب والنقد أكثر من وضوحها في كتب النحو والصرف والبلاغة ، ويبدو أن السبب في ذلك أيضاً هو الرغبة القوية في نشر علوم الدين والحديث ، كما سبق بيانه ، ولأن السلاطين وأمراء الحجاز والعامة أيضاً كانوا يقدرّون العلماء أكثر من تقديرهم للشعراء — مثلاً — ويجلّون الفقيه والمحدث أكثر مما يجلّون الكاتب والأديب ، ولأن كثيراً من مناصب الدولة ، كمناصب القضاة والتدريس والخطابة والإمامة كان يختار لها فقهاء الشرع .

## الختامة

لا شك أنَّ البحث والدراسة في تاريخ العلوم والحركة العلمية في الإسلام من أمتع الموضوعات التي يمكن تناولها في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بل وفي التراث الإسلامي عامة ، إنَّه الموضوع الذي يمثل الوجه المشرق في حضارات الأمم .

ولابدَّ لنهاية أي عمل علمي من نتائج واستنتاجات ، قد تبلورت في ذهن الباحث من خلال معاشته لموضوع الدراسة طوال هذه السنوات ، وهذا العمل ثمرة جهد سنوات ، أعطى بوجه عام صورة لجوانب وأوجه النشاط العلمي في الحجاز في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وكشف الكثير من الغموض الذي يكتنف الحياة العلمية في الحجاز في أذهان كثير من المثقفين والباحثين ، وأوضح الكثير من جوانبه الإيجابية والسلبية .

ولقد تمَّ ذكر تفصيلات لبعض النتائج العلمية المضمنة في أثناء الدراسة في نهاية بعض المباحث والفصول المهمة ، ولكن من الضرورة بمكان استعراض بعض النتائج العامة في هذه الدراسة ، والمتمثلة بالآتي :

١ - تناوب الحسينيون من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب على حكم مكة ، والحسينيون من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب على حكم المدينة النبوية وتداولوها لعقود طويلة .

٢ - على الرغم من عدم تأثر الحجاز من الناحية العسكرية بالصراع الدولي القائم في العالم الإسلامي إلا أنَّه لم يعرف الاستقرار السياسي ، فتصارع أبناء الأسرة الواحدة على السلطة ، بالإضافة إلى صراع حكام المدينتين المقدستين على السيطرة ومدَّ النفوذ كل منهما على الأخرى .

٣ - كانت أهمية الحجاز الدينية دافعاً قوياً لتنافس الخلافتين العباسية والفاطمية عن طريق بذل الأعطيات لأهل الحرمين ، بالإضافة إلى تنافس أمراء العالم الإسلامي المتمثل في الأيوبيين والرسوليين ، ثم المماليك والرسوليين على السيطرة ومدَّ النفوذ .

٤ - لم يكن صراع القوى في العالم الإسلامي بالسيطرة على الحجاز صراعاً عسكرياً ، بل كان استعراضاً للقوى ليس أكثر ، والقوى الأضخم تحظى بالخطبة وإقامة الدعاء لأميرها ، وهذا الصراع ترك أثراً إيجابياً على نواحي الحياة كافة ، لما جلب من عائدات لسكان الحرمين الشريفين .

- ٥ - تتمتع الحجاز بأهمية اقتصادية كبرى لموقعه الهام على طرق التجارة العالمية ، بالإضافة إلى موسم الحج الذي جلب له ولأمرائه عائدات ضخمة .
- ٦ - عرف الحجاز عاملين مؤثرين في الازدهار الاقتصادي لم تعرفهما أي منطقة في العالم الإسلامي ، هما المكوس ، والصدقات والهبات ، مما عاد بعائدات كبيرة على أمراء الحجاز وساكنتها .
- ٧ - انفرد المجتمع الحجازي بفئة لم تعرفها باقي أقطار العالم الإسلامي ، وهي فئة المجاورين التي كانت صاحبة الدور الريادي في نشاط هذا المجتمع في جوانب الحياة كافة .
- ٨ - شغلت الأعطيات والصدقات التي قدمها أمراء ومياسير العالم الإسلامي دوراً بارزاً في نشاط الحياة الاجتماعية ، وذلك من إنشاء الربط والمدارس والبرك والسبل والعيون ، وتجلبت إسهامات الربط من خلال إيوائها لفئات كثيرة من المجتمع الحجازي ، حيث خصص بعضها للمنقطعين وبعضها للأرامل وأخرى لطلاب العلم .
- ٩ - كانت الاحتفالات الدينية في الحجاز على مستوى من الأهمية ، فقد عرف المكيون والمدنيون احتفالات كثيرة كيوم المولد وأهله الأشهر الحرم ، بالإضافة إلى عيدي الفطر و الأضحى وختم القرآن .
- ١٠ - لم يكن لأحد من أمراء مكة والمدينة أي دور مؤثر في الحركة العلمية على الإطلاق ، بل على العكس كان لبعضهم دوراً سلبياً من العلماء والمجاورين .
- ١١ - بعد الركود العلمي الذي عرفه الحجاز في القرنين الثالث والرابع للهجرة بهجرة جلّ علمائه إلى مختلف أمصار العالم الإسلامي ، بدأت الحياة الفكرية تنتعش من جديد في القرون السادس والسابع للهجرة ، وذلك بفضل ما قدمه أمراء العالم الإسلامي من إسهامات بارزة من خلال بناء المدارس والأربطة التي كانت ذات أهمية كبرى في بداية ازدهار فكري لم يعرف الحجاز مثيل له ، فبدأت بفضل ذلك هجرة العلماء والطلاب إليه ليصبح في القرنين السابع والثامن الهجريين من أكثر حواضر العالم الإسلامي طلباً للعلم وذلك بالتقاء العلماء وخاصة في أيام الحج ، مما شجع الكثير من هؤلاء العلماء على المجاورة والإقامة به .

- ١٢ - كان للمجاورين فضل كبير في ازدهار الحركة الفكرية ، فقد اشتغل الكثير منهم في التدريس في الحرمين الشريفين والمدارس والأربطة ، كما تدرج بعضهم في المناصب كالقضاء والحسبة والإفتاء والإمامة وغيرها ، فكان لهم إسهامات بارزة في جوانب الحياة كافة .
- ١٣ - عرف الحجاز أسر علمية تأصلت في العلم ، وكان من أبناء تلك الأسر علماء أصحاب نتاج فكري كبير كأسرة الطبري والعسقلاني والقسطلاني وابن فرحون وغيرهم .
- ١٤ - تمتعت المرأة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بأهمية اجتماعية وعلمية ، وذلك من خلال مشاركة بعض النسوة مشاركة حثيثة في جوانب من العلوم الشرعية وغيرها ، ومشاركتهن في التأليف ، وحصول بعضهن على الإجازات العلمية من كبار العلماء .
- ١٥ - شغل الرحالون دوراً هاماً في نقل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للحجاز من خلال وصفهم لمشاهداتهم والتقائهم بالعلماء والأعيان والعامة ، كما كانت الميزة الحقيقية للتعلم في ذلك العصر هو الرحلة في طلب العلم ، سواءً إلى الحجاز أو خارجه .
- ١٦ - حوى الحرمين الشريفين أكبر مكتبتين عرفهما الحجاز ، بالإضافة إلى مكتبات كثيرة ضمتها المدارس والأربطة ، وكان لكل تلك المكتبات الدور المؤثر في النشاط العلمي آنذاك .
- ١٧ - الحرم المكي والمدني هما أضخم مؤسستين تعليميتين عرفهما الحجاز ، حيث كانتا ملتقى الطلاب والعلماء لإقامة الدروس في أروقتهما ، بالإضافة إلى المناظرات العلمية التي تقام بهما .
- ١٨ - جاءت المدارس في الحجاز متأخرة عن مثيلاتها في العالم الإسلامي ، فلم يعرف الحجاز أي مدرسة قبل النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، كما كان عددها قليلاً عن باقي حواضر العالم الإسلامي ، ولم تتنوع اختصاصات تلك المدارس بل اقتصرَت بتدريس العلوم الشرعية .
- ١٩ - كان رواد المساجد أكثر عدداً من رواد المدارس ، وذلك فطالب العلم في المسجد يلتحق بالمدرس والدرس الذي يريد ، بينما في المدرسة يشترط واقفها دروس معينة يقررها لطلابها .
- ٢٠ - كان للأربطة إسهاماً كبيراً في دفع الحركة العلمية ، كونها سكناً للعلماء والطلاب ، بالإضافة إلى إقامة الدروس والمناظرة بين العلماء فيها .

٢١ - أغفل المؤرخون ذكر الكتابات التي وجدت في الحرمين الشريفين ، واكتفى بعضهم بذكر أن أحد العلماء كان شيخاً للكتاب .

٢٢ - عرف الحجاز الكثير من العلوم الدينية واللغوية والتاريخية ، ونبع في هذه العلوم عدداً من العلماء المرموقين ، وقد ساهم الحجازيون والوافدون عليهم في حركة التأليف ، فقد وجد عدد غير قليل منهم صنفوا في مختلف العلوم المعروفة في زمانهم وساهموا في إغناء التراث الإسلامي .

٢٣ - احتلت العلوم الشرعية بمختلف فروعها المرتبة الأولى بين العلوم ، وتلتها في الأهمية علوم اللغة العربية والتاريخ ، بيد أن باقي العلوم لم تنل نصيبها الوافي من الاهتمام .

## الملاحق :

### أمراء مكة المكرمة في القرن السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر

#### الميلاديين :

|                                                                |                          |
|----------------------------------------------------------------|--------------------------|
| قاسم بن محمد بن جعفر .....                                     | تولى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م |
| فليته بن القاسم بن محمد بن جعفر .....                          | ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م          |
| هاشم بن فليته .....                                            | ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م          |
| قاسم بن هاشم .....                                             | ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م          |
| عيسى بن فليته .....                                            | ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م          |
| داوود بن عيسى بن فليته .....                                   | ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م          |
| مكثر بن عيسى بن فليته .....                                    | ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م          |
| القاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة المنورة .....              | ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م          |
| حكمها ثلاثة أيام ثم تناوب على حكمها داوود وأخيه مكثر بن عيسى . |                          |
| أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن .....                         | ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م          |
| الحسن بن قتادة .....                                           | ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م          |
| عمر بن علي بن رسول التركماني .....                             | ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م          |
| صارم الدين ياقوت ( عتيق الملك المسعود ) .....                  | ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م          |
| طغتكين بن عبد الله الكامل التركي .....                         | ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م          |
| راجح بن قتادة .....                                            | ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م          |
| طغتكين بن عبد الله الكامل [ المرة الثانية ] .....              | ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م          |
| جفريل ( أحد قواد الملك الكامل ملك مصر ) .....                  | ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م          |
| فخر الدين الشلاح ( مملوك الملك المنصور ملك اليمن ) .....       | ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م          |
| محمد بن أحمد المعروف بابن المسيب اليمني .....                  | ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م          |

- الشریف الحسن بن علی بن قتادة ( أبو سعد ) ..... ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م
- الشریف جمّاز بن الحسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ..... ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م
- راجح بن قتادة ( للمرة الثانية ) ..... ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م
- غانم بن راجح بن قتادة ..... ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م
- أبو نمي محمد ( الأول ) بن الحسن بن علی بن قتادة ..... ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م
- إدريس بن قتادة ..... ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م (\*)

---

(\*) عبد الغني : تاريخ أمراء مكة ، صفحات متعددة .

## أمرء المدينة المنورة في القرن السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر

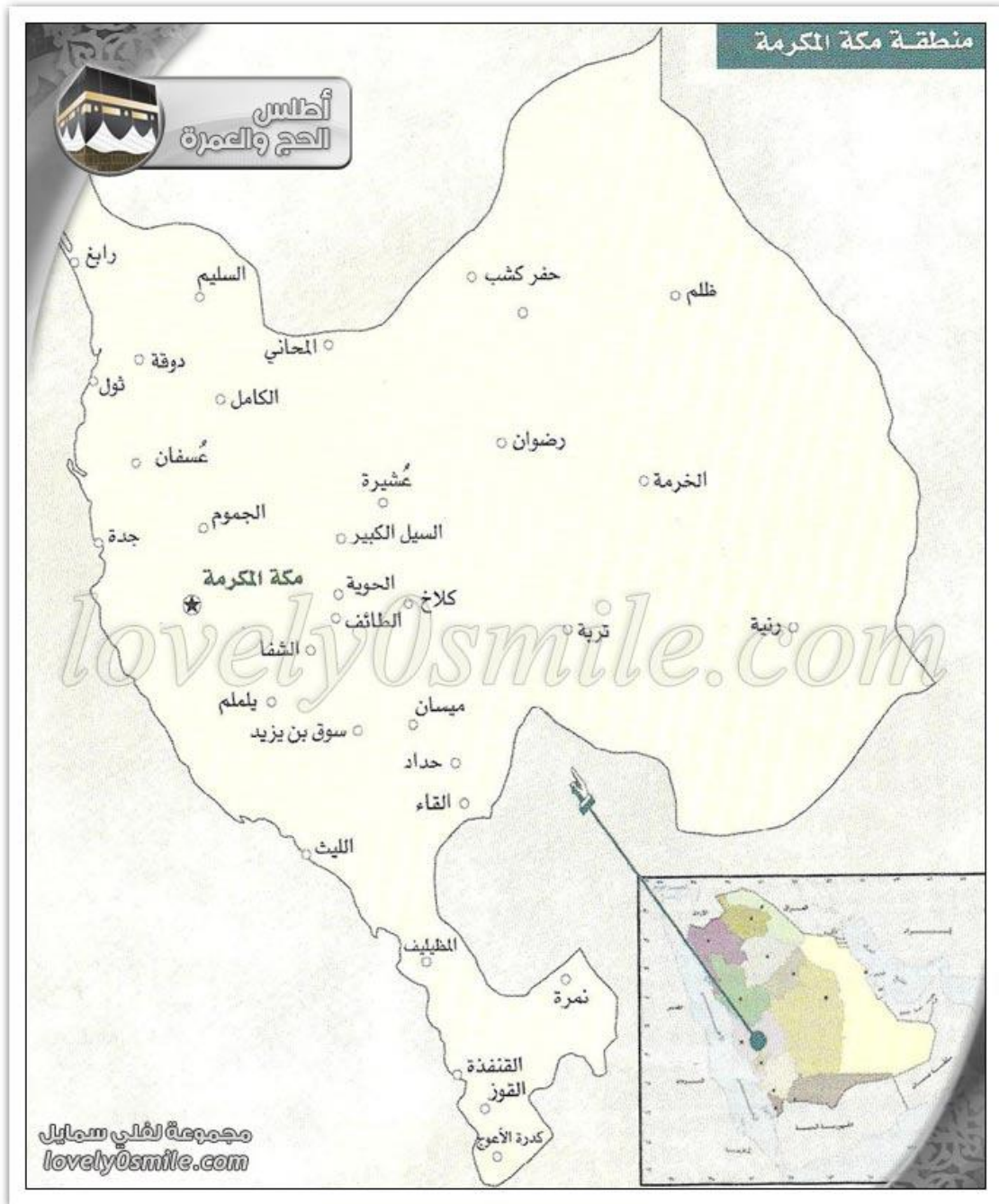
الميلاديين :

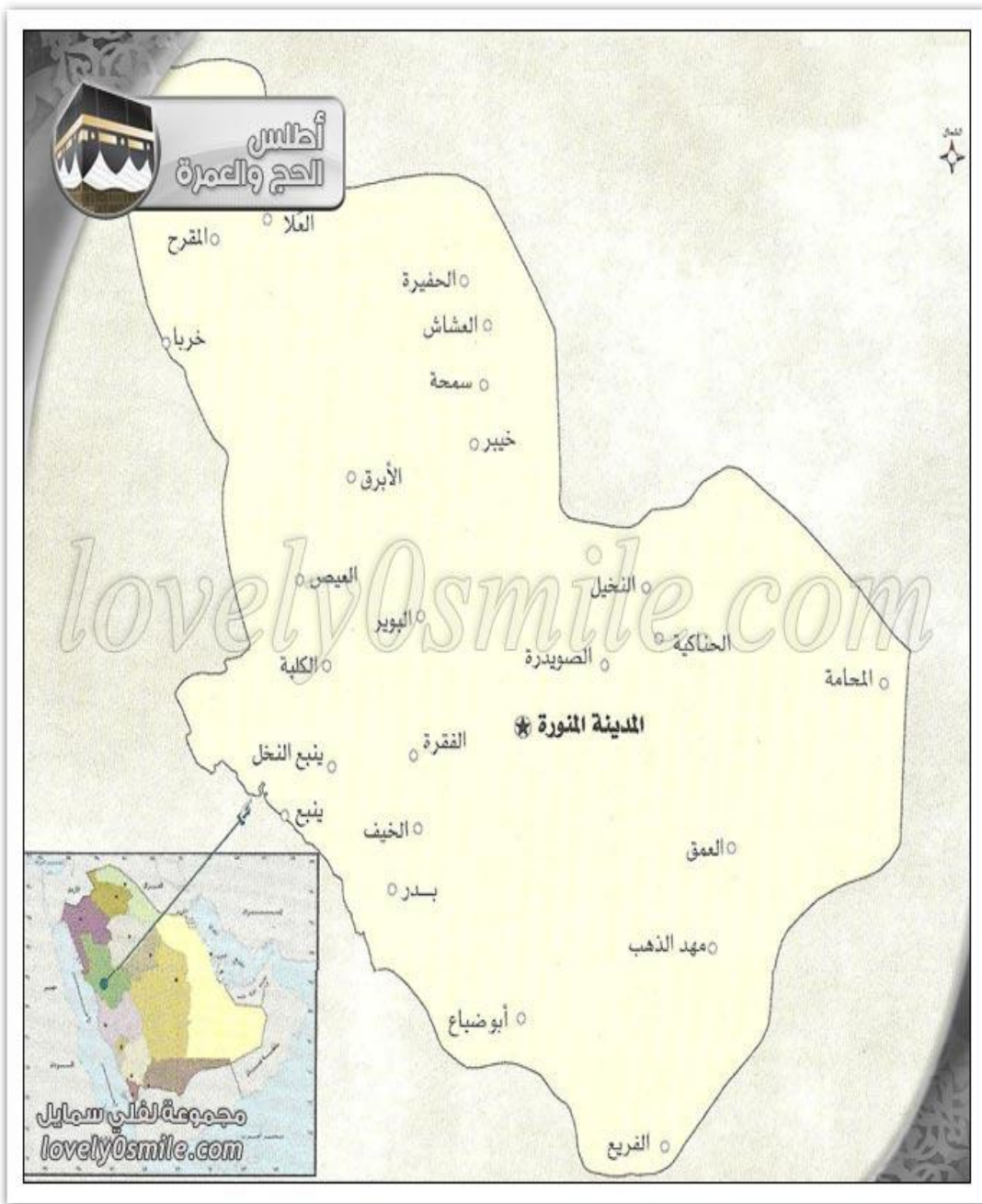
- ابن منظور بن عمارة بن مهنا بن سبيع بن مهنا بن داوود ..... تولى حوالي ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م  
الحسين بن مهنا الأعرج بن الحسين بن حمزة أبو عمارة المهنا ... ؟ - انتهت ولايته ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م  
القاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داوود ..... تولى ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م  
طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان الملك العزيز ظهير الدين ..... ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م فخرياً  
سالم بن القاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا ..... ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م  
جماز بن قاسم بن مهنا بن داوود بن القاسم ..... ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م  
قاسم بن جماز بن قاسم بن مهنا ..... ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م  
شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ..... ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م  
عمر بن قاسم بن جماز بن مهنا ..... ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م  
عيسى بن شيحة بن هاشم ..... ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م  
منيف بن شيحة بن هاشم ..... ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م مشاركة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م استقلال  
جماز بن شيحة ..... ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م  
مالك بن منيف بن شيحة ..... ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م  
جماز بن شيحة ( المرة الثانية ) ..... ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م  
جماز بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ..... ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م  
جماز بن شيحة ( المرة الثالثة ) ..... ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م (\*)

---

(\*) عبد الغني : تاريخ أمرء المدينة ، صفحات متعددة .









الكعبة المشرفة سنة ١٨٨٠م

## المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة :

المخطوطات :

١ - القرآن الكريم

- ابن رشيد :

٢ - ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة ، مخطوط بقسم المخطوطات جامعة الملك سعود رقم ١٠٧ م خ .

- ابن فرحون ( عبد الله بن محمد ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م ) :

٣ - نصيحة المشاور وتسليية المجاور ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٥٤١ ، عن مكتبة الحرم المكي برقم (٥) دهلوي .

- ابن فهد ( عبد العزيز بن عمر ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ) :

٤ - بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٧٣ تاريخ عن مكتبة الحرم المكي برقم ١ تاريخ .

- الصباغ ( محمد بن أحمد بن سالم بن محمد ) :

٥ - تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام والمشاعر العظام ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم ٢١٧ تاريخ .

- الطبري ( محيي الدين علي بن عبد القادر ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م ) :

٦ - الأرج المسكي في التاريخ المكي ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكرو فيلم رقم ٣٤ ، عن مكتبة الحرم المكي برقم ٣ تاريخ دهلوي .

- الفاسي ( تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي ) :

٧ - الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم ٧٢٧ تاريخ ، عن مكتبة المتحف العراقي  
بيغداد برقم ١٣٨٥

- الميروي (أحمد بن علي بن أبي بكر ) :

٨- بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج ، كتاب ملحق بمخطوط : الجواهر المنظم في زيارة القبر المكرم ، لابن حجر الهيتمي ، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،

## المصادر المطبوعة :

- ابن الأثير ( مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ) :
  - ١ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، مطبعة الملاح ، مكتبة البيان - بيروت ، ( د . ت ) .
  - ابن الأخوة ( ضياء الدين محمد ) :
  - ٢ - معالم القرية في أحكام الحسبة ، نشر روبن ليفي ، كمبردج ١٩٣٨ م .
  - ابن بطوطة ( محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ ) :
  - ٣ - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : علي الكتاني ، الطبعة الأولى ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
  - ابن تغري بردي ( أبو المحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) :
  - ٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ م .
  - ٥ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، ١٩٨٤ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
  - ابن جبير ( أبو الحسن بن أحمد ابن جبير الكتاني ت ٦١٤ هـ ) :
  - ٦ - رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ . ١٩٥٩ م .
  - ابن الجوزي ( جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ) :
  - ٧ - تلبيس إبليس ، بيروت - دار الفكر ( د . ت ) .
  - ابن حجر ( شهاب الدين أحمد بن علي ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) :
  - ٨ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت - دار الجيل ( د . ت ) .
  - ٩ - لسان الميزان ، بيروت - دار الفكر ، ( د . ت ) .

- ١٠ - تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند ، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ .
- ١١ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، القاهرة - دار الفكر ( د . ت ) .
- ابن خرداذبة ( أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ) :
- ١٢ - المسالك والممالك ، بغداد ، مكتبة المثنى ( د . ت ) .
- ابن خلدون :
- ١٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت . ١٩٧١ م .
- ابن خلكان ( أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ) :
- ١٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .
- ابن دقيق العيد ( تقي الدين ) :
- ١٥ - الاقتراح في بيان الاصطلاح ، تحقيق قحطان عبد الرحمن الدوري ( د . ت ) .
- ابن رجب ( زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ) :
- ١٦ - الذيل على طبقات الحنابلة ، بيروت - دار المعرفة ( د . ت ) .
- ابن طباطبا ( محمد بن علي ) :
- ١٧ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ١٩٦٦ م .
- ابن ظهيرة ( جمال الدين محمد جار الله بن محمد ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م ) :
- ١٨ - الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، بيروت - المكتبة الشعبية ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن عبد البر ( يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ / ١٠٨١ م ) :
- ١٩ - جامع بيان العلم وفضله ، بيروت - دار الفكر ، ( د . ت ) .
- ابن عبد ربه ( أحمد بن محمد ) :
- ٢٠ - العقد الفريد ، القاهرة - بولاق ١٢٨٣ م .

- ابن العماد ( أبو الفلاح عبد الحي ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م ) :  
 ٢١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن فرحون ( إبراهيم بن علي ) :  
 ٢٢ - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق محمد الأحدي أبو النور ، القاهرة - دار التراث ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ابن فهد ( التقي محمد بن محمد ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م ) :  
 ٢٣ - لحظ الألفاظ بذييل طبقات الحفاظ ، دار التراث العربي ( د . ت ) .
- ابن فهد ( النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد ) :  
 ٢٤ - إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهم محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٢٥ - معجم الشيوخ ، تحقيق : محمد الزاهي ، الرياض - دار اليمامة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ابن ماجة ( ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ) :  
 ٢٦ - سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ابن الجاور ( جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي ) :  
 ٢٧ - صفة بلاد اليمن والحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ابن مسكويه ( أبو علي أحمد بن محمد ) :  
 ٢٨ - تهذيب الأخلاق ، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ابن الملقن ( سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي التكروري الشافعي ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م ) :  
 ٢٩ - العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، تحقيق : أيمن نصر الأزهري والسيد مهني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ( د . ت ) .

- ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ) :  
**٣٠ - لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م .
- ابن النجار ( تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى ت ٩٧٢ هـ /  
 ١٥٦٤ م ) :  
**٣١ - شرح الكوكب المنير** ، تحقيق : محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ابن هشام ( أبي محمد بن عبد الملك المعافري ) :  
**٣٢ - السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بيروت لبنان - دار إحياء التراث ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ) :  
**٣٣ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق : حسنين محمد ربيع راجعه وقدم عليه سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر . مطبعة دار الكتاب ١٩٧٢ م .
- ابن وحشية ( أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكدساني ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ) :  
**٣٤ - الفلاحة النبطية** ، تحقيق : توفيق فهد ، سلسلة منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، دمشق ١٩٩٥ م .
- أبو شامة ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م ) :  
**٣٥ - عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، تحقيق : أحمد البيسومي ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا . دمشق ١٩٩١ م .
- تراجم القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على كتاب الروضتين ، ط ٢ ، بيروت دار الجيل ١٤٧٤ هـ .
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- أبو شبهة ( محمد بن محمد ) :
- ٣٨ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، مكتبة السنة ، الطبعة الرابعة ( د. ت. ) .
- أبو الطيب اللغوي ( عبد الواحد بن علي ) :
- ٣٩ - مراتب النحويين ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - دار النهضة ١٩٧٤ م .
- أبو الفداء ( إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ ) :
- ٤٠ - البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- أبي نقطة الحنبلي ( الحافظ أبي بكر بن محمد بن عبد الغني البغدادي ) :
- ٤١ - التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد ، الهند - مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- الإسنوي ( عبد الرحيم بن الحسن ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م ) :
- ٤٢ - طبقات الشافعية ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- الأصفهاني ( أبو الفرج علي بن الحسين ) :
- ٤٣ - الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٧ م .
- باخرمة ( عبد الله الطيب ) :
- ٤٤ - ثغر عدن ، تحقيق : أوسكار لوفغرين ، بريل ١٩٥٠ م .
- البرزالي ( علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف الاشبيلي الدمشقي المتوفي ٧٣٩ هـ ) :
- ٤٥ - المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت ( د. ت. ) .

- البغدادي ( إسماعيل باشا ) :
- ٤٦ - هدية العرفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مطبعة الأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ( د . ت ) .
- البكري ( عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ) :
- ٤٧ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- التجيبي ( القاسم بن يوسف ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ) :
- ٤٨ - مستفاد الرحلة والاغتراب ، برنامج التجيبي ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، تونس - دار العربية للكتاب ١٩٨١ م .
- التلمساني ( أحمد بن مقري ) :
- ٤٩ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
- التميمي البغدادي ( أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ) :
- ٥٠ - السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة . دار النشر / دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .
- الحموي ( ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) :
- ٥١ - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ( د . ت ) .
- ٥٢ - معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب في معرفة الأديب ، بيروت - دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- الخزرجي ( علي بن الحسن ) :
- ٥٣ - العقود اللؤلؤة في تاريخ الدولة الرسولية ، عني بتصحيحه وتنقيحه : الشيخ محمد بسيوني عسل ، مركز الآداب والبحوث اليمني صنعاء ، دار الآداب . بيروت ، لبنان .

- حاجي خليفة ( مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ) :
- ٥٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت - دار الفكر ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- دحلان ( أحمد بن زيني ) :
- ٥٥ - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الأولى ، مصر ، سنة ١٣٠٥ هـ .
- ٥٦ - أمراء البلد الحرام ، دار المتحدة للنشر ، ( د.ت ) .
- الدواداري ( شمس الدين ) :
- ٥٧ - طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، القاهرة - مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- الذهبي ( شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ) :
- ٥٨ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق د . عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٥٩ - مختصر تاريخ الديبشي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ( د . ت ) .
- ٦٠ - العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ٦١ - تذكرة الحفاظ ، دراسة وتحقيق ز: كريا عميرات ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- ٦٢ - أربع رسائل في علوم الحديث ( رسالة من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي ) تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت - دار القرآن الكريم ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٦٣ - معجم المحدثين ، تحقيق : محمد حبيب الهيلة ، دار النشر مكتبة الصديق - الطائف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ٦٤ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي البجاوي ، بيروت - دار المعرفة ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

- ٦٥ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق : بشار عواد معروف و سعيد الأرناؤوط وصالح مهدي معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
- زاده ( طاش بكري ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م ) :
- ٦٦ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ، بيروت - دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- السبكي ( عبد الوهاب بن علي ) :
- ٦٧ - طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
- السخاوي ( محمد بن عبد الرحمن شمس الدين المتوفى ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ) :
- ٦٨ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، عني بنشره القدسي ، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٦٩ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ( د . ت ) .
- ٧٠ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ( د . ت ) .
- السمهودي ( نور الدين علي بن أحمد المصري ت ٩١١ هـ ) :
- ٧١ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- السنجاري ( علي بن تاج الدين بن تقي الدين ) :
- ٧٢ - منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم ، تحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- السيوطي ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) :
- ٧٣ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر . مطبعة السعادة ، الطبعة

- الأولى ١٢١٧ هـ / ١٩٥٢ م .
- ٧٤ - الوسائل في معرفة الأوائل ، تحقيق : لإبراهيم العدوي وعلي محمد عمر ، القاهرة - مكتبة الخانجي ( د . ت ) .
- ٧٥ - نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق : فيليب حتي، بيروت، دار المكتبة العلمية (د.ت).
- ٧٦ - الإتقان في علوم القرآن ، بيروت - دار الندوة ، ( د . ت ) .
- الشيزري ( عبد الرحمن بن نصر ) :
- ٧٧ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العربي ، الطبعة الثانية ، بيروت - دار الثقافة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- الصفدي ( صلاح الدين ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ) :
- ٧٨ - الوافي بالوفيات ، باعثناء : سويدرينغ ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- الطبري ( محب الدين ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ) :
- ٧٩ - الرياض النضرة في مناقب العشرة ، بيروت - دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٨٠ - القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق : مصطفى السقا - مكتبة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- الظاهري ( غرس الدين خليل بن شاهين ) :
- ٨١ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح : بولس راويس باريس ، المطبعة الجمهورية ١٨٩٤ م .
- العامري ( يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين الحرصي اليماني ت ٨١٦ هـ / ٨٩٣ هـ ) :
- ٨٢ - غريال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلّق عليه : محمد ناجي زعي العمر ، طبع في مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- عبد العظيم ( بن عبد القوي ) :
- ٨٣ - الترغيب والترهيب ، تصحيح : مصطفى عمارة ، بيروت - دار التراث ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ .
- العبدري ( محمد بن محمد أبو عبد الله ) :
- ٨٤ - الرحلة المغربية ، تحقيق : محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨ م .
- العجلي ( أحمد بن عبد الله ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ) :
- ٨٥ - تاريخ الثقات ، تحقيق : عبد المعطي قلنجي ، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ .
- العصامي ( عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي ) :
- ٨٦ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- العليمي ( مجير الدين الحنبلي ) :
- ٨٧ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس . عمان ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- العمري ( ابن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ) :
- ٨٨ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- العيني ( بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) :
- ٨٩ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- الغزالي ( أبو حامد محمد بن محمد ) :
- ٩٠ - إحياء علوم الدين ، الطبعة الأولى ، القاهرة دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الفاسي ( تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي ) :
- ٩١ - الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : أديب محمد الغزالي دار صادر .  
بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
- ٩٢ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد حامد القفي ، مؤسسة الرسالة  
بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٩٣ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : محمد حامد القفي ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٩٤ - ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، ( د . ت ) .
- الفيروز أبادي ( مجد الدين محمد بن يعقوب ) :
- ٩٥ - المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق : حمد الجاسر ، ١٣٨٩ هـ .
- الفيومي ( أحمد بن محمد بن علي المقرئ ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ) :
- ٩٦ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الطبعة الخامسة ، القاهرة - المطبعة الأميرية ،  
١٩٢٢ م .
- القلقشندي ( أبو العباس أحمد ) :
- ٩٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- الكتاني ( عبد الحي بن عبد الكبير ) :
- ٩٨ - فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، تحقيق : إحسان عباس ،  
دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الكتاني ( محمد بن جعفر ) :
- ٩٩ - الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، تحقيق محمد المنتصر محمد  
الزمزمي الكتاني ، بيروت - دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- المارديني ( بدر الدين محمد بن محمد الدمشقي ت ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م ) :  
 ١٠٠ - شرح الفصول المهمة في موارث الأمة ، تحقيق : أحمد بن سليمان بن يوسف  
 العريني ، دار العاصمة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- الماوردي ( أبو الحسن علي بن حبيب البصري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) :  
 ١٠١ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- المراكشي ( أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري ) :  
 ١٠٢ - الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، تحقيق محمد بن عبد شريفة ،  
 الرباط ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- المراغي ( عبد الله مصطفى ) :  
 ١٠٣ - تحقيق النضرة بتلخيص معال دار الهجرة ، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ،  
 القاهرة ١٩٥٥ م .
- المزني ( يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ) :  
 ١٠٤ - تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة  
 الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- المسعودي ( أبو الحسن علي بن الحسين ) :  
 ١٠٥ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة  
 العصرية ، بيروت ١٩٨٨ م .
- المطري ( محمد بن أحمد ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ) :  
 ١٠٦ - التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ،  
 ١٤٠٢ هـ .
- المقرئ ( تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ) :  
 ١٠٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي

- بيضون . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ١٠٨ - إتحاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا ، تحقيق : محمد حلمي أحمد ، القاهرة ١٩٧٣م .
- ١٠٩ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مكتبة الخانجي بمصر مكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥م .
- النديم ( محمد بن إسحاق ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ) :
- ١١٠ - الفهرست ، بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر ( د . ت ) .
- النعمي ( عبد القادر بن محمد الدمشقي المتوفي سنة ٩٧٨هـ ) :
- ١١١ - المدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ( د . ت ) .
- النهروالي ( قطب الدين الحنفي ت ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م ) :
- ١١٢ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، بيروت مكتبة خياط ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- النووي ( يحيى بن زكريا ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ) :
- ١١٣ - تهذيب الأسماء و اللغات ، القاهرة - إدارة المطبعة المنيرية ( د . ت ) .
- الهمداني ( الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ) :
- ١١٤ - صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوخ أشرف على طبعه حمد الجاسر ، دار اليمامة . الرياض ١٩٧٤م .
- الهمداني ( أبي عبد الله أحمد بن إسحاق ) :
- ١١٥ - كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- اليافعي ( أبو محمد بن عبد الله بن أسعد ) :
- ١١٦ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

- اليعقوبي ( أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي ) :
- ١١٧ - تاريخ اليعقوبي ، دار صادر - بيروت ( د . ت ) .
- اليونيني ( موسى بن محمد ) :
- ١١٨ - ذيل مرآة الزمان مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

## المراجع :

- أبو حجر ( آمنة إبراهيم ) :
- ١ - موسوعة المدن العربية ، دار أسامة ، الأردن . عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م ، ص ١٧٠ .
- ١٧١ .
- أبو زهرة ( محمد ) :
- ٢ - أصول الفقه ، القاهرة - دار الفكر العربي ، ( د . ت ) .
- أبو زهو ( محمد ) :
- ٣ - الحديث والمحدثون ، دمشق - دار الفكر ( د . ت ) .
- الأكوخ ( إسماعيل بن علي ) :
- ٤ - المدارس الإسلامية في اليمن ، بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- أمخزون ( محمد ) :
- ٥ - المدينة المنورة في رحلة العياشي ، دراسة وتحقيق ، الدار البيضاء - مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الأنصاري ( عبد القدوس ) :
- ٦ - آثار المدينة المنورة ، بيروت ١٩٧٣ م .
- الباشا ( حسن ) :
- ٧ - المدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٩٠ م .
- بدر ( عبد الباسط ) :
- ٨ - التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ( د . ت ) .
- البرديسي ( محمد زكريا ) :
- ٩ - أصول الفقه ، بيروت - دار الفكر ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٨ م ، الطبعة الثالثة .

- بروكلمان (كارل) :
- ١٠ - تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ، ومراجعة رمضان عبد التواب ، القاهرة - دائرة المعارف ، الطبعة الثانية ، ( د . ت ) .
- التهانوي ( محمد بن علي ) :
- ١١ - كشف اصطلاحات الفنون ، بيروت - دار صادر ( د . ت ) .
- الجاسر ( حمد ) :
- ١٢ - أشهر رحلات الحج ، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي ، الطبعة الأولى ، الرياض - دار الرفاعي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الجميل ( محمد فارس ) :
- ١٣ - المكتبات العربية في العصر العباسي ، وهي مقالة للدكتورة الإيطالية أول لجبانتو ، ثم ترجمها إلى الإنجليزية فريتس كرنكوف ، ونقلها عن الإنجليزية وعلق عليها محمد الجميل ، مجلة العصور ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- حافظ ( عبد السلام هاشم ) :
- ١٤ - المدينة المنورة في التاريخ ، دراسة شاملة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م المدينة - من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .
- الحبشي ( عبد الله محمد ) :
- ١٥ - مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، بيروت - المكتبة العصرية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الحجي ( حياة نصر ) :
- ١٦ - السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، مع تحقيق ودراسة وثيقة ، وقف سرياقوس ، الكويت - مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- حسن ( حسن إبراهيم ) :
- ١٧ - تاريخ الإسلام السياسي ، القاهرة ١٩٦٧ م .

- حسين ( جميل حرب محمود ) :
- ١٨ - الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- الحسيني ( عبد العزيز محمد ) :
- ١٩ - الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، الكويت - وكالة المطبوعات ١٩٧٣ م .
- الحسيني ( عبد المحسن ) :
- ٢٠ - الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ .
- ١٩٥٣ م .
- الحسيني ( محمد ) :
- ٢١ - الحياة العلمية والأدبية في الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- حمزة ( عبد اللطيف ) :
- ٢٢ - الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، الطبعة الثامنة ، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٨ م .
- الخليلي ( جعفر ) :
- ٢٣ - موسوعة العتبات المقدسة ، قسم مكة المكرمة ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .
- ٢٤ - موسوعة العتبات المقدسة ، قسم المدينة المنورة ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .
- خورشيد ( أحمد ) :
- ٢٥ - القرآن وعلومه في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٦ م .

- رواه المكي ( عبد الفتاح بن حسين ) :
- ٢٦ - جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ، الحجون . مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٤٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ربيع ( حسنين محمد ) :
- ٢٧ - وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- رزق ( سليم محمود ) :
- ٢٨ - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، الطبعة الأولى ، القاهرة - مكتبة الآداب ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- رفعت ( إبراهيم ) :
- ٢٩ - مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- الزحيلي ( محمد ) :
- ٣٠ - تعريف عام بالعلوم الشرعية ، دمشق - طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨ م .
- زيدان ( جرجي ) :
- ٣١ - تاريخ التمدن الإسلامي ، راجعها وعلق عليها حسين مؤنس ، القاهرة - دار الهلال ١٩٦٨ م .
- السباعي ( أحمد ) :
- ٣٢ - تاريخ مكة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- السلیمان ( علي بن حسين ) :
- ٣٣ - العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- الشرباصي ( أحمد ) :
- ٣٤ - المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجليل ، بيروت ١٩٨١ م .
- الشكعة ( مصطفى ) :
- ٣٥ - مناهج التأليف عند العلماء العرب ، قسم الأدب ، الطبعة الرابعة ، بيروت - دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ م .
- شلي ( أحمد ) :
- ٣٦ - تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٨٠ م .
- الشنقيطي ( غالي محمد الأمين ) :
- ٣٧ - الدرّ الثمين في معالم دار الرسول الأمين ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
- شيخ أمين ( بكرى ) :
- ٣٨ - مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، الطبعة الرابعة ، بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨٦ م .
- صقر ( نادية حسني ) :
- ٣٩ - الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، دار الشرق ، جدة . السعودية ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ضيف ( شوقي ) :
- ٤٠ - تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، الجزيرة العربية - العراق - إيران ، مصر - دار المعارف ( د . ت ) .
- طرخان ( إبراهيم ) :
- ٤١ - النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

- طلس (أسعد) :
- ٤٢ - التربة والتعليم في الإسلام ، بيروت - دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ م .
- الطناحي (محمود محمد) :
- ٤٣ - الموجز في مراجع التراجم والمراجع والبلدان والمصنفات وتعريف العلوم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .
- عاشور (سعيد عبد الفتاح) :
- ٤٤ - المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، النهضة العربية ١٩٦٢ م .
- عبد الغني (عارف) :
- ٤٥ - تاريخ أمراء مكة ، دار البشائر ، (د.ت) .
- ٤٦ - تاريخ أمراء المدينة المنورة ، دار كنان للطباعة والنشر .
- عبد الله (عبد الرحمن بن صالح) :
- ٤٧ - تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- العتر (نور الدين) :
- ٤٨ - القرآن الكريم والدراسات الأدبية ، دمشق - المطبعة الجديدة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- العسلي (خالد صالح) :
- ٤٩ - إدارة مكة قبل الإسلام ، المؤرخ العربي البغدادي . بغداد . ١٩٩١ م .
- العسيري (مريزن سعيد بن مريزن) :
- ٥٠ - الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكة - مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- العلي ( صالح أحمد ) :
- ٥١ - الحجاز في صدر الإسلام ( دراسات في أحواله العمرانية والإدارية ) مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
- العناقرة ( محمد خلف ) :
- ٥٢ - الحياة الاقتصادية في عصر دولة المماليك ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- غريب ( جورج ) :
- ٥٣ - الموسوع في الأدب العربي ، أدب الرحلات تاريخه وأعلامه ، دار الثقافة ( د . ت ) .
- الفاضلي ( عبد الهادي ) :
- ٥٤ - فهرس الكتب النحوية المطبوعة ، الطبعة الأولى ، الزرقاء - الأردن ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- فهمي ( أسماء ) :
- ٥٥ - مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- فهمي ( أحمد نعيم زكي ) :
- ٥٦ - طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة، ١٩٧٣ م .
- الميلم ( عبد العزيز ) :
- ٥٧ - رسالة المسجد في الإسلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- المالكي ( سليمان عبد الغني ) :
- ٥٨ - مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- ٥٩ - بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشرف حتى سقوط الخلافة العباسية ، الرياض .  
مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- مبارك ( زكي ) :  
٦٠ - المدائح النبوية ، القاهرة - دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .
- محمود ( عبد المنعم شاکر ) :  
٦١ - ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، بغداد -  
دار الرسالة للطباعة ، ( د . ت ) .
- المدني ( عبد العزيز ) :  
٦٢ - التأريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين ، ( د.ت ) ، ص ٢١ .
- المزيني ( عبد الرحمن بن سليمان ) :  
٦٣ - الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، تقديم أحمد بن محمد الخراط ،  
المدينة المنورة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- المشيقيح ( إبراهيم بن حمود ) :  
٦٤ - تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد ، الطبعة  
الأولى ، القصيم - مطابع المنار ، ١٤٠٨ هـ / ١٨٨٧ م .
- مصطفى ( شاکر ) :  
٦٥ - التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام ،  
الطبعة الأولى ، بيروت - دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ م .
- معروف ( ناجي ) :  
٦٦ - مدارس مكة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ( د . ت ) .
- ٦٧ - المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة ، مطبعة الإرشاد - بغداد ( د . ت ) .

- المنجد ( صلاح الدين ) :
- ٦٨ - معجم ما أَلف عن الرسول ﷺ ، بيروت - دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- النجار ( محمد عبد العزيز ) :
- ٦٩ - ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- نواب ( عواطف محمد يوسف ) :
- ٧٠ - الرحلات المغربية الأندلسية ، الرياض ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- هبو ( أحمد ) :
- ٧١ - تاريخ العرب قبل الإسلام ، منشورات جامعة البعث ، كلية الآداب ، حمص ، ١٩٩٠ م .
- الوشلي ( عبد القاسم ) :
- ٧٢ - المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، بيروت - مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- الوكيل ( محمد السيد ) :
- ٧٣ - الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه رضوان الله عليهم ، جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

---